محاضرات فى

مناهج البحث الاجتماعى

الاجراءات والتطبيقات

اعـــداد

دكتور علي عبد الرازق جلبي

أستاذ ورئيس قسم الاجتماع

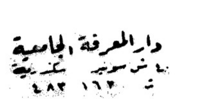
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

دكتور محمد أحمد بيومي

أستاذ علم الاجتماع

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية





محاضرات فى

مناهج البحث الاجتماعى

الاجراءات والتطبيقات

اهداءات ١٩٩٤

السيد/ مجدي مسعد

الاسكندرية

محاضرات فى

مناهج البحث الاجتماعى

الاجراءات والتطبيقات

اعـــداد

دكتور علي عبد الرازق جلبي
أستاذ ورئيس قسم الاجتماع
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

دكتور محمد أحمد بيومي
أستاذ علم الاجتماع
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش سوتير - إسكندرية
ت : ٤٨٣٠١٦٣


بسم الله الرحمن الرحيم

الجـــــزء الأول

مناهج البحـــث الاجتماعـــــى
الاجراءات والتطبيقـات

تقديم

تمثل مجموعة المحاضرات التي بين أيدينا حول مناهج البحث الاجتماعي من حيث الاجراءات والتطبيقات محاولة متواضعة يجد فيها الطالب المهتم بموضوع مناهج البحث الاجتماعي اجابة على الكثير من التساؤلات التي تثار في ذهنه حول البحث الاجتماعي ، ومفهوماته ، وقواعده ، وبداية وتطور استخدامه للمنهج العلمي ، وموجهاته وأنواع المناهج والطرق والادوات التي يحتاج اليها وغيرها .

والواقع أن هذه المجموعة من المحاضرات ثمرة عمل وجهد تعاوني مشترك ، وجدنا انه من الضروري في اعتقادنا ، وفي ضوء الحاجة الى المزيد من الكتابات حول البحث الاجتماعي نتيجة لندرة المؤلفات المنشورة باللغة العربية في هذا الصدد ، ان نضطلع بمسئوليات هذا العمل ، ونقسم واجباته بيننا ، حتى تتاح الفرصة لكل واحد منا في ضوء قراراته وخبراته ان يسهم في اظهار هذا العمل على امل ان تستفيد من خبراتنا اثناء القاء هذه المحاضرات ، ومن ما نجده من توجيهات وانطباعات لدى كل من يهمه موضوع البحث الاجتماعي من السادة الزملاء والاساتذه والباحثين في علم الاجتماع ، ما نستطيع ان تستعين به بعد ذلك ، في تطوير وتنمية هذا الجهد .

والله ولي التوفيق .

د . علي عبد الرازق جلبي
د . محمد احمد بيومي

الفصل الأول
المفهومات الأساسية فى البحث الاجتماعى

أولا : البحث الاجتماعى وتصميمه والمناهج والطرق والادوات كوسائل للمعرفة العلمية

ثانيا : المفهومات والفروض والنظريات كأساليب للتعبير عن المعرفة العلمية

تمهيد :

نحاول فى الفصل الحالى توضيح المقصود بالبحث الاجتماعى وتصميمه والمناهج والطرق والادوات باعتبارها وسائل فى التوصل الى المعرفة العلمية حول المجتمع أو غيره من موضوعات فى البحث أو الدراسة ، والقاء الضوء على المقصود أو مدلول المفهومات أو المصطلحات والفروض والنظريات باعتبارها أساليب أو صور للتعبير عن المعرفة العلمية التى توصلنا اليها عن طريق المنهج . والواقع ان تناولنا لهذه الاساليب والوسائل لن نتعرض فيه لمحتوى أو مضمون كل منها بقدر ما سنركز حديثنا حولها من حيث الشكل فقط ، وذلك لاننا قد ارجأنا الحديث عن مضمون هذه الاساليب والوسائل الى الوقت الذى سنوجه فيه الاهتمام بمناهج وطرق وادوات البحث الاجتماعى على وجه الخصوص ولذلك كنا حريصين منذ البداية ان نمهد لهذا الحديث المتعمق عن مضمون المناهج والطرق والادوات فى البحث الاجتماعى بحديث عام عن المقصود بالبحث الاجتماعى والمناهج والطرق والادوات ، وعن الخطوات المتبعة فى كل منها وعن أنواعها وخصائصها واهميتها فى كل دراسة وبحث حتى لا يضطرنا الامر ونحن نعمق الحديث عن هذه الاساليب والوسائل فى البحث الاجتماعى الى التوقف لتوضيح المقصود بكل منها على حدة ، وحتى نستطيع ان نتقدم فى هذا المجال بدون ان يعترضنا تساؤل حول هذا الاسلوب او تلك الوسيلة وهكذا . قسمنا الفصل الحالى الى قسمين الاول : يعالج مجموعة مفهومات البحث الاجتماعى وتصميمه والمناهج والطرق والادوات عموما كوسائل للوصول الى المعرفة العلمية ، والثانى يتناول بالتوضيح مجموعة مصطلحات المفهومات والفروض والنظريات باعتبارها اساليب وصور يستفاد منها فى التعبير عن المعارف فى البحث العلمى .

أولا – مجموعة مفهومات البحث الاجتماعى وتصميمه والمناهج والطرق والادوات كوسائل للمعرفة العلمية :

أ – البحث الاجتماعى Social Research

ما المقصود بالبحث ، وما هى المعانى المختلفة التى ظهرت له ؟ ، وما هى

الشروط التي يجب ان تتوفر في البحث ؟ وما هي الوظائف التي يستطيع البحث أن ينجزها ؟ وهل يمكن التمييز بين أنواع للبحوث ــ وما هي خطوات البحث ؟

يمدنا تراث البحث الاجتماعي او مختلف الكتابات التي تحت أيدينا وتدور حول موضوع البحث الاجتماعي ، بالاجابات التي نحتاج اليها على هذه التساؤلات . والواقع ونحن بصدد تحديد معنى البحث الاجتماعي ، يمكن أن نميز في هذه الكتابات بين مجموعتين من المحاولات ، محاولة تهتم بتحديد معنى بسيط للبحث ، وأخرى تسهم في تحديد معنى علمي دقيق البحث ، وتتلخص المحاولة الاولى في القول بأن عملية البحث تتم في أبسط صورها في حياتنا اليومية بأكثر من مظهر وشكل ، فعندما تصادفنا في حياتنا اليومية بعض المشكلات ونحاول الوصول الى حلول لها بطريقة أو بأخرى ، فاننا في هذه الحالة نقوم بعملية لا تختلف في شكلها عن عملية البحث الاجتماعي . وتزداد قدرتنا على حل هذه المشاكل اليومية كلما زادت وتعددت المواقف التي نجابهها وتطلبت منا البحث عن حل لها ــ وهكذا . وبالمثل يعتبر البحث بهذا المعنى البسيط محاولة لحل مشكلة ــ وبقدر زيادة المواقف المشكلة التي تحتاج الى بحث تنمو قدرتنا على اجراء البحث والتوصل الى حلول سليمة ما امكن ذلك .

اما محاولة تحديد معنى دقيق للبحث ، فتتلخص في قول البعض : بأن البحث عبارة عن عملية تقص أو فحص دقيقة للوصول الى حقائق او قواعد عامة والتحقق منها . أو في قول البعض الآخر ان البحث عبارة عن نشاط انساني مقصود وموجه نحو تحقيق غايات أو أهداف معينة سواء اكان هذا النشاط يتم عن وعي او قصد او بدون وعي أو قصد على انه يمكن لنا ان نستنتج من هذه المحاولات لتحديد معنى دقيق للبحث ما يلي أن البحث عبارة عن نشاط انساني يأخذ صورة التقصي او الفحص الدقيق بهدف الى التوصل الى حقائق او قواعد عامة مثل الفروض ، او الى تحقيق غايات او اهداف (مثل حل المشكلات) وهو نشاط قد يتم عن وعي وقصد ، مثل التجارب العلمية او عن غير وعي وقصد

مثل (الملاحظات العابرة التى يجريها الباحثون وتؤدى الى اكتشافات علمية ، وهذا ما حدث مع نيوتن عندما اكتشف قانون الجاذبية الارضية من ملاحظته العابرة لسقوط التفاحة على الأرض) .

والواقع ان تحديد معنى البحث على النحو السابق ، ينطوى على اشارة لبعض الشروط التى يجب ان تتوافر فى هذا النوع من النشاط الانسانى من أهمها ضرورة ان يتسم هذا النشاط بالدقة والحياد وعدم التحيز والالتزام بقواعد المنهج والموضوعية والوضوح والبساطة ، وهى شروط يجب ان يلتزم بها كل من يحاول القيام بمثل هذا النشاط الانسانى ،حتى يحتفظ لنفسه بالفارق الذى يميز الباحث العلمى عن رجل الشارع وكل من يقوم بنشاط انسانى عادى . اذ لا يتصور ان يكون الباحث فى نشاطه الانسانى الذى يحاول به تقصى الحقائق غير دقيق او ينحاز الى احد الاتجاهات ويتبع قواعد منهجية غير مستخدمة فى مجال البحث العلمى او يكون غير واضح وذاتى فى كل ما يقوم به من أفعال فى هذا الصدد .

كما تنطوى محاولات التعريف السابقة لمعنى البحث ايضا على تحديد للوظائف التى يهدف البحث الى القيام بها او انجازها ، فالبحث قد يهدف الى الاجابة على تساؤل واحد او مجموعة تساؤلات او يحاول وصف ظاهرة او صياغة وبلورة فروض علمية او قضايا تعميمية او قوانين ، ومن ناحية اخرى قد يتركز البحث فى التوصل الى حل لمشكلة قائمة .

وكان من نتيجة هذا التحديد لوظائف البحث ان ظهرت بين مجموعة الكتابات التى تناولت فكرة البحث بالتوضيح ، محاولة لتقسيم او تصنيف البحوث الى انواع متباينة من أهمها محاولة تصنيف البحوث الى بحوث اساسية Basic Research والى بحوث تطبيقية Applied Research يهدف النوع الاول الى المعرفة لمجرد المعرفة أو الى الوصول الى معلومات أو معارف علمية معينة ، مثل البحث الذى يحاول

الاجابة على سؤال او التحقق من احد الفروض العلمية او التوصل الى قضية تعميمية أو ما اليها ، ويهدف النوع الثانى من البحوث الى توثير المعرفة لصالح المجتمع وحل مشاكله .
ولكن ليس معنى هذا ان هذين النوعين من البحوث يعارض كل منهما الاخر ، او ان احدهما يفضل الاخر . وانما قد يفيد البحث الاساسى فى القاء الضوء على مشكلة واقعية ، او قد تستفيد من البحث التطبيقى الذى يصل الى الحل المناسب لمشكلة معينة ، فى صياغة فروض علمى من الفروض التى يهتم البحث الاساسى بالتحقق منها . كما ان البحث الاساسى يهدف الى توصيل نتائجه الى الاخرين حتى يمكن الافادة منها فى بحوث أخرى او فى حل مشكلات واقعية . وهذا معناه انه لا اساس من الصحة لقول البعض انه فى البحث الاساسى يكون الاهتمام مباشرة بالوصول الى المعلومات والحقائق العلمية ، ومن ثم لا يجب على الباحث ان يهتم او يعنى بالاستخدامات التى ستوظف فيها هذه المعلومات ، ومن ثم فان تمييزهم بين النوعين من البحوث ، البحث الاساسى من ناحية والبحث التطبيقى من ناحية أخرى ، ليس له ما يبرره . لاننا هنا قد نتسائل فهل هى حقيقة ان البحث الذى يهتم بالمعلومات لا ينطوى على اهداف اخرى غير الرغبة فى الوصول الى المعلومات ؟ وللاجابة على ذلك نأخذ مثلا ، حالة الباحث الذى يدرس الاسلوب الانتخابى لكى يكشف افتراضا لماذا لا يتقدم بعض اولئك الذين لهم حق التصويت على التصويت بالفعل . ويصرح مثل هذا الباحث انه لا يقصد القيام بأى عمل مهما كان لكى يؤثر على السلوك الانتخابى Votiry ، وانما هو يريد فقط ان يفهم هذا السلوك كما الذى يحدث عندما يكتمل بحثه ؟ احد امرين ، فهو اما ان يقوم بتوصيل نتائجه الى الاخرين او قد لا يوصلها . واذا لم يقم بتوصيل نتائجه الى اى احد ، فان هذا البحث لا يكون علميا ، لان العلم يعتبر بمثابة نظاما اجتماعيا ولا يمكن ان يكتب له اذا رفضت كل البحوث توصيل نتائجها للاخرين . فالعلم يعد بالضرورة شيئا عاما . وان كان هذا ليس بالامر النموذجى . ذلك لان الباحث يحتمل كثيرا ان ينشر نتائجه او ان يقوم بدمج هذه النتائج فى بحثه التالى . وهذه حقيقة لا شك فيها ، ان للبحث الذى يهتم بالمعلومات هدف واضح ـ هذا فضلا عن انه طالما كان الباحث

عالما ، فانه يريد ان يمدنا بالمعلومات الدقيقة (كأدوات ووسائل كافية او فعالـــة effecient instrumevt) من اجل بحوث مستقبلية وتتمثل مشكلته اذن فى اختيار اكثر الادوات كفاءة ووسائله من المتوافر لديه لكى تكون اساسا فى حل مجموعة معينـة من المشاكل • ويكون الهدف تسهيل حل هذه المجموعة من المشكلات •

والبحث الذى يهتم بجمع المعلومات اذن مثل كل البحوث الاخرى ، يكون لــه هدف ، وهدفه هو هدف علمى فى طبيعته ، ولكن هذا لا يؤثر فى الحقيقة القائلـــة بأنه بحث له هدف والبحث لا يكون اساسيا الى الحد الذى يكون بعيدا عن الاهتمـام بالتطبيق وانما الى الحد الذى يكون التطبيق الذى يهتم به تطبيقا علميا •

وكل هذه المحاولات وغيرها التى اهتمت بتحديد معنى البحث وشروطه ووظائفه وأهدافه ، لم تغفل او تتجاهل عملية تحديد الخطوات التى يمكن ان يمر بها البحث • اذ يذهب البعض الى ان خطوات البحث تنحصر فى :

١- اختيار مشكلة البحث وتحليلها الى عناصرها او بلورتها •
وتحديد البيانات المطلوبة والتأكد من امكانية الحصول عليها ، ثم جمـــع البيانات وتصنيفها وتحليلها وتفسيرها ، ثم اعداد تقرير نهائى للبحث•

ويذهب البعض الاخر الى القول بأن خطوات البحث تبدأ بعرض التراث وتنظيم وجمع المادة والبيانات وتركيب الحقائق وربطها ببعضها ثم صوغ تعميمات حولهـــا أو تصفية الحقائق بعد غربلتها وتمحيصها وبناء النماذج ••• وهكذا ما سوف نتناولـــه بالتفصيل كل فى مكانه •

ب — تصميم البحث Design Research

نحاول فيما يلى توضيح معنى التصميم من خلال عملية المماثلة • فنقول ان المهندس المعمارى arclutect يصمم بناء المنزل • وفى تصميم المنزل ، يأخذ المهندس فى اعتباره كل قرار يكون من الواجب عليه اتخاذه فى عملية تشييد البناء ، فهو يأخذ فى اعتباره القرار المتعلق بحجم المبنى ، وعدد الحجرات ، والمواد التى تبنى منها ، وهو يفعل كل ذلك قبل ان يبدأ عملية التشييد الفعلية وهو يشرع او يبدأ فى هذا الطريق لانه يرغب فى تصور الصورة الكلية او صورة ذلك البناء كله قبل ان يبدأ فى تشييد اى جزء منه ، وبواسطة هذه الصورة يمكن له ان يصحح الاخطاء ويدخل التحسينات • او التعديلات قبل ان يبدأ البناء • ويصمم معناه يضع خطة ، بمعنى ان التصميم هو عملية اتخاذ القرار قبل ان يتحقق الموقف الذى سينفذ فيه هذه القرارات • وهى عملية توقع مقصوده موجهه نحو ايجاد موقف متوقع يخضع للضبط والتحكم •

وتطبيق هذه الافكار على البحث ليس بالامر الصعب فقبل ان نجرى البحث ، واذا توقعنا كل مشكلة بحث و قررنا ما نفعله مسبقا ، فاننا نزيد هنا فرصنا فى التحكم فى اجراء البحث •

ولا يستطيع المهندس المعمارى ان يحتفظ بكل قراراته فى ذهنه ، وحتى اذا استطاع ذلك ، فقد تواجهه صعوبة تصور بعض ارتباط كل هذه القرارات ببعضهما • ونتيجة لذلك ، فانه يسجل قراراته باستخدام الرموز والرسومات ، وما اليها ، بمعنى انه يسجل ويجد العلاقات المتداخلة بين قراراته ، اما فى صورة تخطيطيه او بيانيه ، او فى نموذجية تأملية — ويعتبر النموذج المعمارى بمثابة تمثيل يوضح العلاقات المتداخلة بين كل القرارات التى قد اتخذت • وهكذا يسهل النموذج عملية التقييم الشاملة للخطة •

وبالمثل يستطيع المصمم فى العلم ان يسجل ، باستخدام الرموز مختلف قرارات البحث التى يتخذها ، ويطلق على هذا التصور او البناء الرمزى الذى يتكون من مفاهيم وتصورات ، نموذج البحث او النموذج او استراتيجية البحث .

ج ــ المنهج العلمى Scieutific Nelbod

ما هو المقصود بالمنهج العلمى ، وما هى خطواته ، وما هى خصائصه ثم ما هى أنواعه ؟ تلك بعض التساؤلات التى يمكن ان نبدأ بها تحليلنا لموضوع المنهج العلمى باعتباره واحد من اهم المفهومات فى القيام بأى عمل علمى ، ويمثل مجموعة من العمليات العقلية التى تقود اى بحث علمى ودراسة مهما كان موضوعها .

والواقع اننا لو امعنا النظر فيما توفر تحت يدنا من كتابات فى هذا الميدان ، نلاحظ ان هناك عدة تعريفات ظهرت للمنهج منها :

ان المنهج مجرد اسلوب يسير على نهجه الباحث لكى يحقق الهدف من بحثه كأن يجد اجابة مناسبة للسؤال الذى يطرحه ، او يستطيع التحقق من الفرض الذى يبدأ به بحثه . وفى قول آخر يحدد المنهج بانه عبارة عن مجموعة من الاسس والقواعد والخطوات المنهجية التى يستعين بها الباحث فى تنظيم النشاط الانسانى الذى يقوم به من اجل التقصى عن الحقائق العلمية او الفحص الدقيق لها .

وفى تعريف آخر ، يعتبر المنهج بمثابة الاستراتيجية العامة او الخطة العامة التى يرسمها الباحث لكى يتمكن من حل مشكلة بحثه او تحقيق هدفه . كما نجد تحديدا اخير للمنهج بصفة بانه الطريقة المؤدية الى الكشف عن الحقيقة بواسطة طائفة من القواعد التى تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل الى نتيجة معلومة .

والنتيجة التي يمكن ان نستخلصها من كل هذه التعريفات ، ان المنهج عبارة عن اسلوب او تنظيم او استراتيجية او خطة عامة تعتمد على مجموعة من الاسس والقواعد والخطوات يستفاد منها في تحقيق اهداف البحث او العمل العلمي •

ولذلك ينبغي ان نوضح ايضا المقصود بخطوات المنهج او قواعده على حد تعبير بعض العلماء من امثال اميل دوركايم ، وبغض النظر انضا عما يمكن ان يواجهنا من اختلافات بين الكتابات المتباينة في تحديد خطوات المنهج وقواعده ، فان المتفق عليه في هذا الصدد انه اذا كانت الحقائق العلمية في حاجة الى طريقة للتنقيب عنها أو ملاحظتها او وصفها او قياسها فان التنقيب او الملاحظة او القياس تعتبر دعامة أو خطوة اولى من خطوات المنهج • كما انه اذا كانت هذه الحقائق تتطلب بعد ذلك وتفرض على الباحث ضرورة التدخل لتصنيف وترتيب الحقائق العلمية التي نقب عنها اولاحظها او قام بقياسها ،حتى يستطيع ان يحدد جوانب التشابه والاختلاف فيما بينها ذلك يمكن اعتبار عمليات التصنيف وترتيب الحقائق دعامة اخرى اوخطوة ثانية من خطوات البحث • واذا كان بعد ذلك من استخلاص نتيجة عامة من هذه الحقائق المصنفة والمرتبة وصياغة بعض القضايا التي تفيد في وصف تكرار الحقائق بصورة يمكن تطبيقها على كل الظواهر المتشابهة او بلورة تعميم او قانون علمي ، فانه يمكن اعتبار عملية التعميم هذه بمثابة قاعدة اخرى من قواعد المنهج او خطواته وهذا ما سنوضحه بالتفصيل عند حديثنا عن المعرفة العلمية والمنهج العلمي •

والشيء الملحوظ ايضا من هذه الحقائق ان المنهج يمتاز بخواص ومميزات اذا كان بعضها لا يختلف عن خواص او شروط ومميزات العمل العام مثل الدقة والموضوعية والحياد في عمليات التنقيب والملاحظة والقياس والتصنيف والترتيب والتعميم وغيرها فان هنا ميزة اخرى وخاصية اضافية للمنهج هي انه يطبع البحث او العمل العلمي بطابعه ويؤثر من ناحية اخرى في انقسام المنهج وتميزه الى انواع فالمنهج يطبع البحث بطابعه

ويتلون بلونه ويحدد وصفه وصفته على هذا الاساس فاذا كان البحث يتطلب استخدام قواعد القياس فانه لا يجد مفرا من ان يستعين فى هذا الصدد بالمنهج التجريبى ، الامر الذى يكتسب هذا البحث بعد ذلك صفة التجريب ، ويقال عنه بحث تجريبى .

واذا كان البحث يحتاج الى الاستعانة بقواعد الوصف فانه لا يجد بدا من الاعتماد على المنهج الوصفى مما يترتب عليه ان يكتسب البحث صفة الوصف ، ويقال عنه بحث وصفى .. واذا كان البحث يتطلب الاعتماد على قواعد التنقيب عن الحقائق التاريخية فانه لا يجد مناصا من اللجوء الى المنهج التاريخى مما يترتب عليه ان يكتسب البحث الصفة التاريخية ويقال عنه انه بحث تاريخى .

والامر الواضح بعد ذلك انه يمكن لنا ان نميز فى المنهج بين عدد من الانواع، فى مقدمتها ، المنهج التجريبى والمنهج التاريخى واذا جاز لنا ان نشير الى بعض الحقائق التى تحدد الاختلاف بين هذين النوعين من المناهج ، فانه يمكن القول باختصار ان المنهج التجريبى هو المنهج الذى يدرس الظواهر الحاضرة او الراهنة ويحاول التوصل الى القوانين العامة او العلاقات الثابتة بين الاشياء ، ويعتمد فى ذلك على الملاحظة والقياس والتجربة ويقوم على التعميم ويصوغ قوانين فى صورة رياضية - اما المنهج التاريخى فهو المنهج الذى يدرس ظواهر الماضى يقوم الباحث بالتنقيب عنها فى وثائق التاريخ ، فهى ظواهر لا تقع مباشرة تحت الملاحظة وانها لا تتكرر مطلقا على نمط واحد فيقوم المؤرخ بجمع الوثائق محاول التحقق منها بحوث يعتمد على طريقة التحليل والتركيب العقلين وذلك كله يهدف البحث عن العلاقات السببية بين الحوادث الماضية .

د - الطرق Techniques

ما هو المقصود بالطرق ؟ وما هى أنواعها ؟ ، وما هى اهميتها ؟
يمكن ان نستدل على المقصود بالطرق وانواعها واهميتها من خلال ربطها

بالمنهج كاستراتيجية او خطة عامة او مجموعة قواعد يستفاد منها فى الوصول الى المعرفة العلمية فى اى عمل علمى ، ينطوى على عدة خطوات هى التنقيب والتنسيق والتعميم ، بحيث يمكن القول انه اذا كان المنهج استراتيجية فالطريقة تمثل تكتيكا يظهر بوضوح فى عمليات التنقيب والتنسيق والتعميم بحيث انه اذا كان المنهج التجريبى كاستراتيجية يستخدم التجربة فى عملية التنقيب ويعتمد على القياس فى تناول المتغيرات او الظواهر موضوع التجريب ، ويستعين بالفروض فى ترتيب وتنسيق نتائج التجربة والقياس ، فانه يمكن القول عموما ان القياس يمثل التكتيك او الطريقة التى يعتمد عليها المنهج التجريبى فى مختلف عملياته حتى يصل الى التعميم او النتائج العامة او القانون اونه اذا كان المنهج التاريخى ـ كاستراتيجية يعتمد على الوثائق الشخصية والكتابات التاريخية بكافة صورها من خطابات ومذكرات وسير ذاتية وما اليها ، فى التنقيب عن الحقائق التاريخية ويستعين بعمليات التحليل والتركيب العقليين فى ترتيب وتنسيق هذه الحقائق ... الخ ، فاننا يمكن ان نعتبر تحليل الوثائق الشخصية بمثابة التكتيك او الطريقة التى يستعين بها المنهج التاريخى فى الوصول الى العلاقات بين الظواهر التاريخية .. وهكذا . وبهذا المعنى يتضح مدلول الطريقة كتكتيك من خلال ربطها بالمنهج كاستراتيجية . والواقع انه يمكن ايضا التمييز فى الطرق بين انواع مختلفة على اساس ربطها ايضا بالمنهج ، ذلك ان عملية التنقيب كخطوة اولى فى المنهج والتى تستند الى طريقة فى التنقيب ، قد تتم من خلال الوصف الكيفى او الكمى للحقائق او من خلال القياس ، ولما كانت عملية التنقيب من خلال الوصف الكمى يمكن ان تتم بواسطة تكتيكات المسح الاجتماعى وتحليل البيانات الجاهزة وتحليل المضمون او الوصف الكيفى من خلال تكتيكات دراسة الحالة وتحليل الوثائق وكانت عملية التنقيب من خلال القياس فى المنهج التجريبى ، تتم بواسطة تكتيك القياس الاجتماعى او قياس المكانة او قياس القيم او قياس الاتجاهات فانه يمكن اعتبار كل هذه التكتيكات وغيرها انواعا للطرق التى يستعين بها المنهج فى الوصول الى المعارف العلمية حول دراسة المجتمع وتبدو اهمية هذه الطرق اذا علمنا ان كل تكتيكاً وطريقة منها لها استخداماتها المحددة التى تفيد اكثر من غيرها فى هذا المجال بحيث يمكن القول

مثلا ان المسح الاجتماعي كطريقة في دراسة المجتمع يفيد في الوصول الى بيانات دقيقة منظمة تلقى الضوء على الوضع الراهن لظاهرة اجتماعية او نظام او غيره وان تحليل البيانات الجاهزة كطريقة في دراسة المجتمع تفيد اكثر من غيرها في التحقيق من بعض الفروض حول ظواهر المجتمع او استكمال مراحل بحثها او في اختيار حالات الدراسة وهكذا الامر الذى سنفيض في تفاصيله عندما نتناول مضمون كل تكنيك من هذه التكنيكات كل في حينه •

ء ـ الاداة Tool

ما المقصود بالاداة ؟ وما هي انواع الادوات ؟ وما هي العوامل التى تسهم في حسن انتقاء اداة اللازمة للعمل العلمى ؟ وما هي الشروط التى يجب ان تتوفر في الاداة الصالحة لكل عمل علمى ؟•

وبامكاننا ايضا ان نوضح المقصود بالاداة من خلال علاقتها ايضا بالمنهج والطريقة المستخدمة في دراسة واحد من موضوعات وظواهر المجتمع موضوع اهتمامنا ، ذلك لان المنهج كاستراتيجية والطريقة تفيد ، في الوصف او القياس مثلا ، كما اوضحنا ، تستعين بالادوات اللازمة في توفير بيانات الوصف او القياس اذ يستعان مثلا في المسح الاجتماعي بادوات معينة في جمع بياناته ، كما يستعان في القياس الاجتماعي بأدوات معينة أخرى هي الاختبارات تساعد في الوصول الى بيانات القياس وهكذا • ولذلك تحدد بأنها الوسيلة التي يلجأ اليها الباحث للحصول على المعلومات والبيانات التى يتطلبها موضوع بحثه . قد يجد الباحث الاجتماعي ان عليه ان يقوم بملاحظة الانشطة التى ينشغل بها مجموعة من الافراد او لضروب التفاعل الاجتماعي مثلا فيما بينهم او قد يجد من الافضل ان يقوم باجراء مجموعة من المقابلات مع المبحوثين او يقتنع انه من المناسب وضع قائمة من الاسئلة يقوم بتوجيهها بنفسه الى المبحوثين او ارسالها لهم عن طريق البريد .... الخ الامر الذى يمكن القول معه ان هذه الوسيلة في جمع البيانات تتنوع وتختلف بين الملاحظة والمقابلة والاستخبار بحيث تمثل هذه الادوات الانواع المعروفة في البحث الاجتماعي

كأدوات لجمع البيانات والتي يمكن الباحث من الاجابة على السؤال بماذا سوف يقوم الباحث بحل مشكلة بحثه ؟ ولكل نوع من هذه الانواع من الادوات متطلباتها واستخداماتها ومميزاتها وعيوبها ينبغى ان تحيط علماً بها ونحن فى سبيل الالمام بكل ما يعنينا من قواعد تفيدنا فى وضوح فهم المناهج وطرق دراسة المجتمع .

ومع هذا التنوع فى ادوات البحث يمكن ان نشير الى بعض العوامل التى تتدخل فى اختيار اداة او وسيلة جمع البيانات المناسبة وفى مقدمة هذه العوامل موضوع او مشكلة البحث نفسه ونوع البيانات المطلوبة ومصادرها وكذلك منهجه وطريقته ثم ايضا طبيعة المجتمع المراد جمع بيانات منه وظروفه الاجتماعية والاقتصادية والطبقية والثقافية ودرجة استعداد افراده او عدم اكتراثهم وتعاونهم مع الباحثين وتتدخل كذلك خبرة الباحث ودرايته بأدوات جمع البيانات وتدريبه على استخدامها فى انتقاء اداة البحث المناسبة لانه كلما تعمقت خبرته وتعددت ممارساته كلما انتقى افضل الادوات واكثرها ملائمة للبحث . كما تؤثر الامكانيات المادية والبشرية المتاحة للبحث فى انتقاء الاداة .

وتحتاج الاداة بعد انتقائها ان يتوافر فيها قدرا من الدقة والصدق والثبات حتى تحقق الشروط اللازمة للاداة الصالحة للبحث – ولن تتحقق هذه الشروط للاداة المستخدمة فى البحث الا بعد اخضاعها لعدة اجراءات منها الاختبار المبدئى preteset وحساب معدل ثبات ومعدل اخر للصدق قبل تعميم استخدام الاداة فى البحث .

<u>ثانيا – مجموعة مفهومات . المصطلح او المفهومات والفروض والنظريات كأساليب للتعبير عن المعرفة العلمية :</u>

أ – <u>المفهومات العلمية :</u> Sauntific Termes or cenecpts

ما المقصود بالمفهوم العلمى ؟ وما هى أنواع المفهومات العلمية ؟ وما هى الشروط

التى يجب ان تتوفر فى المفهوم ؟ وما اهمية تحديد المفهومات فى البحث العلمـــى الاجتماعى ؟ او فى العمل فى مجال دراسة المجتمع ؟

وبالنظر الى تراث البحث العلمى والكتابات التى تتناول فكرة المفهوم ، نجـــد ان البعض يذهب الى ان المفهوم عبارة عن صورة من صور انعكاس العالم الخارجـى علـى عقل الانسان مما يساعد على التعرف على جوهر الظواهر .

ويحدد المفهوم فى رأى البعض الآخر : بانه تصور مجرد للوقائع التى تم ملاحظتها او وصف تجريدى لوقائع ملحوظة فمثلا مفهوم (الانسان) يعنى الصفات العامة المشتركة التى يتصف بها الجنس البشرى . او يحدد المفهوم فى راى ثالث بانه تمثيل مختصر لعدد من الحقائق المتغايرة والمتنوعة وهذا ينطبق ايضا على مفهوم الانسان الذى ينطوى علـى حقائق متنوعة مثل مختلف الاجناس فى العالم وهكـــذا .

ويمكن ان نستخلص من هذا التحديد للمفهوم العلمى ، ان هناك انواع متباينـة للمفهومات ، اذ نجد البعض يفرق فى هذا الصدد بين المفهومات البسيطة ، مثل مفهوم الانسان والذى يسهل تحديده وربطه بمدلوله ، وبين المفهومات المجردة وهى نوع مـن المفهومات يصعب تحديدها تحديدا واضحا او ربطها بمدلولاتها مثل التعلم والاشـارة فهى عبارة عن استنتاجات على مستوى عال من التجريد لحقائق قائمة يصعب تحديدها ..

وعموما يمكن ان نشير الى بعض الخصائص التى يمتاز بها المفهوم العلمى منهـا ان المفهوم ليس امرا ثابتا او استاتيكيا وانما هو تصور دينامى بما انه يقوم على الوقائــع التى تمت ملاحظتها فان ديناميته تأتى من تأثره بهذه الوقائع التى دائما ما تتغير وتسهم فى اثراء هذا المفهوم ويمتاز المفهوم من ناحية اخرى بأنه يربط الكلمات والاصطلاحـــات بأهداف وموضوعات محددة تجعل فى الامكان تحديد وفهم معانى هذه الموضوعات ومن ثم

دراستها وملاحظتها .

وهناك عدد آخر من الشروط التي استطاع الكتاب في مجال البحث العلمي أن يشيروا اليها بصدد المفهوم العلمي منها ان المفهوم يشترط فيه ان يكون مرتبطا ارتباطا وثيقا بعدد آخر من المفهومات داخل اطار فكري أو نظري واحد كما يشترط ان يكون المفهوم نسبيا وغير حتمي وان يكون من الدقة وعدم التميز الوضوح كما يشترط ان يكون جامعا ما امكن ... الخ .

وكان هذه الحقائق حول المقصود بالمفهوم العلمي وانواعه وخصائصه وشروطه تشير الى ضرورة الاهتمام بالمفهومات كأساليب للتعبير عن المعارف العلمية والى جوهرية وضع تحديدات مناسبة لهذه المفهومات المستخدمة في البحث العلمي . ولقد ذهب الكتاب في هذا الصدد الى انه لكي يمكن تقليل حدة الخلاف بين المعاني المستخدمة للمفهومات والوصول الى الدقة والوضوح يجب الاعتماد على طريقة وضع التعريفات الاجرائية للمفهومات Operetional def initions

ذلك التعريف الذي يهتم بتوضيح المفهوم وترجمته الى مدلولات شواهد يسهل قياسها او ملاحظتها .

ب ـ الفروض العلمية Scientific Hypet heses

ما المقصود بالفرض العلمي ؟ وهل هناك شروط لصياغته ؟ وما هي المصادر التي يمكن أن نستقي منها مثل هذه الفروض ؟ وما هي وظائف الفرض العلمي ؟

تمدنا الكتابات المتوفرة عن البحوث العلمية بعدد من التعريفات التي تحدد المقصود بالفرض العلمي منها قول البعض ان الفرض عبارة عن تصور محدد للارتباط بين

الوقائع او تول البعض الاخر بان الفرض يعتبر بمثابة حل مقترح لمشكلة محددة او تفسير مبدئي لظاهرة من الظواهر او تعميم مبدئي وتظل صحة هذا الحال او التفسير او التعميم وصلاحيته متوقفة على الاختبار او التحقق منه •

ويحدد الفرض فى قول اخير بانه وصف للعلاقة السببية بين متغيرين أو عاملين احدهما هو المتغير المستقل independent variable والآخر هو المغير التابع Dependent Variable ويقصد بالمتغير الاول ذلك الذى يفترض فيه التأثير فى المتغير التابع او المعتمد •

وهذه التحديدات المختلفة لمعنى الفرض توضح لنا انه يعتبر بمثابة قضية تحتاج صياغتها الى مجموعة من الشروط وانها كقضية لا تنبع من فراغ وانما ترد الى عدد من المصادر المتباينة ويستمد اهميته من مجموعة الوظائف التى يؤديها فى البحث الاجتماعى والعمل العلمى فى مجال دراسة المجتمع•

ومن الشروط المتفق عليها فى صياغة الفرض :

ان يصاغ بطريقة تسمح باقامة الاستدلال على سلامته أو عدم صحته وكلما كانت هذه الصياغة من الوضوح والدقة واحتوائها على اقل قدر من المتغيرات والعلاقات كلما امكن التحقق منه •

وان يصاغ الفرض بطريقة تسمح بتقديم اجابة او اقتراح لحل المشكلة المراد بحثها حتى لا ينحرف الى غير ما هو مقصود منه •

وان تنطوى صياغته على قدر من التنبؤ بالملاحظات لكى يكون قادرا على اثراء المعرفة التى يرتبط بها •

وأن نخبر صياغته على نحو يجعله قابلا للاختبار العلمى • وبامكاننا ان نصنف المصادر التى يمكن ان نستمد منها الفروض العلمية الى مصادر ذاتية واخرى موضوعية ترتبط المصادر الذاتية بالباحث نفسه وترتبط المصادر الموضوعية بظروف النظرية والبحث والكتابات التى تتوفر امامه اذ تنحصر المصادر الذاتية لاشتقاق الفروض وصياغته فى :

١ — قدرة الباحث على الحدس والتخمين والبداعة والقدرة على الابتكار •

٢ — وخبرة الباحث ومدى اطلاعه وسعة علمه وخياله العلمى •

اما المصادر الموضوعية فى صياغة الفروض فهى :

١ — النظريات العلمية التى تحوى تصورات وقضايا ومشروعات تفسيرية •

٢ — نتائج الدراسات والبحوث السابقة التى توصل اليها باحثون آخرون فى نفس التخصص •

٣ — الكتابات الفلسفية والتاريخية والادبية التى قد تنطوى على ما يثير فكر الباحث ويعينه على التقاط وصوغ الفروض المناسبة لموضوع بحثه • هذا وتفيد الفروض العلمية فى تحقيق عدد من الوظائف منها :

١ — توجيه الباحث نحو البيانات اللازم الحصول عليها لتساعده على ايجاد حل لمشكلة بحثه او تفسيرها •

٢ — تساعد الباحث على ترتيب هذه البيانات ترتيبا منطقيا وبطريقة سليمة تفيده فى اثناء تحليل هذه البيانات •

٣ — تساعد الباحث على تحديد مجال بحثه ووضعه فى اطار مناسب لامكانياته •

ج — النظرية العلمية : Scientific Theory

لما كانت النظرية ترتبط بالمنهج وكان البحث لا يستغنى عن النظرية ، وكانت

العلاقة بين النظرية والبحث لا تسير في اتجاه واحد وانما تسير في اتجاهين بحيث يؤثر البحث في النظرية وتؤثر النظرية في البحث، من ناحية يؤثر البحث في النظرية عن طريق ما يقوم به البحث من اختبار لفروض النظرية او التحقق منها او اعادة صياغتها او تعديلها او توضيحها او حتى ما يسهم به البحث على المبدأ في صياغة نظرية جديدة ومن ناحية اخرى تؤثر النظرية في البحث عن طريق ماتسهم به من العمل على توجيه دوائر البحث والمهتمين به نحو الموضوعات المثمرة وعلى اضفاء مغزى دلالاته على نتائج البحث العملية او على مساعدة توجيهات النظرية وتعميماتها ومفاهيمها على تنمية وتطوير البحث — وهكذا — على ضوء تلك العلاقة الواضحة والمتبادلة بين النظرية والبحث يثار في ذهننا عدة تساؤلات منها : ما المقصود بالنظرية وهل يمكن تمييز بعض الشروط التي يجب ان تتوفر في النظرية ؟ وما هي الخصائص التي تميز بناء النظرية وهل هناك وظائف معينة للنظرية ثم ما هي الانواع الممكنة للنظرية في العلم ؟ •

وتحدد النظرية في قول البعض بانها تعتبر بمثابة نسق استنباطي ينطوي على مجموعة من القضايا تحتل بعضها مكانة المقدمات او المسلمات في النسق وتحتل بعضها الاخر وضع النتائج او الفروض والتعميمات •

وتحدد النظرية في قول ثان : بانها نسق يشتمل على مفهومات وقضايا وتعميمات وقوانين •

وفي القول الثالث تعتبر النظرية بمثابة اطار يتكون من حسابات صورية ورموز وقواعد وتفسير جوهري وقوانين بمعنى ان النظرية تمثل اطارا يجمع بين ثناياه مجموعة من الصور او الاساليب (الفروض — القوانين) التي تساعد في التعبير عن المعارف العلمية •

واستطاع الكتاب ان يحددوا بعض الشروط التي يجب ان تتوافر في بناء النظرية منها : انه يجب ان تكون مفهومات النظرية محددة بدقة ووضوح كما ينبغي ان تكون القضايا التي تتكون منها النظرية متسقة فيما بينها او بعضها مع البعض الآخر وان تصاغ هذه القضايا بشكل يسهل معه اشتقاق التعميمات بطريقة استنباطية وان تخضع هذه القضايا للتحقيق الامبيريقي وان نجد لها تأييدا في الوقائع الامبيريقية .

كما امكن للمهتمين بالبحث والنظرية ان يتوصلوا الى عدد من الخصائص المميزة لبناء النظرية منها :

١ ـ انه بناء يجمع اشتات النتائج المبعثرة ويوحد بينها في قضايا خصبة ومثمرة تستكشف الطريق نحو ملاحظات ابعد مدى وتعميمات تطور من مجال المعرفة .

٢ ـ انها قضايا تستقى من الملاحظات والتعميمات كما تصدر عن احساس خفي وخلاق يتعمق وراء الادلة والوقائع والملاحظات .

٣ ـ انها قضايا غير نهائية او استاتيكية لانها قابلة للتغيير والمراجعة والتعديل وانها اكثر ارتباطا بالوقائع الامبيريقية .

وفيما يتعلق بالوظائف التي تقوم بانجازها النظرية فلقد انتهت الكتابات في هذا الصدد الى ان النظرية هي وسيلة العلم التي تعينه على وصف الظواهر وتصنيفها وتحليلها وتفسيرها والتنبؤ بحدوثها في المستقبل ذلك لان النظرية تمد الباحث بالمفهومات التي يتم على ضوئها وصف الظواهر كما تمده بالفئات التي تعين في التصنيف وبالنتائج العامة أو التعميمات التي يستعين بها في التحليل والتفسير كما تمده بالقوانين التي يمكن على هديها التنبؤ بحدوث الظواهر في المستقبل .

ولم يتوقف تحليل النظرية العلمية عند هذا الحد وانما تطرق ايضا الى موضوع تصنيف النظرية الى انواع منها النظريات التحليلية والمعيارية والميتافيزيقية والعلمية ومن أمثلة النظريات التحليلية رما هو معروف في المنطق والرياضيات من نظريات لا تقرر شيئا عن العالم الواقعي بقدر ما تتكون من مجموعة من القضايا البديهية التي يشتق منها بعض الاحكام .

ومن أمثلة النظريات المعيارية تلك النظريات التي تبلور مجموعة من الحالات المثالية التي يتطلع اليها الانسان وهو نوع من النظريات معروف في نطاق الاخلاق وعلم الجمال .

اما النظريات الميتافيزيقية فهي نوع من النظريات لا يقبل الاختبار بطريقة منطقية وانها تقدم مسلمات تفيد في مجال اقتراح البرامج واخيرا النظريات العلمية ، التي تتميز بانها نظريات تقريرية وامبيريقية وشاملة وفي نفس الوقت بانها نظريات احصائية احتمالية ، علمية ... الخ .

\-\-\-\-\-\-\-\-

الفصل الثانى : أنواع المعرفة وقواعدها العلمية

أولا ـ المعرفة بالخبرة

ثانيا ـ المعرفة الفلسفية

ثالثا ـ المعرفة العلمية

رابعا ـ المنهج العلمى أساليبه وخطواته

أنواع المعرفة وقواعدها العلميـــــة

مقدمـــــة :

من الطبيعي ان نركز اهتمامنا في هذه المحاضرات على البحث العلمي ومـــا يستند عليه من منهج معين وما يحققه من تحصيل للمعارف العلمية ولقد تعمدنا ان نستهل هذا الفصل بعبارتنا هذه لنلفت الانظار الى بعض الحقائق منها ان المعرفـــة العلمية ليست هي كل انواع المعرفة الانسانية من ناحية ، وان البحث العلمي ليس هـو وحده السبيل الوحيد للحصول على المعارف من ناحية ثانية ، وان المعرفة العلميـــة لذلك معرفة ذات طابع وخصائص مميزة وشروط محددة لا بد من توافرها للحصول عليها .

ولان الانسان قد فطر على ان يكون محبا للاستطلاع ، ولانه من الصعب عليه ان يعيش وسط بيئة تحيط به دون ان يعرف عنها شيئا ، كان ـــ ولا يزال يطرح تســـاؤلات عديدة يحاول ان يجد اجابة عنها ، الامر الذي ادى الى زيادة حصيلته من المعـــارف التي اعانته على فهم ما يحيط به من ظواهر . غير ان البحث العلمي لم يكن هو السبيـــل الوحيد الذي يسلكه الانسان للتوصل الى اجابات عن تساؤلاته ، فكثيرا ما كانت هـــذه التساؤلات تمس موضوعات لا تنتمي للعلم بصلة ولكنها مع ذلك كانت جديرة بالاهتمـــام والبحث حيث لم يجد لتساؤلاته التي دارت حول الحق والخير والجمال والواجب اجابات باستخدام مناهج العلم . ولعلنا نجد في هذه الحقيقة ما يكفي للاشارة الى ان القدرة العقلية للانسان لم تكن بحال من الاحوال مرتبطة او محدودة بالعلم وحده .

ولقد اوضح مؤرخو العلم كيف انفصلت بعض مناهج البحث المتخصصة عن الفلسفة التي آتى عليها حين من الدهر ضمت بين طياتها كل الوان المعرفة الانسانية . ولسنـا هنا بصدد تاريخ لهذه الحركة ولا لنشأة العلوم المختلفة وانما نشير فقط الى ان كـــل فرع من فروع العلم المختلفة نشأ اصلا عن ذلك الاهتمام بمعرفة شيء ما عن العالم الـــذي يحيط بالانسان .

وقد يبدو من الملائم قبل البدء في الحديث عن المعرفة العلمية وخصائصها والاسلوب او المنهج الذى يحقق التوصل اليها ان نتعرض لتحديد طبيعة المعرفة وانواعها والخصائص المميزة لكل نوع وذلك على النحو التالى :

ماهى المعرفة ؟

من أبسط تعريفات المعرفة إنها عبارة عن مجموعة المعانى والمعتقدات والمفاهيم والتصورات الفكرية التى تتكون لدى الانسان نتيجة لمحاولاته المستمرة لفهم الظواهر والاشياء المحيطة به • انها باختصار اجابة عن السؤال ـ كيف تعرف ما تعرفه ؟ أو بعبارة اخرى انها تمتد لتشمل كل ما يحيط بالانسان من ظواهر مختلفة طبيعية وبيولوجية واجتماعية وثقافية ونفسية • واذا كنا قد اوضحنا من قبل ان المعرفة العلمية لا تشتمل على كل انواع المعرفة الانسانية فان ذلك يعنى ان المعرفة ليست هى العلم بل هى اوسع مدلولا واكثر شمولا وابعد نطاقا لانها اى المعرفة تتضمن معارف علمية واخرى غير علمية اولا تمت للعلم بصلة ، ولعل ما يميز المعرفة العلمية عن سواها هو اسلوب التفكير الذى اتبع فى تحصيلها بحيث تصبح المعرفة العلمية هى المعرفة التى اتبع الباحث فيها قواعد المنهج العلمى فى التعرف على الاشياء والكشف عن الظواهر لتفسيرها والتنبؤ بها والسيطرة عليها وفقا لقوانين محددة وبحيث يصبح العلم فى النهاية منهجا أو أسلوب تفكير يستخدم قواعد المنهج الصحيح للكشف عن القوانين العامة التى تسيطر على مجموعة من الظواهر

وجدير بالذكر ان العلم والمعرفة العلمية بهذا المعنى كانت تمثل المرحلة المتأخرة من تاريخ الفكر الانسانى وهذا ما اشار اليه أوجست كونت فى قانونه المعروف بقانون المراحل الثلاثة والذى ذهب فيه الى ان الفكر الانسانى قد مر بثلاثة مراحل تبدأ بالمرحلة اللاهوتية أو الغيبية يليها المرحلة الفلسفية اوالميتافيزيقية

وتنتهى بالمرحلة العلميــة اوضعية التى تخلص فيها الانسان من مختلف التفســيرات الغيبيــة والدينية والفلسفية لينحو نحو التفسير الوضعى والعلمى للظواهر ، ذلـــك التفسير الذى يقوم على منهــج محدد تمثل مناقشة خصائصه وخطواته مهمة اساسيــة لنا فى هذا الفصل .

الـوان المعـرفة

أشرنا فيما سبق الى تعدد الوان المعارف التى حصل عليها الانسان عبر تطور تاريخ تفكيره والى أن المعرفة العلمية تمثل لونا واحدا وحديثا منها . ونستطيع لهدف الشرح والتوضيح أن نميز بين ثلاثة الوان للمعرفة هى :

١ ـ المعرفـة بالخـبرة .
٢ ـ المعرفـة الفلسفيـة .
٣ ـ المعرفة العلميـة .

أولا ـ المعرفة بالخبرة (الشائعة ـ العامة)

وتعرف ايضا بالمعرفة الحسية ، ويمثلها مجموعة المعارف التى يحصل عليها الانسان عن مختلف الظواهر التى تحيط به عن طريق الملاحظة البسيطة لها ، والتى لا تتعدى حدود الادراك الحسى العادى دون محاولة منه لفهم الظواهر التى يدركها بحواسه سواء بربطها بغيرها او بالتعمق فى بحث اسبابها ونتائجها او انها ببساطة تلك المعرفة التى يحصل عليها الانسان بحكم العادة او معاينة الظواهر المحيطة به ، او بطريقة تلقائية غير مقصودة اساسها الحس او الادراك العادى . فكثيرا ما يعرف رجل الشارع ان الليل والنهار يتعاقبان ، او انه اذا القى باى جسم سقط على الارض او ان المرأة لا تنجب فى سن ما بعد الخمسين مثلا وقد عرف كل هذه الامور وامور اخرى غيرها بحكم العادة او بالادراك الحسى العادى او بالمعاينة والخبرة ولكن معرفته هـذه لا تخطوا الى أبعد من ذلك بحيث لا يعرف اسباب تعاقب الليل والنهار او سقـوط الاجسام او عدم الانجاب فى سن معينة لان هذا اللون من المعرفة لا يرقى الى مستوى الكشف عن حقائق علمية ككروية الارض او دورانها حول الشمس او الجاذبية او الخصائص الفيسيولوجية لسن اليأس عند المرأة .

وتمثل المعرفة بالخبرة او المعرفة الحسية اكثر الوان المعرفة الانسانية بساطة وسذاجة وبدائية ، حيث لجأت اليها البشرية منذ فجر نشأتها لاكتساب الخبرات وليس بهدف التوصل الى حقائق علمية او غايات نظرية بل لاهداف عملية اى من اجل التغلب على مشكلات الحياة وتدبير امورها .

وتتميز المعرفة بالخبرة باستخدامها لبعض الوسائل التى تبعدها كل البعد عن المعرفة العلمية حيث نجدها تعتمد على ما يتمتع به الفرد من فطنة او بداهة او ما يطلق عليه البعض اسم الحس ولذلك فهى اقرب الى الانطباعية منها الى الموضوعية ولانها تتحدد اساسا فى ضوء الخبرة الشخصية للفرد لذلك تميزت بالنسبية والذاتية فكم من المعارف التى يكتسبها بعض الافراد بخبراتهم غير متوفرة لغيرهم . وتعبر الاراء الشائعة عن هذه الحقيقة بوضوح فالقول الشائع (اكبر منك بيوم يعرف عنك بسنة) لهو خير تعبير عن نسبية هذا اللون من المعرفة .

وبالاضافة الى ابتعاد هذه المعرفة عن خصائص الموضوعية العلمية فانها تتميز ايضا بأساليبها الخاصة فى التعبير حيث يعبر عنها فى شكل اعتقادات واتجاهات فردية وميول بل قد تتخذ شكلا من اشكال التعصب كما انها فوق ذلك كله تميل بالفرد الى ان يلجأ فى كثير من الاحيان الى تفسيرات غيبية او خرافية او غير منطقية يبرر بها ما يعتقده من افكار او ما يتعصب له من المعارف.

وباختصار فان هذا النوع من المعرفة يتحصل عليه الفرد نتيجة لبعض التجارب الفجة وخبرات محدودة فتقف عند مواجهة بعض المواقف العملية المحددة وسرعان ما تنتقل بين الناس بحكم العادة يسلمون بها دون فحص او تبرير منطقى ولذلك فهى تختلف باختلاف السياقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية لما يرتبط باختلاف هذه السياقات من تنوع للخبرات التى يمارسها افراد كل مستوى او فئة معينة ولا عجب ان نجد نتيجة

لذلك تناقضا واضحا بين مكوناتها وخير مثال على هذا التناقض اننا نجد ان لكل مثل من الامثال الشعبية (وهى خير تعبير عن هذا النوع من المعرفة) ما يناقضه اويتعارض معه لان كل منها ينبثق لخبرة معينة فى سياق او موقف اجتماعى وثقافى معين وتحت ظروف معينة •

لذلك كله يمكن القول بان هذا النوع من المعرفة لا يرقى لمستوى التفكير النظرى الذى يهدف الى ايجاد تفسيرات او تبريرات مقبولة ومنطقية لمختلف الظواهر التى تحيط بالانسان وبالتالى فهى ابعد ما تكون عن صفات المعرفة العلمية من موضوعية وعمومية وعقلانية •

ثانيا — المعرفة الفلسفية :

على الرغم من أن الفلسفة كانت قد اتخذت فى احدى مباحثها من العالم الطبيعى موضوعاً لها الا ان المعرفة الفلسفية تميزت كلون خاص فاختلفت عن المعرفة المكتسبة بالخبرة كما اختلفت عن المعرفة العلمية ذاتها فى انها لم تقتصر على بحث الامور الواقعية التى يمكن معرفتها بل تجاوزت حدود الواقع والعالم الطبيعى وارتقت الى عالم ما بعد الطبيعة لتبحث فى الوجود كله علله ومبادئه الاولى وفى مسائل اكثر ابتعادا عن الواقع كوجود الله وخلود النفس وغيرها • وتتميز المعرفة الفلسفية عن غيرها من الوان المعرفة بمالها من موضوع معين وأسلوب للتفكير والتعبير يميزها فمن حيث الموضوع نجد انها تبحث كما ذكرنا فى مسائل تتعدى حدود الواقع بحيث يتعذر حسمها بالملاحظة او التجربة — انها تهتم بالبحث عن المبادئ الكلية للوجود وتحاول تفسير الاشياء فى ضوء عللها ومبادئها الاولى • ومن حيث المنهج او اسلوب التفكير تتميز المعرفة الفلسفية ببعض الخصائص اهمها ان الفيلسوف لا يبدأ كالباحث العلمى من حيث انتهى الاخرون بل يتخذ له نقطة بدء جديدة فى التفكير فيطرح جانبا كل ما تردد قبله من فلسفات او افكار ليبدأ هو فى تجربته الفلسفية بطريقة ذاتية او شخصية بحتة حتى اننا

نجد ان فيلسوفا مثل ديكارت يتشكك فى كل ما سبق من معارف واتخذ من شكله هذا وطرحه جانبا لمختلف الافكار والنظريات التى سبقته نقطة بدء فى فلسفته • والمعرفة الفلسفية بهذا المعنى تجربة شخصية وفريدة للفيلسوف اشبه بالفن تتميز بالفردية ولا تخضع لمقاييس موضوعية • فهى اشبه كما قلنا بعملية ابداع فنى حيث ان لكل شخص مطلق الحرية فى ان يعبر عن ذاته فلسفيا •

كذلك تبتعد المعرفة الفلسفية بحكم موضوعها ومسائلها عن استخدام المنهج التجريبى لذلك كانت الفلسفة ولا تزال مرتبطة باستخدام المنهج العقلى الذى تمثل فيما يسمى بالمنطق والمنهج الاستنباطى •

اما المنطق فهو علم قوانين الفكر بمقتضاه يعرف الفرد صحيح الفكر من فاسده او انه كما عرفه فلاسفة الاسلام آلة تعصم الذهن من الذلل • والمنطق على هذا النحو يقدم للفكر الانسانى قوانين ثلاثة اساسية لا يستقيم بدونها اى تفكير هذه القوانين هى : قانون الذاتية الذى يعبر عن ثبات الحقيقة وعدم تغيرها وقانون عدم التناقض الذى يؤكد ان الحقيقة هى دائما الحقيقة وليست غير ذلك ثم اخيرا قانون الثالث المرفوع والذى يمثل صورة شرطية للقانونين السابقين ليقرر انه لا يمكن الجمع بين حقيقة ونقيضها فالحقيقة اما ان تكون حقيقة او غير حقيقة ولا ثالث يتوسط بين صدق الحقيقة وكذبها •

اما القياس فيعرف بانه الانتقال مما هو عام الى ما هو خاص بمعنى التسليم ببعض المقدمات واستنتاج ما يترتب عليها من نتائج كان نسلم مثلا بان كل معدن يتمدد بالحرارة وان الحديد معدن لتخلص الى النتيجة التى تقرر ان الحديد يتمدد بالحرارة وجدير بالذكر انه قد عيب على القياس انه لا يأتى بجديد اى لا يترتب عليه تحصيل معرفة جديدة مما يصل اليه من نتائج تكون متضمنة فيما نسلم به من مقدمات الصحة الصورية والصحة الواقعية ولسنا هنا بصدد تقييم القياس والمنهج الاستنباطى كأساليب للفكر والمعرفة وانما يكفى ان نحدد طبيعة المعرفة الفلسفية من خلال مقارنتها بالمعرفة

العلمية وذلك على النحو التالي :

١ ـ ان الفلسفة على العكس من العلم لا تتخذ من الواقع موضوعا لها بل تتعداه الى عالم ما وراء الطبيعة كما اشرنا سلفا .

٢ ـ ان الفلسفة تختلف عن العلم في انها لا تهدف الى وصف الحقائق او الكشف عن القوانين التي تحكم سير الظواهر وانما تحاول البحث عن العلل والمبادئ الاولى لهذه الظواهر وهي في هذا تكتفي باختبار صحة المبادئ التي تفرضها العلوم دون اهتمام باتفاقها مع الواقع .

٣ ـ ان المعرفة الفلسفية تعبر عن مواقف خاصة او وجهات نظر شخصية غير قابلة للاختبار او التحقق العلمي الامر الذي جعلها عاجزة عن الوصول لحل حاسم لمشكلاتها وبالتالي تعددت المذاهب الفلسفية وتنوعت المفاهيم الفلسفية تلك المذاهب والمفاهيم التي تعبر كما قلنا عن وجهات نظر خاصة للحقيقة ومن هنا ينتفي عن المعرفة الفلسفية صفة العمومية .

٤ ـ ان المعرفة الفلسفية وما يرتبط بها من تجربة للتفلسف تقوم على اساس التأمل او الخلوة الى الذات بمعنى ان الفيلسوف ينتقل من الموضوع الذي يدرسه الى ذاته ثم يبحثه من خلال ذاته او رؤيته الذاتية ومن هنا انتفت صفة الموضوعية عن المعرفة الفلسفية واتسمت دائما بطابع الفردية او الذاتية .

٥ ـ تبتعد المعرفة الفلسفية عن المعرفة العلمية في امور كثيرة منها انها تبحث عن العلل البعيدة للظواهر بينما يبحث العلم عن العلل القريبة كما انها تتخذ من الوجود كله موضوعا لها بينما العلوم المختلفة تبحث جوانب محددة من هذا الوجود اضف الى ذلك

ان الفلسفة فى محاولتها البحث فى جوهر الظواهر او ماهياتها فانها تلتزم دائمـــا بالكشف عن الخصائص الكيفية للحقائق على العكس من العلم الذى يسعى دائما الـــى البحث عن الخصائص الكمية اى يهتم باخضاع الظواهر لمقاييس كمية بحتـه •

٦ ـ ولعل من اهم ما يميز المعرفة الفلسفية عن المعرفة العلمية انها فى جزء كبير من مباحثها لا تدرس الظواهر على النحو الذى هى عليه فى الواقع بل تدرسها ينبغى ان تكون عليه وهذا هو الحال فى فروع علم الاخلاق وعلم الجمال وغير ذلك من الفلسفات المعيارية التى تهتم بدراسة ما ينبغى ان يكون بينما العلم يهتم بدراسة الظواهر بطريقة تقريرية اى دراستها على ما هى عليه فى الواقع •

ثالثا ـ المعرفة العلميـــــة

يمكن ان نعرف المعرفة العلمية بادىء ذى بدء بأنها تلك المعرفة التى تعتمد على الملاحظة المنظمة للظواهر ومحاولة تفسيرها بالكشف عن القوانين التى تحكمها والتنبؤ بمستقبلها • ان التحليل المتعمق لطبيعة العلم يكشف عن انه يتضمن بين طياته هدفـا معينا ووسائل تحقيق هذا الهدف فغاية العلم كما سبق ان ذكرنا هو تفسير الظواهـــر والتنبؤ بمستقبلها وذلك عن طريق الكشف عن القوانين التى تحكم سير الظواهر بهـــذا المعنى يحق لنا ان نقرر ان هدف العلم هو الوصول الى النظرية • ولقد سبـق ان اوضحنا فى الفصل الاول ان النظرية تعنى مجموعة تعميمات امكن تحققها والتأكد منهـا انتظمت فيما بينها بطريقة تجعلها قادرة على تفسير الظواهر والتنبؤ بمستقبلها • والنظرية بهذا المعنى تتضمن الفروض والتعميمات والقوانين العلمية وهذه بدورها تعد من أهـم الوسائل التى يستخدمها العلم لتحقيق هدفه على النحو السابق •

ويتميز العلم وما يرتبط به من معرفة علمية ببعض الخصائص المميزة اهمها :

١ ـ الطابع الـامبيريقـي :

وهذا يعنى ان العلم يتخذ من العالم الواقعى المعروف موضوعا لبحثـه ودراسته فلا يتجاوزه كالفلسفة • كما يعنى ايضا ان التفسير العلمى يجب ان يتم فى اطار هذا الواقع نفسه بمعنى ان يقوم على قضايا او تفسيرات او تبريرات يمكن التحقق مـن صدقها فى عالم الواقع وبهذا المعنى تختلف المعرفة العلمية عن المعرفة بالخبرة التى تقدم تفسيرات غير منطقية فى كثير من الاحيان للظواهر وعن المعرفة الفلسفية التى تقـدم قضايا لا يمكن التحقق منها واقعيا • بعبارة اخرى فان المعرفة العلمية تستند الـى الملاحظة والاستنتاج لا على تبريرات غيبية او تأملات فلسفية •

٢ ـ الطابع النظـري :

وهذا يعنى ان المعرفة العلمية عبارة عن محصلة لمجموعة من الملاحظـات المعقدة التى تنتظم فيما بينها فى مجموعة من القضايا المجردة والمرتبطة فيما بينهـا ارتباطا منطقيا على نحو يمكنها من تفسير او توضيح العلاقات السببية بين الظواهـر موضوع الدراسة •

٣ ـ الطابع المجـرد :

فالمعرفة العلمية تميل الى ان تكون مجردة • ذلك انه على الرغم من ان العلم يتخذ من عالم الواقع موضوع له وعلى الرغم من ان المعرفة العلمية تدور أساسا حـول ملاحظات امبيريقية الا انها تصاغ بالضرورة فى قضايا مجردة • ان قضايا العلم تصـاغ كما اسلفنا فى صورة مشكلة ثم فروض تقدم حلولا لهذه المشكلة ولكنها فى نفس الوقـت وخاصة فى مرحلة ما بعد التحقق من الفروض تصاغ على نحو اكثر تجريدا يمكنها ليـس فقط من تفسير الملاحظات الامبيريقية الراهنة بل كل ما يشابهها من ملاحظات وتتيـح بالتالى امكانية التنبؤ بالمستقبل بعبارة اخرى فان المنتهى لخطوات المنهج العلمى كمـا

سنعرض فيما بعد نتبين انه على الرغم من ان القضايا العلمية تميل على الاقل فى المراحل الاولى الى ان تكون اكثر امبيريقية الا انه مع تطور النظرية تبتعد قضايا العلم عن التقيد بملاحظات محددة زمانيا ومكانيا لتأخذ بعد ذلك طابع القضايا العامة .

٤ ــ الطابع المنطقــى :

سبق ان أشرنا الى ان المنطق يمثل مبحثا من مباحث الفلسفة وان المعرفــة الفلسفية ذات طابع مختلف عن المعرفة العلمية لكننا نود ان نشير الى انه على الرغم مــن ذلك فانه يمكن ان نقرر ان العلم يحمل طابع المنطق . فالمنطق هو علم قوانين الفكــر كما سبق ان اوضحنا من خلاله يستطيع الباحث ان يقوم بعمليات الاستدلال ومن ثم فــان البحث العلمى لا يمكن بحال من الاحوال ان يبتعد فى نظرنا عن استخدامه للمنطق على الاقل عندما يحاول الباحث العلمى ان يقيم استدلالاته او يتوصل الى استنتاجاتــه او يقدم تفسيرات لموضوع بحثه .

٥ ــ طابع النسق والنظام :

وهذا يعنى انه كلما زادت المعرفة العلمية تجريدا وكلما تزايدت الفروض والقوانين من حيث العدد او العمومية كلما مالت النظرية العلمية الى ان توجد او تربط بــين التعميمات المتشابهة او المتماثلة فى نسق واحد منظم ، وهذا يعنى بطبيعة الحــال ان العلم له قدرة على ضبط وتوجيه قضاياه ، ونتائجه بحيث نجد ان كثيرا ما يرفض العلــم بعض القضايا لانها تناقض قضايا اخرى مؤكدة او معروفة فى الوقت الذى نجد فيه قضايــا اخرى جديدة يطورها العلم فتفرض تعديلات جوهرية على النسق الكلى للنظرية العلمية . وعلى هذا الاساس يعتبر تطوير النسق فى العلم مسألة هامة بل مقومــا من مقومات العلــم الاساسية ، والمقصود بذلك هو ان العلم يكون قادرا على ان يجعل النتائج الامبيريقيــة منسقة فيما بينها وهذا يقضى بطبيعة الحال عملية مستمرة من رفض او تعديل ما سبـــق ان توصل اليه البحث العلمى من نتائج او قضايا .

٦ ـ الطابع التراكمي :

تعتبر هذه الخاصية من اهم الخصائص التي تميز المعرفة العلمية عن المعرفة الفلسفية • فاذا كان الفيلسوف كما اوضحنا من قبل يطرح جانبا ما سبق ان توصل اليه غيره من افكار او نظريات فلسفية فان العالم لا يبدأ من نقطة انطلاق جديدة وانما يبدأ من حيث انتهى الاخرون • ان المعرفة العلمية بهذا المعنى هي تراث عقلي واسع ومتصل الحلقات بحيث لا تستطيع ان نتصور جزءا من معرفة علمية قائم بذاته والنظريات العلمية بهذا المعنى تشيد بعضها فوق بعض بحيث نجد ان النظريات او حتى المعارف العلمية الجديدة كثيرا ما تصحح او تدعم او تعدل ما سبقها من نظريات او معارف•

٧ ـ الطابع الموضوعي :

ولهذه الخاصية مظاهر مختلفة ومتعددة فمن ناحية تتميز المعرفة العلمية بأنها موضوعية بالمعنى الذى لا تتدخل فيه اهواء الباحث او ميوله او افكاره او معتقداته لتؤثر فيما يتوصل اليه من نتائج • ان المعرفة العلمية بهذا المعنى حيادية تلزم الباحث ان يقرر الحقيقة او يراها كما هي عليه في الواقع لا كما يجب او يفضل ان تكون عليه • ومن ناحية اخرى تفترض الموضوعية العلمية عمومية هذه المعرفة بمعنى ان المعرفة العلمية ليست تجربة شخصية فريدة كما هو الحال بالنسبة للمعرفة الفلسفية بل تحتم عليه المعرفة ضرورة نقلها من عالم او باحث علمى الى آخر ومن ثم نجد ان العلم لا خلاف او جدال على حقائقه في الوقت الذى تتعدد فيه المذاهب والمدارس الفلسفية ومن ناحية ثالثة تتخذ الموضوعية العلمية مظهرا آخر يتمثل في انها تبتعد عن الطابع المعيارى فهي تقرر ما هو واقع بالفعل لا ما ينبغي ان يحدث او يقع • ان الباحث العلمى يهدف لاستخلاص القوانين من الواقع او من الملاحظات الامبيريقية ولا يعنى او يهتم بحال من الاحوال بتقييم هذه الوقائع او اصدار احكام قيمية معيارية عليها • ومن ناحية رابعة وأخيرة ترتبط بالموضوعية العلمية بهذه المعاني السابقة معنى او خاصية اخرى للمعرفة

العلمية هى خاصية الرمزية فاستنادا للحيادية والعمومية وتقرير الواقع نجد اجماعا اواتفاقا بين العلماء على الحقائق التى تقررها المعرفة العلمية هذا الاجماع يأخذ شكل الرموز بين الباحثين بمعنى ان تمثل نتائج الدراسة العلمية على نحو يسمح بتوصيلها للآخرين وتفهمها لهم بنفس المعنى المرتبط بها لدى من توصل اليها ، حتى انه اذا ما أعيدت دراسة الموضوع من جديد امكن التوصل لنفس النتائج .

٨ ـ الطابع التطبيقى :

وهذا يعنى ان العلم هو وسيلة لحل المشكلات فالعلم ليس بحال من الاحوال بمعزل عن الحياة فالهدف النهائى للعلم فى محاولته تفسير الظواهر او الكشف عن قوانينها والتنبؤ بمستقبلها انما يهدف فى الحقيقة الى السيطرة عليها بما يمكنه فى النهاية من تسخير البيئة للانسان او تدعيم قدرة الانسان للسيطرة على هذه البيئة وعلى هذا الاساس اذا كانت المعرفة العلمية تتخذ طابعا نظريا كما سبق ان اوضحنا بمعنى محاولة الكشف عن المبادىء العامة التى تحكم الظواهر موضوع الدراسة فانها ايضا ذات طابع عملى تطبيقى اى يمكن الاستفادة من هذه المبادىء والقوانين فى حل مشكلات عملية تواجه الانسان فعالم الطبيعة الذى يتوصل بعد بحث طويل الى مبدأ علمى نظرى يقرر قابلية المعدن للتمدد بالحرارة فانه يتيح الفرصة لتقرير لهذا المبدأ للاستفادة به فى اغراض متعددة من الناحية العملية . وكثيرا ما كانت بعض المشكلات الملحة التى تواجه الانسان دافعا اساسيا دفع بالعلماء الى بذل الجهود ليتوصلوا فى النهاية الى نظريات علمية لحل هذه المشكلات .

ويدور قولنا هذا حول موضوع له اهمية منهجية هو علاقة البحث بالنظرية ونظرا لاهمية هذا الموضوع فاننا سنخصص له جزءا مستقلا من هذه المحاضرات .

٩ ـ اخيرا تتميز المعرفة العلمية عن المعرفة الفلسفية باستخدامها لاسلوب او منهج

معين للتفكير يعرف باسم المنهج او الطريقة العلمية للبحث فعلى العكس من المعرفة الفلسفية التى تستند كما رأينا على القياس والمنهج الاستباطى نجد ان المعرفة العلمية تستخدم ما يعرف باسم الاستقراء ويختلف الاستقراء عن القياس فى انه يبدأ بما هو خاص لينتقل الى ما هو عام اى يبدأ بالجزئيات لينتهى للقوانين او التعميمات • غير أننا نود ان نشير قبل الخوض فى مناقشتنا لمعنى الاستقراء وطبيعة وانواعها يفيد فى القاء الضوء على المنهج العلمى وخطواته وقواعده الى ان العلم او المعرفة العلمية يستخدم الى جانب الاستقراء الاسلوب القياسى فاذا كان العلم يتوصل بالاستقراء الى قوانين اوقضايا عامة فانه يتحقق من صدق هذه القوانين او التعميمات باختبارها او تطبيقها على حالات جزئية اى انه يستخدم بمعنى ما يعرف باسم القياس•

رابعا : <u>المنهج العلمى اساليبه وخطواته او قواعده</u>

رأينا ان ما يميز الوان المعرفة المختلفة عن بعضها البعض هو اسلوب التفكير الذى يستخدم لتحصيلها واوضحنا كيف ان اسلوب التفكير الفلسفى يختلف تمام الاختلاف عن اسلوب التفكير العلمى وان ما تتميز به المعرفة العلمية من خصائص العمومية والموضوعية وغيرها من خصائص مميزة قد انبثق اصلا عن استنادها الى الاسلوب الاستقرائى فى مقابل الاستدلال القياسى فى الفلسفة •

ويبدأ الاسلوب الاستقرائى فى التفكير كما سبق ان اوضحنا من الخصوصيات والجزئيات الى التعميمات او القوانين وتضيف هنا الى ان الاستقراء بهذا المعنى يستند فى الحقيقة على الملاحظة والتجربة كخطوتين اساسيتين فى بحثه للظواهر الجزئية كما يستخدم بعد ذلك التعميم بهدف الكشف عما يكمن وراء هذه الظواهر التى يمكن ملاحظتها من قوانين وذلك بتحقيق الهدف الاساسى للعلم وهو التفسير والتنبؤ •

وسوف نناقش فى موضع لاحق الملاحظة والتجربة ودور كل منهما فى اثراء البحث

العلمى ويكفى هنا ان نشير الى المبادىء الاساسية التى يستند عليها الاستقراء.

والاستقراء من حيث هو انتقال مما هو خاص الى ما هو عام او من حيث هو استنباط حكم عام من بعض الملاحظات او التجارب المحددة ليستند على ما يعرف باسم مبدأ الحتمية . وخلاصة هذا المبدأ انه اذا كنا عندما نبدأ بالملاحظة نقف على بعض الحقائق الجزئية فاننا ننتقل بالضرورة الى حكم عام يصدق على هذه الحقائق وعلى غيرها من الحقائق المستقبلية بمعنى انه من المحتم ان يحدث فى المستقبل ما حدث فى الماضى وما يحدث فى الحاضر.

ويرتبط بمبدأ الحتمية مبدأ آخر هو مبدأ السببية وخلاصة ان كل شىء يحدث فى الطبيعة انما يحدث لسبب معين وان نفس السبب يؤدى دائما الى نفس النتيجة وجدير بالذكر ان هذين المبدئين قد اثارا مزيدا من الجدل والخلاف بين المناطقة والمشتغلين بفلسفة العلوم . وسنتجنب لضيق الوقت الخوض فى هذا الجدل او محاولة حسمه برأى قاطع ويكفينا هنا ان نقرر ان العلم يهدف كما قلنا لتنسيق الظواهر حتى يمكن فهمها وتفسيرها ولا سبيل للباحث لتحقيق هذا الهدف اذا اعتقد ان الاشياء تحدث وفقا لنظام عام ثابت لا يقبل الاستثناء او الاحتمال او التغير بل يوحى بان كل ظاهرة تخضع لقانون محدد هو سبب وجودها او ان هناك طائفة من الاسباب يقابلها طائفة من النتائج الثابتة .

نعود مرة أخرى الى الاستقراء فنشير الى أنه قد جرت العادة على التمييز بين نوعين من الاستقراء هما الاستقراء التام والاستقراء الناقص اما الاستقراء التام فهو يشير الى عملية تعداد لجميع الامثلة الجزئية التى تشترك فى صفات خاصة واطلاق تعميم واحد يضمها جميعا . اما الاستقراء الناقص فهو عملية تكتفى ببحث او ملاحظة عدد قليل من الحالات الخاصة او الجزئية وتقرير ان ما ينطبق عليها ينطبق بالضرورة على غيرها . كذلك

لما كانت المعرفة العلمية الحقيقية تهدف الى الاقتصاد فى الجهد والتفكير فقد جرت العادة ايضا على استبعاد النوع الاول من الاستقراء من نطاق المنهج العلمى والاكتفاء بالنوع الثانى باعتباره يمثل اساس العلم لانه يقوم على التعميم فيه يبدأ الباحث بجمع الملاحظات واجراء التجارب ثم يعمد الباحث بعد ذلك فى تصنيف ما جمعه من حقائق من خلال ملاحظاته او تجاربه على حالات محدودة ليصل فى النهاية الى تعميم تبدو فيه قدرة الباحث على الابداع والابتكار • بهذا المعنى يمكن ان نقول ان الاستقراء التام شأنه شأن القياس لا يضيف جديدا للمعرفة وانه من خلال الاستقراء الناقص يزداد قدرة الباحث على التعميم والتنبؤ بالمستقبل الذى هو الطابع الجوهرى للعلم • ويزخر تاريخ العلم والاكتشافات العلمية بأمثلة عديدة لا حصر لها توضح ما اسهم به الاستقراء الناقص او القائم على التعميم من دور فى اثراء المعرفة العلمية وتقدم التفكير العلمى •

خطوات المنهج العلمى

اذا كان الاستقراء بالمعنى السابق هو محاولة الوصول الى تعميمات عن حالات جزئية فانه بذلك يعتبر قرين المنهج العلمى ومن ثم لا تجاوز اذا قلنا ان خطوات المنهج العلمى تتمثل فى الحقيقة فى تلك المراحل التى يمر بها الاستقراء بدءًا بملاحظات جزئيته ومنتهيا الى قوانين او نظريات علمية ، ونستطيع ايضا ان نحدد هذه الخطوات او المراحل فيمايلى :

١ ـ تحديد المشكلة :

من الطبيعى ان يحصر الباحث جهده ، وتفكيره فى نطاق معين فمن بحث كل شىء لن يصل الى اى شىء • • والمقصود بالمشكلة هنا مشكلة البحث العلمى فى موضوعها • وبطبيعة الحال تتدخل عوامل واعتبارات عديدة تجذب اهتمام الباحث بموضوع معين منها طموحه أو مصلحته واطلاعاته • • • الخ الا انه يمكن القول من الناحية المنهجية ان المنهج

العلمى او الاستقراء يبدأ بملاحظة الظواهر على النحو الذى تبدو عليه بصفة طبيعيـــة وقد تتنوع الملاحظة كما سنرى فيما بعد الى ملاحظات فجة او عابرة وملاحظات علميـــة مقصودة ولكل منها عيوبه ومزاياه ودوره فى اثراء البحث العلمى غير ان ما يهمنا هنا ان مجموعة هذه الملاحظات تثير فى ذهن الباحث تساؤلات معينة تدفعه لاجراء بحث يهدف تفسيرها او الكشف عن اسبابها فالعبرة فى العلم ليست مجرد تسجيل الملاحظات وتكديسها وانما تلك القدرة على تنسيقها وربطها وتأويلها تأويلا صحيحا يفيد فى الكشف عن بعض الحقائق العامة • وما يقال عن الملاحظة ينسحب بدوره على التجربة فمـــن التجارب ما يكون غير مقصود يمثل نوعا من العبث او اللهو ومنها ما يكون مقصودا ومنظما وموجهة لهدف معين • ولو ان التجربة تختلف عن الملاحظة كما سنرى فيما بعد فى انها تعبر عن موقف اكثر ايجابية للباحث •

فالملاحظ يقف موقفا سلبيا ازاء الظاهرة بينما المجرب يتدخل فيعدل من بعـــض الظروف المحيطة بالظاهرة او يضع ظروفا مصطنعة لها • وعلى اى حال فان كلا مـــن الملاحظة او التجربة تمثلان اولى مراحل البحث العلمى خاصة وانهما يثيران بعـــض التساؤلات فى ذهن الباحث والتى توجه تفكيره وجهة دون اخرى ويحددان بالتالـــى مشكلة البحث او موضوعه • والمتتبع لتاريخ العلم والاكتشافات العلمية سيكتشف حتما انه ما من نظرية علمية او حقيقة مؤكدة او قانون او اختراع علمى الا وانبثق اصلا عن بعـــض التساؤلات التى اثيرت فى ذهن الباحث حول موضوع معين •

٢ ـ صياغة الفـروض :

وتمثل محاولة الباحث صياغة فروض تفسر الظاهرة او تحل مشكلة البحث او تجيـــب عن تساؤلاته التى طرحها من قبل • تمثل الخطوة الثانية من خطوات المنهج العلمـــى ذلك انه لاقيمة لتكدس الملاحظات او التجارب • وانما يتعين على الباحث ان يوضـــح ما يكمن وراء هذه الملاحظات والظواهر من قوانين تفسرها • ولا سبيل له الى ذلـك الا

بوضع (او فرض) الفروض التى تنظم -بطريقة مبدئية على الاقل -بين هذه الملاحظات لتصل منها الى فكرة او قضية عامة لا تفسرها وحدها فحسب بل تفسر ماعداها من ملاحظات وظواهر مشابهة •

وكما اوضحنا فى الفصل الاول من هذه المحاضرات يعرف الفرض العلمى بوجــــه عام بانه افكار مبدئية تتولد فى عقل الباحث عن طريق الملاحظة والتجربة • ونضيف هنــا ان الفرض العلمى هو تفسير مؤقت لما لاحظه الباحث من ظواهر او هو اجابة مؤقتة لـــم تتأكد بعد لما طرحه من تساؤلات ، او هو حل مؤقت لمشكلة البحث وهو فى اى حالـة من هذه الحالات انما يطرح علاقة سببية لم تتأكد بعد بين ظاهرتين تساعد احدهمـا من خلال هذه العلاقة على تفسير الاخرى •

وكما ان للمعرفة العلمية شروط وخصائص مميزة سبق ان وضحناها فى موضع لاحق كذلك فان للفرض العلمى شروط يجب تحققها اهمها اعتماده على الملاحظة والتجربة حتى يمكن من ناحية اختباره وحتى يمكن من ناحية اخرى ان يحقق للمعرفة العلمية خاصيـة امبيريقية والواقعية ، ومن ثم تتجنب الباحث بالضرورة الاستعانة بفروض خيالية او يوتوبية • كذلك يتعين على الباحث ان تخلو فروضه من التناقض فى ذاتها ويعتبر هذا الشـــرط امرا جوهريا يجب تحققه حتى قبل ان يشرع الباحث فى اختبار صحة فروضه وذلك توفيـرا للجهد والوقت والنفقات التى تتطلبها عملية التحقق من صحة الفروض •

وبالمثل ، فان عدم معارضة الفرض لحقائق سبق ان تأكدت او سبق ان قررهـــا العلم يعد شرطا جوهريا للفرض العلمى لا يقل فى اهميته عن الشروط السابقة • وليـس

معنى ذلك ان البحث العلمي لا يحقق بناءا على ذلك تقدما بل ان ما نقصد الاشارة اليه هنا ان الباحث لا يتسرع في الاخذ بفرض ما دون ان يتحقق اولا من مدى اتفاق ما سيترتب عليه من نتائج مع نتائج نظريات علمية بلغت مرحلة من اليقين الذى لا يبلغ اليه الشك ، فاذا ما تبين له معارضة ما بين فروضه وبين حقائق علمية معروفة عليه ان يفحص نتائج اقل الفروض اختلافا مع هذه الحقائق المقررة .

ويعد الفرض العلمي بخصائصه التي ذكرناها الوسيلة الوحيدة (الجسر والقنطرة) التي يستطيع الباحث من خلالها الانتقال من حالات جزئية تعرف عليها عن طريق الملاحظة او التجربة الى القوانين العامة التي تفسرها هي وغيرها من الحالات المشابهة او بعبارة اخرى يستطيع الباحث من خلالها الانتقال من الحاضر (فمثلا في ملاحظاته لامثلة او حالات جزئية راهنة) الى المستقبل (ممثلا في قوانين تفسرها وتتنبأ بمصيرها ومستقبلها) . ومن هذا المنطلق يعتمد الباحث في صياغة فروضه على الملاحظة والتجربة وعلى قدر كبير من الخيال . غير ان هذا الخيال من نوعية مختلفة عن خيال الشعراء وعامة الناس ، انه نوع من الاستبصار او الحدس العقلي ، حيث يتخيل الباحث بعقله ارتباطات ما بين ظواهر جزئية ومستقلة فيما بينها عسى ان يجد في هذه الارتباطات ما يفسر الظاهرة موضوع بحثه وليس للباحث في هذا الصدد حرية مطلقة لان يجنح بخياله الى لا حدود كما يفعل الشعراء ، بل يتقيد في هذا الخيال بنفس شروط او خصائص الفرض العلمي فعليه ان يتقيد بالواقع يبدأ به وينتهي اليه ، يبدأ بالواقع من خلال ملاحظاته وتجاربه وينتهي الى نفس الواقع كمحك او اختبار لصحة خياله وما يسلم اليه هذا الخيال من فروض وعلى هذا الاساس ايضا يمكن ان نتصور الخيال العلمي

كقدرة على الابتكار وحدة الذهن وان نتصور الفرض على انه شكل مبتكر او جديد فلوسط بين الحقائق • وطبيعي أن تلعب المعرفة السابقة والبحث الدؤب وحرية التفكير او شجاعة التعبير عن الرأى دورا هاما فى دفع خيال الباحث على نحو يمكنه من وضع فروض كثيرا ما تسهم فى اثراء المعرفة لنا فى تاريخ العديد من الاكتشافات العلمية التى غيرت من تاريخ البشرية كلها امثلة وشواهد •

وللفرض كما نوهنا وظيفة حيوية للبحث العلمى فهو نقطة البدء فى كل استدلال ولولاه لما امكن القيام بأى بحث وما امكن تحصيل اى معرفة ولولاه ايضا لاصبح العلم والمعرفة مجرد تكديس لملاحظات تجمع اوتدرك بقبيل الصدفة البحتة خاصة وانه كما أوضحنا يهدف الى الكشف عن العلاقات الرابطة لظواهر تبدو مستقلة او المنظمة لافكار او حقائق مبعثرة تدور حول هذه الظواهر • ومن ناحية ثانية يمثل الفرض دليلا وموجها للباحث يقود خطاه فى اتجاه محدد نحو الكشف عن القوانين المسيطرة على الظاهرة موضوع البحث• فاذا ما تحقق الفرض واصبح قانونا كما سنرى فيما بعد ـ اعان الباحث فى الكشف عن حقائق اخرى جديدة • ومن ثم يزيد الفرض من اثراء العلم وتقدم المعرفة العلمية حتى انه ليس من المبالغة فى شىء ان ينظر الى العلم كله على انه فرض اوسع نطاقا او على انه مجموعة فروض يتحقق صدق بعضها فيتحول قانونا يدعم معرفة سابقة او يمهد لها او يرفضها وقد يتحقق كذب بعضها لتكون دافعا للبحث عن فروض اخرى جديدة وهكذا تتقدم مسيرة البحث العلمى ما بين فرض فروض والتحقق منها على نحو يؤدى الى زيادة تراكم المعرفة العلمية •

٣ ـ التحقق من الفـروض :

عرفنا ان الفرض عبارة عن حل مؤقت او تفسير لم يتأكد بعد لمشكلة البحث لذلـك لا يكون له اى قيمة علمية مالم تثبت صحته وما لم يؤكد الواقع صدقه • من هنا تبدو هـذه الخطوة التى تتمثل فى اختبار صحة الفروض اساس المنهج العلمى فالمعرفة العلمية كمـا رأينا ليست مجرد تكديس لملاحظات كما انها ليست مجرد تراكم لفروض تطرح دون ما تحقق واختبـــار •

وكما ان الفرض العلمى يثار فى ذهن الباحث من خلال الملاحظة والتجربة فـان تحقيقه ايضا يتم فى حدود الواقع من خلال الملاحظة والتجربة وهذا يقتضى من الباحـث ان يرى ما اذا كانت فروضه تتفق مع الواقع فيأخذ به ام تتعارض معه فيبعد لها او يعـدل عنها لغيرها وهكذا •

وتتضح اهمية هذه الخطوة بالنسبة للبحث العلمى اذا ادركنا ان القانون العلمى لم يكن فى البداية سوى فرض تحقق صدقه وانه فى نفس الوقت لا يعدو ان يكون فرضا لـم يثبت بعد كذبه وبالمثل فان الفرض ليس الا قانونا لم تثبت بعد صحته •

ومن الناحية المنهجية يمكن للباحث ان يتحقق من صدق فروضه او كذبها بطريقتين اساسيتين :

اما الطريقة الاولى فتمتاز بانها مباشرة فيها يلجأ الباحث مباشرة الى الملاحظـة وإجراء التجارب فان اكدت هذه وتلك ما وضعه من فروض تحول الفرض الى قانون وان لـم يحدث ذلك وجب عليه الاسراع بتعديلها او الاخذ باخرى غيرها •

اما الطريقة الثانية فهى غير مباشرة تعتمد على الاستدلال واستنباط النتائج المترتبة على الفرض وادراك ما قد يترتب على الاخذ به من اتفاق او تعارض مع حقائق سبق التأكد منها أو مع ما يكشف عنه الواقع من حقائق او ظواهر .

وتعتبر الطرق الاستقرائية اكثر الطرق المستخدمة شيوعا للتحقق من صحة الفروض ويرجع الفضل فى تطويرها الى فرنسيس بيكون ، ثم جاء جون ستيوارت مل فأدخل عليها بعض التعديلات . والذى يعنينا هنا هو ان هذه الطريقة الاستقرائية تنظر الى الفرض باعتباره علاقة سببية لم تتأكد بعد بين الظاهرة موضوع البحث وظاهرة اخرى تفسرها ، ومن ثم تهدف هذه الطريقة الى التحقق من صدق الفرض بالتحقق من هذه العلاقات السببية بين الظواهر وهى بالتالى تقدم فائدة مزدوجة لانها من ناحية وسيلة للبرهنة على صحة الفرض وهى من ناحية اخرى وسيلة للكشف عن القوانين التى تحكم الظواهر فتساعد على التفسير والتنبؤ فى نفس الوقت .

وتتحدد الطرق الاستقرائية للتحق من الفروض على النحو الذى تصوره جون ستيوارت مل فى طرق اربعة اساسية هى :

أ ــ طريقة الاتفاق :

وتعرف باسم التلازم فى الوقوع وتستند هذه الطريقة على المبدأ القائل بأن وجود السبب يؤدى الى وجود النتيجة وبذلك تنحصر مهمة الباحث هنا فى المقارنة بين عدد من الظواهر فاذا ما تبين له ان الظاهرة موضوع البحث ترتبط فى وجودها بوجود ظاهرة او ظرف معين بصفة متكررة او مستمرة كان له ان يتأكد من ان ثمة علاقة سببية بين

الظاهرة موضوع البحث وهذا الظرف او الظاهرة . فاذا تكرر ارتباط تمدد المعـــدن بملامسته للحرارة في كل حالة كانت الحرارة هنا سببا للتمدد وهكذا .

ب ـ طريقة الاختــلاف:

وتعرف باسم التلازم في التخلف وتستند على نفس المبدأ ولكن بصورة عكسيـــة مؤداها ان عدم وجود السبب او غيابه يؤدى الى عدم وجود النتيجة . وهنا أيضا تنحصر مهمة الباحث في المقارنة بين عدد من الظواهر فاذا تبين له ان الظاهره موضوع البحـث لا توجد كلما اختفت ظاهره اخرى او ظرف معين استطاع ان يقرر ان ثمة علاقة سببيـــة بين الظاهرتين . والمثال على ذلك اذا ما تكرر عدم حدوث " التمدد " في كل الحالا ت التي لا يتعرض فيها المعدن للحرارة كانت الحرارة هنا سببا للتمدد .

ج ـ طريقة التغير النســبي :

وتعرف باسم التلازم في التغير وتستند على نفس مبدأ السببية ولكن مع افــتراض تدرج هذه العلاقة ، بمعنى ان أي تغير في ظاهره ما يرتبط به تغيرا مماثلا في ظاهــرة اخرى . وهكذا تنحصر مهمة الباحث في المقارنة بين عدة حالات تبدو فيها الظاهـــرة بدرجات متفاوتة بحيث تنطوى هذه الحالات على ظرف معين تطرأ عليه تغيرات عدديـــة تتناسب مع التغيرات التي تطرأ على الظاهرة موضوع البحث في الوقت الذى تبقى فيــه الظواهر الخرى ثابتة دون تغير .

د ـ طريقة البواقـــي :

وهى تستند على مبدأ معين مؤداه انه اذا ادت مجموعة من المقدمات الـــى

مجموعة من النتائج وامكن ارجاع جميع النتائج فى المجموعة الثانية ما عدا نتيجة واحدة الى جميع المقدمات فى المجموعة الاولى ماعدا مقدمة واحدة فمن المرجح ان توجد علاقة بين المقدمة والنتيجة الباقيتين •

٤ ــ التعميم :

تسلم الخطوة السابقة من خطوات المنهج العلمى الى التأكد من صحة الفروض الذى تصوره الباحث تفسيرا للظاهرة وحلا لمشكلة البحث• غير ان العلم لا يكتفى بتفسير الحالات الجزئية او الظواهر المفردة فى صورة مستقلة بعضها عن البعض ، وهنا تبدو اهمية الخطوة الرابعة والاخيرة من خطوات المنهج العلمى •ان موضوع العلم هو الكليات كما انه يهدف الى التنبؤ بالمستقبل بقدر ما يهدف الى تفسير الحاضر • فاذا ما قدر للعلم ان يفسر الظواهر الجزئية الراهنة بالكشف عن ارتباطاتها او علاقاتها بعضها ببعض فانه يستطيع ان ينمى قدرته على التنبؤ بالوصول الى القوانين التى تحكم هذه الظواهر والتى توجه او تحدد علاقاتها وارتباطاتها • للوصول الى القانون العلمى او التعميم يشرع الباحث فى الاحتكام الى عالم الواقع ليس فقط لاختبار صحة فرضه على حالة واحدة او ظاهرة بعينها وانما ليرى مدى مطابقة هذا الفرض وصدقه على حالات اخرى او ظواهر مشابهة فاذا ما تبين للباحث صدق الفرض القائل بان الحديد يتمدد بالحرارة عليه ان يختبر مدى صدق هذا الفرض على معادن اخرى غير الحديد ليتوصل فى النهاية الى القانون الذى يقرر ان كل من يتمدد بالحرارة • والمتعمق لهذا القانون يجد فيه تفسيرا لظواهر راهنة كالحديد فى مثالنا ، وتنبؤا لظواهر اخرى كمعادن لم تكتشف بعد طالما انها تتمثل خصائص المعدن • والقانون العلمى فوق هذا كله ــ التفسير والتنبؤ ــ يحقق

الهدف الاول للعلم وهو تحقيق السيطرة على الطبيعة • وعند هذا الحد يمكن القول بأن درجة تقدم اى علم من العلوم تقاس ربما يستطيع التوصل اليه من قوانين عامة يربط بها بين الظواهر والحقائق المرتبطة بها فى اطار اكثر عمومية وتجريدا •

القوانين العلمية اذن هى الصيغة النهائية التى تضم عدد كبير من الظواهر والحقائق والافكار والمعارف المرتبطة بها • وهى فى نفس الوقت وسيلة تمكن الباحث من التفسير والتنبؤ بل واكتشاف حقائق وعلاقات جديدة • والقانون من الناحية المنهجية صيغة تعبر عن علاقة سببية بين الظواهر او على الاقل تعبر عن علاقة وظيفية ثابتة بينها •

==========

الفصل الثالث

بداية وتطور استخدام منهج البحث الاجتماعي

أولا : العوامل التى دعت لوجود منهج البحث الاجتماعي

ثانيا : بداية وتطور استخدام المنهج فى البحث الاجتماعي

تمهيد :

نحاول فى الفصل الحالى النظر الى دراسة المجتمع او البحث الاجتماعى باعتبارها توصل الى نوع من المعرفة العلمية المتخصصة حول جانب محدد من جوانب الواقع أو العالم المحيط بنا ونعنى جانب الواقع الاجتماعى ، واذا كنا سنهتم بتوضيح الاساليب والوسائل التى تعين كل من يهتم بمثل هذه الدراسة من حيث المناهج والطرق وغيرها ، فاننا سنمهد الحديث فى هذا الفصل وقبل الدخول فى تفاصيل هذه الأنواع من المناهج والطرق التى تفيد أكثر من غيرها فى الوصول الى هذا النوع الخاص من المعرفة العلمية حول المجتمع ، بالحديث عن جذور أو أصول أو العوامل التى دعت الى وجود منهج للبحث الاجتماعى ، ثم بداية وتطور استخدام المنهج فى البحث الاجتماعى ذلك لأن معرفة هذه المناهج والطرق المتداولة حاليا فى دراسة المجتمع والبحث الاجتماعى تتوقف على معرفة وضعها فى الماضى كما تساعد بالتالى فى ادراك الفروق والاختلافات القائمة بينها الآن فى دراسة المجتمع ، ومن ثم تجنب كل لبس أو اختلاط او تداخل فى محاولة فهم تلك المناهج والطرق المستخدمة الآن فى دراسة المجتمع .

أولا ـ العوامل التى دعت لوجود منهج البحث الاجتماعى :

الواقع ان دراسة العوامل التى دعت لوجود منهج فى دراسة المجتمع اوالبحث الاجتماعى تقتضى بالضرورة دراسة ومناقشة العوامل والاسباب او الأصول والجذور التى أدت الى وجود علم يستخدم هذا المنهج فى دراسة المجتمع . ذلك ان وجود هذا المنهج لم يكن منفصلا عن وجود العلم الذى يستخدمه فى الدراسة . واذا كان بالامكان القول عموما ان ظهور علم لدراسة المجتمع يمكن رده الى بداية القرن التاسع عشر فى اوربا

نتيجة لعدة عوامل او ظروف من اهمها سيادة فكرة العقلانية او التفكير العقلانى الـذى يعتمد على العقل وسيطرتها على كل الوان المعرفة والتفكير وأيضا حدوث الثورات الصناعية والسياسية التى أثرت الى حد كبير فى التغيير السريع والجذرى للمجتمع الاوربى ، فانـــه يمكن القول ايضا انه اذا كانت هذه هى الاسباب التى أدت الى ظهور فكرة علم للمجتمع ، فان النظر الى ما تنطوى عليه هذه الفكرة من مضامين قد يساعدنا فى الوصول الى الاسباب والعوامل التى دعت الى وجود منهج متميز لدراسة المجتمع • فالواقع ان فكرة علم المجتمع تنطوى على ثلاثة أشياء ، الأولى أن هناك وحدة يطلق عليها جمع تختلف كلية عـــن مجموع الأفراد الذين يكونونها (وهى فكرة لم يسبق ان عولجت بنفس طريقـة دور كايــم فى كتابه قواعد المنهج فى علم الاجتماع فى ١٨٩٥ ، ولكنها متضمنة فى فكرة علـــم المجتمع) ، والثانية ، ان العمليات والتغيرات التى تحدث فى المجتمع ليست معروفة ، والثالثة انه يمكن فهم المجتمع من خلال مناهج العلم • وبناء على ذلك يمكن حصـــر العوامل التى أدت الى ظهور المنهج فى دراسة المجتمع فيما يلى •

١ ــ ظهور فكرة المجتمع ذاتها :

فلماذا كان الناس يعتقدون فى تلك الوحدة التى تعتبر اكثر من مجرد مجمـوع أفراد عا ؟ لقد عتقت الثورات السياسية والصناعية فى ذلك الوقت وأيضا أطلقت حريـــة الفرد من روابطه التقليدية والتزاماته • وهنا قد يتوقع المرء لذلك ظهور علم للأفـــراد ، او علم نفس ، بدلا من ظهور علم للمجتمع • ولكن على اية حال برغم ان كلا الثورتـــين حررتا الفرد الا انه كان من نتيجتها ان ظهر ما يعرف باسم مجتمع الجماهـير •

فلقد جمعت الثورة الصناعية الناس فى المصانع وفى مساكن مصطنعة ومنعزلـــة وفصلت العمال عن الطبقات الأخرى بطريقة تختلف جذريا عن انفصالهم السابــق عـــن الطبقات فى المجتمع الاقطاعى ٠ واعتبرت الثورة الفرنسية كل الناس مواطنين فى الامـة ، متساويين امام القانون اكثر مما ميزت بين الأفراد على ضوء الدين او خلفياتهم الاجتماعية (وميزت الثورة بالطبع بالعنف بين الارستقراطيين وبين غيرهم وأصبح الجميع متساويــين اسميا) ٠

ومن الضرورى ان نتعمق الامر اكثر ونجيب على هذه الاسئلة بتفصيل اكثر ذلــك انه يمكن تتبع الفكرة القائلة بوجود وحدة يطلق عليها المجتمع حيث التمييز بين الدولــة والمجتمع والذى ظهر فى الفكر الفلسفى الالمانى اذ كان ينظر الى الدولة فى فلسفـــة العصور الوسطى الالمانية على انها مصدر للسلطة التى تجسدت فى شخص الملك ثـــم أدخل مفهوم المجتمع فى الاصل على انه مصطلح فنى يفسر ويبرر محاولات مواطنى الطبقة الوسطى تأكيد حقوقهم لدى الملك ويرجع الفضل فى تصور الفصل بين ما هى اجتماعـــى وما هو سياسى الذى ظهر فى تيار الفكر الأوربى الى هوبز ولوك من فلاسفة العقـــــد الاجتماعى ٠ وهؤلاء الفلاسفة الذين اداروا الحوار والجدل حول حقوق الشعب فـــى طاعة أو عدم طاعة الحكومات وفى أثناء هذا الحوار ميزوا بين العالمين السياسى والاجتماعى اذا اعتبر هذا المجتمع السياسى بمثابة اتحاد بين الناس وليس على أنه نموذج معـــين للحكومة واعتقد لوك أنه بامكان الناس أن يثوروا على الحكومة من أجل المحافظة علـــى المجتمع ٠

ولقد أطلق (مانويل) على عملية الفصل بين ما هو اجتماعى وما هو سياسى التى

وجدت تأييدا لدى الناس، اسم أفكار رسل او نبوات باريس واعتنى هؤلاء الفلاسفة ومن بينهم وأكثرهم شهرة أوجست كومت A. Comte هم انفسهم بالعالم الاجتماعي دون العالم السياسي • وكانت لمبادئهم في هذا الاهتمام متمثلة في التغيرات السريعة التي حدثت في السياسة التي يبدو انها عديمة الصلة بالتغيرات البطيئة في المجتمع •

وقد يفسر التمييز بين العوامل الاجتماعية والسياسية الاهتمام بالمجتمع أكثر من الاهتمام بالسياسة في فكر اليوم ولكنه لا يفسر لماذا كان يفهم المجتمع على ضوء الجماعات اكثر منه على ضوء الجماعات أكثر منه على ضوء الافراد • ولذلك كنا في حاجة الى النظر الى نتائج عملية تصنيع اوربا والى نتائج الثورة الفرنسية • لقد اوجدت عمليات التصنيع مدنا مغايرة تماما للمدن القديمة بمثل ما كانت تلك المدن القديمة مختلفة عن القرى السابقة عليها • وهذه المدن جمعت معا عددا كبيرا من الناس وكان الناس على خلاف ما كان الموقف في المدن والقرى السابقة يعرفون كأفراد ينتمون الى طبقة وفي المدينة كانوا يعرفون فقط على ضوء الطبقة اذ كانوا ينظر اليهم كجماعة أكثر منهم كأفراد ينتمون الى جماعة فلعامل المصنع تصور مختلف عن العامل في الزرعة • وفهم الجماعات التي تعمل كجماعات فيه تأكيد للطابع الجمعي للمجتمع أكثر من تأكيد طبيعة الأفراد في المجتمع • ولا ينطوي ذلك او يدل على أنه ليس هناك نظريات سيكولوجية للمجتمع التي تتناول أوتوضح طبيعة الانسان العدوانية او طبيعته العقلانية • فلا تزال توجد هذه النظريات ولكن كان هناك الميل الى النظر الى المجتمع على انه يتكون من جماعات أكثر منه يتكون من أفراد والتي تلقت تدعيما فكريا من جانب تحليل ماركس للتاريخ فلقد طرحت التغيرات في السياسة مثل التغيرات في المجتمع جانبا فردية الناس او الأفراد اذ كانت النتائج التحريرية للمساواة

الجديدة تجد استحسانا كبيرا وموافقة • ولكن القليل من المفكرين • ومنهم دى توكفيل على وجه الخصوص ادركوا النتائج السطحية للديموقراطية وميلها الممكن نحو التوسط أو الاعتدال وظلم الجماهير وكان من نتيجة هذه التغيرات الأجتماعية والسياسية تصور المجتمع بأعتبار تجمع من الجماعات أكثر من تجمع من أفراد •

٢ ـ الجهل بعمليات التغير في المجتمع :

ولماذا اعتقد المفكرين انهم لا يفهمون عمليات المجتمع ؟

والاجابة المختصرة هى ان العالم الاجتماعى تغير جذريا فى هذا الوقت لدرجة أن الفهم القديم لم يعد له فائدة وتغير أيضا العالم السياسى جذريا بالثورة الفرنسية وكانت أهمية علم المجتمع بالنسبة للثورة جعل الناس يعتقدون أنهم يستطيعون السيطرة على عالمهم وأن هذا العالم ليس ثابتا وغير قابل للتغير بفعل التقاليد • وللسيطرة على ذلك العالم كان من الواجب عليهم فهم هذا العالم أولا : ونتيجة ومن اجل هذا الفهم تحولوا الى العلم •

فلقد أدت هذه التغيرات الأجتماعية والسياسية نفسها بالناس الى ادراك أنهم لا يفهمون العالم الاجتماعى المحيط بهم • فالتغير كان سريعا وجذريا أو ثوريا • ولم تعد موجهات السلوك الاجتماعى التى كانت تناسب قرونا معينة والنظم التى كانت تنظم السلوك والتى كان لها فعاليتها لقرون أخرى لم تعد قادرة على مواجهة المجتمع الجديد الذى ترتب على الثورات السياسية والصناعية وأصبح العالم الاجتماعى نطاقا أو مجالا مجهولا تفشل فى أدراك معناه تلك الأفكار القديمة • وبامكاننا أن نقدر مقدار أو حجم هذا التغير عندما يكون من الممكن ادراك أنه كان هناك فقط ثورتين اقتصاديتين

رئيسيتين فى تاريخ الانسان • كانت الأولى هى الثورة الزراعية عندها غير الانسان من طريقته فى الحياة التى كانت تعتمد على الترحال والصيد الى طريقة أخرى تعتمد على الاستقرار والزراعة وكانت الثورة الثانية هى الثورة الصناعية عندما تغير الانسان من الحياة الريفية الى الحياة الحضرية •

ولقد تكونت المراكز الحضرية قبل حدوث الثورة الصناعية ولكنها كانت مراكز صغيرة وقليلة وكانت المدن الصناعية الجديدة اكبر وكان هناك عدد كبير منها • ونمت طريقة جديدة فى الحياة الاجتماعية طورت معها أنماط جديدة فى السلوك لم يكن من الممكن فهمها فى ضوء الافكار القديمة • وتمثل الطبقات العاملة التى وجدت فى تلك الفترة جانبا من جوانب الوجود الاجتماعى غير المعروف او المجهول • وكانت الطبقات الوسطى التى ظهرت فى تلك الفترة بعيدة عن الفهم الشائع حول الانسان البدائى ••• وهكذا •

٣ ـ <u>الاعتماد على العلم فى فهم ودراسة المجتمع :</u>

ولماذا اتجه مفكرى هذه الايام نحو العلم من أجل فهم والتنبؤ بالعالم الاجتماعى الجديد ؟ •

والاجابة على ذلك هى أن الثورات الصناعية والسياسية قد ازالت او قضت على السلطة التقليدية وهكذا كان على الناس ان تسعى نحو سلطة جديدة ووجدوا هذه السلطة فى النزعة العقلانية للعلم والتى قد نجحت أو حققت نجاح فى التنبؤ بالاحداث فى العالم الطبيعى ومن ثم حاولوا اقامة علم لفهم المجتمع • ولقد طور المفكرون من أجل فهم تلك الجوانب أو غير المعروفة (المجتمع) ولتنظيم سير التغير طوروا سلسلة من

المفهومات ظلت الى اليوم هى المفاهيم الأساسية فى علم المجتمع مثل المجتمع المحلى ، السلطة ، الطبقة ، المقدس ، العقلانية ، الاغتراب ، الانومى Anomie وكانت هذه المناهج تتسم بالنزعة المحافظة بالنظر اليها من الناحية الفلسفية لأنها كانت تحاول أن تحد النظام فى التغير والنظام أمر محافظ فى مضامينه .

وهذا البحث عن النظام كان يرتبط بفكرة علم المجتمع كعلم ــ العلم الذى يبحث عن الأنماط المتكررة والانتظام والنظام لدرجة يمكن معها صياغة التنبؤات اذ يقوم العلم على سلسلة الانماط المتكررة فى الطبيعة اذ أثرت فى الأمس فانها سوف تؤثر فى غدا . وعلى أية حال بالرغم من أن المفهومات كانت مفهومات النظام الا أنها كانت مفهومات فنية فى تصورها أكثر منها مفهومات علمية . ولم يكن علماء الاجتماع المبكرين يتعاملون مع مشاكل منظمة ونهائية امامهم . ولم يكونوا من المهتمين بحل المشاكل بالمرة وانما كان كل واحد منهم بحدسه العميق وادراكه التخيلى الواعى يستجيب للعلم المحيط به حتى كما يستجيب الفنان وأيضا على غراره ، يحدد الموضوع داخليا وبطريقة واعية جزئيا فى ذهنه أو عقله . وهكذا لم تكن فكرة علم الاجتماع كعلم المجتمع بالمرة متضمنة فى مفهومات . ولقد حال هذا دون ادعاء علم الاجتماع بأن يكون علما ، وأن كانت مفاهيم العلم الطبيعى هى بالمثل مفاهيم فنية فى ادراكها للعالم . فالعلم هو منهج التحقق من صدق هذه المفاهيم وليس هو المفاهيم ذاتها فمتى اذن اشتقت فكرة علم الاجتماع كعلم ؟ الواقع انها اشتقت من أفكار العقد الاجتماعى للانسان الرشيد او المعقول الذى يتخذ القرارات ويصل اليها على أساس رشيد وهكذا كانت فكرة الرشد أو المعقولية أخت للعلم وجاءت أيضا عن نجاح العلوم الطبيعية وهكذا نظر الى العلوم الطبيعية على أنها أنموذج للتفكير الدقيق والتنبؤ الناجح الذى يجب تقليده أو اتباعه .

وكان العنصر الآخر في تبني فكرة العلم راجعا الى انهيار القيم القديمة والتفسيرات فلم يعد يمد علم اللاهوت بعد الاصلاح الناس بقواعد هم في المعيشة والحياة ولم تعد الانسانيات ، كطريقة في اشتقاق القواعد للمجتمع من كتابات القدماء تسمح بالتطبيق في المجتمع الذي قد تغير جذريا من الناحية الاجتماعية والسياسية . والبديل الوحيد الذي تبقى هو الأسلوب العلمي في التفكير ولكن استخدام المنهج العلمي يتضمن تناول أو النظر الى الناس كأشياء ، كموضوعات ، كمتغيرات في التجربة فكيف كان من الممكن الأخذ بهذه النظرة ؟

ويمكن الاجابة على هذا السؤال مرة ثانية في نمو المدينة الصناعية تلك المدن الصناعية التي تعالج بالفعل الناس باعتبارهم أشياء فكانوا يطلقون عليهم اسم السواعد أو أيدي المصنع كما لو كان المهم فيهم هم سواعدهم هذه ، وكان ينظر الى الطبقات العاملة على أنهم طبقات دنيا وهكذا أمكن النظر اليهم وتناولهم كأشياء .

والواقع أن نتائج معاملة الناس بطريقة بعيدة تماما عن الانسان اليوم وفي أيامنا هذه ، نتائج واضحة أيضا فكانت المانيا في أيام هتلر وأوربا في القرن التاسع عشر قادرة على التعامل مع الشعب باعتبارهم أهدافا أو موضوعات . وكانت المدن أيضا تعنى علاقات جمعية بين الناس اذ يقابل الناس في المدينة فئات غيرهم يوميا كثيرة — ولم يكن من الممكن تناول كل هؤلاء كأفراد . ويصدق هذا بين أفراد الطبقة الوسطى أنفسهم ، كما ينطبق على أفراد الطبقة العمالية اذ جمعت المدينة الصناعية عدد كبير من أبناء الطبقة الوسطى معا والذين لا يدخلون في علاقات شخصية مع كل زملائهم كما كان الحال معهم في المدن الصغيرة سلفا . وأدى هذا الى انفصالهم بعضهم عن بعض ولقد شجع

هذا على تعاملهم او تناولهم كموضوعات أو أشياء .

ولقد تجسدت كل هذه العناصر فى الفلسفة عند كومت فى قوله أن الطريقة التى حققت نجاح فى الرياضيات ، والفلك ، والطبيعة والكيمياء ، وعلم الحياة يجب أن تسود فى السياسة وتكون أساس فى انشاء العلم الوضعى للمجتمع الذى يسمى علم الاجتماع .

كما وجدت نفس الفكرة صدى فى كتابات عدد آخر من علماء الاجتماع فى تلك الفترة من أهمهم كارل ماركس ثم أميل دوركايم فيما بعد ولذلك سنحاول فيما يلى تتبع بداية وتطور استخدام المنهج . فى دراسة المجتمع من خلال فكر هؤلاء العلماء .

ثانيا ـ بداية وتطور استخدام المنهج فى دراسة المجتمع :

ولما كانت بداية استخدام المنهج فى دراسة المجتمع ترد الى بداية ظهور علم المجتمع ونشأته ، وكانت هذه النشأة موضع خلاف ونزاع بين الكتاب والباحثين يحاول فيه كل واحد منهم جاهدا ان يرجع فضل نشأة هذا العلم الى الأمة او القومية التى ينتمى اليها حتى تحظى بلاده بشرف تأسيس هذا العلم وذلك من خلال أرجاع هذا الفضل الى واحد من العلماء الذين ينتمون الى أمته أو قوميته كان يرجع بعضهم فضل نشأة هذا العلم الى العلامة الايطالى فيكو او يجعل بعضهم الآخر العلامة البلجيكى كتيليه أول من أنشأ علم المجتمع ، أو أن يذهب بعض ثالث الى القول بأن العلامة الفرنسى أوجست كومت يرجع اليه كل الفضل فى انشاء علم الاجتماع أو أن يؤكد فريق رابع على أن العلامة العربى عبد الرحمن ابن خلدون الذى ظهر قبل هؤلاء جميعا بعدة قرون يرجع اليه الفضل الأول فى نشأة العلم أو كما يشير فريق اخير من الباحثين الى أن كارل ماركس هو

الذى يرجع اليه فضل اقامة علم المجتمع على أساس علمى حقيقى • وكان هذا الخـــلاف يؤدى الى التخبط والاختلاط واللبس فى تحديد بداية استخدام المنهج العلمى رأينـا أنه حلا لهذا الخلاف ان نوضح بداية استخدام المنهج فى دراسة المجتمع من خـــلال فكر ثلاثة من أشهر هؤلاء العلماء ـ وهم خاصة ابن خلدون وأوجست كومت وكارل ماركس وأن ننتهى التطور فى استخدام هذا المنهج من خلال فكرة عالم الاجتماع الشهير أيضًـا أميل دوركايم وذلك على النحو التالى :

أ ـ ابن خلـــدون :

اعتمد ابن خلدون فى بحوثه على ملاحظة ظواهر الاجتماع فى الشعوب الـــتى أتيح له الاحتكاك بها والحياة بين أهلها وعلى تعقب هذه الظواهر فى تاريخ هـــذه الشعوب نفسها فى العصور السابقة لعصره • وتعقب اشباهها ونظائرها فى تاريـــخ شعوب أخرى لم يتح له الاحتكاك بها ولا الحياة بين أهلها والموازنة بين هذه الظواهر جميعا والتأمل فى مختلف شئونها للوقوف على طبائعها وعناصرها الذاتية وصفاتهـــــا العرضية وما تؤديه من وظائف فى حياة الأفراد والجماعات والعلاقات التى تربطهـــا بعضها ببعض والعلاقات التى تربطها بما عداها من الظواهر السكونية • وعوامل تطورها واختلافها باختلاف الامم والعصور ثم انتهاء من هذه الامور جميعا الى استخــلاص مــا تخضع له هذه الظواهر فى مختلف شئونها من قوانين •

اذن نستطيع القول أن منهج البحث فى علم العمران قائم على دعائم مـــــن الملاحظة والتجربة الشخصية والمنطق العملى واستقراء الحوادث والاعتماد على منطـــق التحليل التاريخى والمقارنة والتحليل •

الملاحظـــة :

نستطيع بالملاحظة وبما نشاهده ان نعرف عن هذا العالم ما هو أقرب الـــى اليقين بمعنى ان ابن خلدون كان حسى النزعة يؤمن بما تؤدى اليه ملاحظته وتجاربـــه التى استفادها فى معترك الحياة السياسية ومن أسفاره الطويلة .

منطق التحليل :

وهى عملية عقلية مركبة تفيد فى تفسير الظواهر وتحليلها وان كان لا بد من عمليات أخرى أبسط منها تدخل فى نطاقها مثل ملاحظة الظواهر والوقوف على طبيعتها ومعرفة عناصرها والعلاقات التى تربطها بما عداها من الظواهر حتى يستطيع الباحث أن يصل الى أسبابها الصحيحة وعللها المطابقة .

منطق المقارنـــة :

وأدرك ابن خلدون قيمة هذا الاجراء عندما قام بأسفاره الطويلة ورحلاته الشاقة فقد أدرك عن كثب سر تباين المجتمعات وتشابهها وأرجع هذه العوامل الى أثر البيئـة والعوامل الجغرافية وأدى به هذا الاجراء الى بيان أوجه الاختلاف بين المجتمعـات فى التقاليد والعادات والنظم الاجتماعية وما اليها .

التحليل التاريخـــى :

ويتضح أهتمام ابن خلدون بالتحليل التاريخى فى دراسته لتطور الظواهـــر والنظم والعمرانية ومن تأكيده بأن الباحث لا يستطيع أن يصل الى قانون سليم الا اذا اولى الناحية التطورية المزيد من عنايته .

ب ـ أوجست كونت :

تتكون قواعد المنهج عند كونت من الملاحظة والتجربة والمقارنة والمنهج التاريخي •

الملاحظة :

لا تقتصر الملاحظة على الادراك المباشر للظاهرة أو الوصف المباشر للحوادث •• وانما تتطلب الملاحظة النظر الى الحقائق الاجتماعية على أنها موضوعات منعزلة عنا وخارجة عن ذاتنا ومنفصلة عن شعورنا الفردى حتى نستطيع التوصل الى نتائج أقرب الى حقائق الامور •

التجربة :

أو التجربة الاجتماعية التى تقوم بمقارنة ظاهرتين متشابهتين فى كل شئ • ومختلفتين فى حالة واحدة ووجود مثل هذه الحالة انما هو بمثابة تجربة لاننا نستطيع ان نستنتج بسهولة أثر هذا العامل الذى كان سببا فى اختلاف الظاهرتين وان كانت الطبيعة لا تمدنا بتجارب مباشرة من هذا النوع فانها تمدنا بتجارب غير مباشرة تلك التى توجد فى الحالات الباثولوجية اى المرضية التى تصيب المجتمع شأنه فى ذلك شأن جسم الانسان الذى تنتابه الامراض من حين لآخر • غير أن الأمراض الاجتماعية تتمثل فى الفتن والثورات والانقلابات وكما ان دراسة الحالات المرضية تؤدى بنا الى الوقوف على أفضل السبل الشائعة فان دراسة الحالات الباثولوجية تحتاج الى الوقوف على القوانين التى تخضع لها الظواهر فى حالتها العادية حتى نستطيع الكشف عن أثر العامل الطارئ •

الذى تسبب فى الظاهرة المرضية ٠

المقارنـة :

تقوم المقارنة الاجتماعية على مقارنة المجتمعات الانسانية بعضها ببعض للوقوف على اوجه الشبه والتباين بينها لتحديد اسباب تطور الظواهر بمعدل يفوق غيره من مجتمع لآخرأو انتشار طائفة من النظم فى مجتمعات دون أخرى أو قيام ظاهرة معينة بوظيفتهـا دون غيرها او قد تتم المقارنة بين الطبقات او الهيئات فى نطاق شعب واحـد أو مجتمع محدود للوقوف على حالتها الاجتماعية ومستوى معيشتها ومعاييرها ولهجتها ٠٠٠ الخ او قد تقارن جميع المجتمعات فى عصر ما بالمجتمعات الانسانية نفسها فى عصر آخـر لتحديد مبلغ التقدم الذى تخطوه الانسانية فى كل طور من أطوار ارتقائها ٠

المنهج التاريخـى :

ويسميه كومت بالمنهج السامى ويقصد به المنهج الذى يكشف عن القوانين الأساسية التى تحكم التطور الاجتماعى للجنس البشرى ٠ واقام منهجه هذا على أساس قانونه الشهير بقانون الحالات الثلاث الذى ادعى انه استخلصه من دراسة تاريخ الانسانية دراسـة علمية ، غير انه يعبر عن آراء فلسفية تبعد به كثيرا عن طبائع الامور ولا يمكن أن تؤدى الى الكشف العلمى ٠

جـ ـ كارل ماركـس :

حدد ماركس منهج البحث فى علم المجتمع بالمنهج الجدلى ٠ وكان ماركس قـد استفاد من هيجل فى تطبيق هذا المنهج ذلك ان هيجل قد بدأ بتطبيق المنهـج

الجدلي على الفكر والتفكير وحدد بناء على هذا المنهج تطور التفكير عن طريق الفكـــرة ونقيضها ثم اختفائها بظهور فكرة جديدة بمثابة تأليف بين الفكرة ونقيضها غير أن ماركس أخذ يطبق هذا المنهج الجدلي على المادة ويفسر ما تنطوي عليه وتطور وحركة التاريخ عن طريق الواقعية المادية ونقيضها ثم اختفائها بظهور واقعة مادية جديدة تؤلف بين الاثنين الأولين •

وعلى الرغم من أن البعض قد غاب على ماركس انه استخدم منهجا استدلاليا بحتا في دراسته في علم المجتمع ، يبدأ فيه ببعض المبادئ المجردة ثم يستشهد بعد ذلك بالوقائع التي تثبت صحتها فلقد رد البعض الآخر على هذا الانتقاء قائلين أن ماركس قد أتبع بالفعل منهجا استقرائيا كان من نتيجته أن توصل الى تصور المراحل المتباينة للتنظيم الاجتماعي يبدأ بمرحلته الشاعية البدائية ثم مرحلة الترف ثم مرحلة الاقطاع ثم المرحلة الرأسمالية ثم المرحلة الاشتراكية •

كما ان ماركس قد أستخدم أيضا المنهج الاحصائي والأمبيريقي عندما اشترك في اجراء استفتاء للعمال في فرنسا استخدم فيه أسلوب الاستخبار ، الذي أستعان في تطبيقه بالصحف الفرنسية •

٢ ـ تطور استخدام المنهج في دراسة المجتمع عند أميل دوركايم :

كان دوركايم يعتبر علم الاجتماع علما مستقرا الى حد ما كما أنه يتميز بموضوع خاص ومن ثم وجب أن يكون له منهجه في دراسة هذا الموضوع وقد رأى دوركايم أن المنهج الاستقرائي هو المنهج الذي يناسب موضوع علم الاجتماع ، مادام عالم الاجتماع يحاول ان يتشبه بالعلوم التجريبية • وقد قسم دوركايم هذا المنهج الى عدة قواعد خاصة

بملاحظة الظواهر الاجتماعية والمقارنة ، وأخرى خاصة بالتفرقة بين الظواهر السليمـــة والمعتلة ، وثالثة خاصة بتقسيم الظواهر الاجتماعية .

قواعد ملاحظة الظواهر الاجتماعية :

(أ) يجب على الباحث أن يلاحظ الظواهر الاجتماعية على أنها اشياء ، فــان هذه الظواهر الاجتماعية توجد خارج شعور الفرد وهى مخالفة لحالات الفرد النفسيــة التى توجد داخل هذا الشعور . ومن ثم رأى دوركايم أن يبتعد الباحث عن المعانى العامة التى يتداولها الناس بصدد أى ظاهرة اجتماعية . لأن هذه المعانى العامــة تبعد الباحث من الطريقة العلمية ولذلك فهى لا تعبر تعبيرا صادقا عن حقيقة هــــذه الظواهر وقد عاب دوركايم على كونت وسبنسر وعلماء الاقتصاد والاخلاقيين اتباعهم لطريقة التحليل والتركيب بصفة عامة ولكن فى الحقيقة ان استخدام التحليل والتركيب هما مظهران للتفكير لا يمكن التحرر منهما فى أثناء البحث بحال من الأحوال لأنهما ضروريان لفهم وتفسير النتائج التى تؤدى الى الملاحظة والاحصاء .

(ب) يجب على الباحث فى دراسته للظواهر الاجتماعية ان يتحرر من كل فكـــرة سابقة ، ويعنى هذا ان دوركايم أغفل مرحلة الفروض وهو هنا كان متأثرا بكونت فى هــذه المسألة ولذلك فقد أعتقد دوركايم انه يمكن الانتقال من الملاحظة والمقارنة مباشرة الـى القانون مرة واحدة .

(ج) يجب ان ينحصر موضوع البحث فى طائفة من الظواهر تختص وتشترك فيمــا بينهما ببعض الخواص الخارجية ومن ثم رأى دوركايم أن البحث يجب أن يذهب على جميع

الظواهر التى يتوفر بها هذا الشرط •

ومثال ذلك : اننا نلاحظ وجود طائفة من الأفعال التى يثير وقوعها لدى المجتمع رد فعل خاص يسمى العقاب• ولذلك نحن ندخل هذه الأفعال فى طائفة مستقلة ونطلق عليها أسما مشتركا وليكن (الجريمة) ويطلق هذا الاسم على كل فعل يجلب العقاب على مرتكبه ثم نجعل الجريمة التى عرفناها على هذا النحو موضوعا مستقلا وهو علم الجرائم •

(د) يجب على الباحث فى المسائل الاجتماعية ان يجرد ادراكاته الحسية من كل عنصر شخصى متغير • ويمكنه ان يحقق ذلك اذا لاحظ الظاهرة الاجتماعية مجردة عن الصور التى تتشكل بها فى شعور الأفراد • أى ملاحظة الظواهر الاجتماعية مستقلة عن مظاهرها الفردية وقد وضع دوركايم أمثلة لهذه الظواهر مثل الاخلاق ــ القانون ــ الظواهر الاقتصادية •

وقد رأى دوركايم فى هذا الصدد أن دراسة الدين مثلا يجب أن يبتعد عن تجارب الباحث الشخصية وقد تعرض دوركايم للنقد فى هذه الناحية لأن ملاحظة الظاهرة الاجتماعية ليست من السهولة بمكان بحيث يمكن أن تقف على قدم وساق مع الظاهرة الطبيعية لأن الظاهرة الأجتماعية هى أولا وأخيرا جذر جوهرى فى شعور كل فرد ومن ثم لا يمكن الفصل بين الظاهرة الاجتماعية والظاهرة النفسية كما رأى دوركايم لأن الفرد من العسير ان يفهم الظاهرة الاجتماعية الا اذا قاسها بشعوره الشخصى ومن ثم فاذا كانت الملاحظة الموضوعية ضرورية فى منهج علم الاجتماع فانها ليست الطريقة الوحيدة •

قاعدة المقارنة بين الظواهر الاجتماعية (التغير النسبي) :

رأى دوركايم ان طبيعة الظواهر الاجتماعية لا تسمح بأجراء التجارب الحقيقية وعندما رأى أن طريقتي الاتفاق والاختلاف تعتمدان على فرض أساس ، وهو أن جميع الحالات التي تقارن بينها تختلف أو تتفق في جميع الظروف ما عدا ظرفا واحدا حكم بأن تحقيق هذا الشرط عسير في علم الاجتماع كعلم ناشئ • كما ان طريقة البواقي في نظره غير صالحة الا للعلوم التجريبية التي قطعت شوطا كبيرا في تقدمها وطريقة البواقي هي أن يستبعد الباحث جميع الأسباب الممكنة التي قد تفسر ظاهرة ما ليستبقي منه واحدا يكون السبب الحقيقي في وجودها وهذه الطريقة لا تناسب طبيعة الظواهر الاجتماعية المعقدة الى حد كبير كل هذا دفع دوركايم باللجوء الى طريقة استقرائية واحدة وهي طريقة التغير النسبي وهو يعدها أفضل الطرق لما يأتي :

أ ـ عن طريقها يمكن الباحث أن يقارن بين التغيرات التي تطرأ على ظاهرتين بصورة مطردة لكي يحكم بوجود علاقة بينهما •

ب ـ هذه الطريقة توقفنا على وجود صلة وثيقة بين الظاهرتين لأن تطور كل منهما راجع الى طبيعة صفاتها الذاتية •

جـ ـ لأنه لا يمكن استخدام الطرق الأستقرائية الأخرى الا اذا كان عدد الحالات التي تقارن بينها كبير جدا • بعكس طريقة التغير النسبي فيكفي لعالم الاجتماع أن يلاحظ أن ظاهرتين تتغيران تغيرا نسبيا في عدة حالات لكي يجزم بأنه يوجد أمام أحد القوانين الأجتماعية •

وقد انتقد دوركايم فى وجهة نظره عن طريقة التغير النسبى ، من ناحية اكتفاءه بالمقارنة بين ظاهرتين تتطوران على نمط واحد ، وفى آن واحد ، ثم يحكم بوجـــــود علاقة سببية بينهما بناء على ذلك فهذه الطريقة تؤدى الى التعميم السريع وتعتمد علـــى ملاحظات قليلة فقد قال بوجود صلة ضرورية بين الميل الى الانتحار وتدهور العقائــــد الدينية وزيادة تقسيم العمل وزيادة عدد السكان بناء على نظرته السابقة ومن أهم أوجه النقد التى وجهت الى هذه الطريقة أن الظواهر الأجتماعية لا تتطور مثنى مثنى وانمـــا هى متشابكة ومتداخلة بحيث اذا أمكن تحديد تغير نسبى بين ظاهرتين أمكن فى الوقت نفسه تحديد تغير نسبى بين كل منهما وبين عدد لاحصر له من الظواهرالأجتماعية الـتى تقترن معها فى الوجود فيمكن أن يكون هناك تلازم فى التغير بين زيادة عدد السكـان بين ظاهرة أخرى غير تقسيم العمل كالهجرة ، والبطالة ، والجريمة ،... الخ .

القواعد الخاصة بالتفرقة بين الظاهرة السليمة والظاهرة المعتلة :

وضع دوركايم ثلاث قواعد للتفرقة بين الظاهرة السليمة والظاهرة المعتلة ويـراد بالظاهرة السليمة أن تكون الظاهرة عامة وترتبط بالشروط الأساسية للحياة الأجتماعيـــة بمعنى أن توجد فى سائر المجتمعات الشبيهة بالمجتمع الذى ندرسها فيه ويكون وجودها فى هذه المجتمعات كلها فى مرحلة من مراحل تطورها . ولكن رأى دوركايم من جهـــة أخرى أن عمومية الظاهرة فى حد ذاته لا يكفى أن تكون سليمة ولكن يجب أن يكون ذلك تحت شروط معينة وهى أن ترتبط بالشروط الأساسية للحياة الأجتماعية والا أصبحت مـــن الرواسب الأجتماعية التى تستمر فى الوجود بحكم العادة وحدها وقد دلل دوركايم علـى ذلك بظاهرة الجريمة فالجريمة على الرغم من شذوذها الا أنها ترتبط بشروط الحيـــــاة

الاجتماعية فهى موجودة فى كل المجتمعات على اختلاف أنواعها كما أنه يدل من ناحية أخرى على أن الجريمة ظاهرة سليمة بشرط عدم تجاوزها حدا معلوما •

فى انها : لا يمكن القضاء عليها تماما الا اذا أمحت الفروق الخلقية والاجتماعية بين أفراد المجتمع الواحد وهذا أمر مستحيل تحقيقه •

ومن أهم قواعد التفرقة بين الظاهرة السليمة والمعتلة :

أ ـ تعد الظاهرة سليمة اذا تحقق وجودها فى أغلب المجتمعات المتحدة مع مجتمع الدراسة فى النوع واذا لوحظت هذه المجتمعات فى نفس المرحلة المقابلة فى أثناء تطورها هى الأخرى •

ب ـ ان عمومية الظاهرة فى نموذج اجتماعى معين يقوم على أساس الشروط الأساسية العامة للحياة الاجتماعية فى هذا النموذج نفسه •

ج ـ وهذا التحقق ضرورى اذا وجدت هذه الظاهرة فى بعض أنواع المجتمعات التى لم تنته بعد من جميع مراحل تطورها •

قواعد تفسير الظواهر الاجتماعية

كان الباحثون قبل دور كايم يفسرون الظواهر الاجتماعية عن طريق تحديد الخدمات التى تؤديها وتبيان الوظيفة التى تقوم بها ولقد عاب دور كايم هذه الطريقة لأنها بنيت على الخلط بين مسألتين مختلفتين كلية ؟ فان بيان الفائدة التى تعود بها الظاهرة على المجتمع ليس تفسيرا لنشأتها أو شرطا لكيفية وجودها فى حالتها الراهنة

لأن الخدمات التي تؤديها الظاهرة ليست سببا في وجودها ولكنها نتيجة طبيعية تترتب على صفاتها النوعية وإذا رأى دور كايم أن تفسير الظواهر الاجتماعية يجب أن يكون عن طريق :

أ ـ البحث عن السبب الفعال الذي يدعو الى وجود هذه الظاهرة والوظيفة التي تؤديها كل على حدة :

وقد كان دور كايم يفصل فصلا تاما بين الظواهر النفسية الفردية والظواهر الاجتماعية ومن ثم رأى وجوب التحرر من تفسير نشأة الظواهر الاجتماعية ببعض العواطف والآراء الفردية لأى من ناحية أخرى أن تفسر الظواهر الاجتماعية بظواهر اجتماعية مثلها .

ب ـ يجب البحث عن السبب في أحدى الظواهر الاجتماعية بين الظواهر الاجتماعية التي تسبقها لا بين الحالات النفسية التي تمر بشعور الفرد :

وقد بنى دور كايم هذه القاعدة الثانيه بناء على تفرقته الحاسمة بين الفرد والمجتمع وهذا ما لا يسلم به علماء الاجتماع الآن وأنه أعتقد أو تخيل أن علم الأجتماع قد أنتهى الى مرحلة التفسير مع أنه مازال حتى الآن عالما وصفيا وجزئيا لأن التفسير يكون بالكشف عن القوانين وتطبيقها على الحالات الخاصة التي هدانا اليها وأن عالم الاجتماع سيصبح علما تفسيريا عندما يسلم الناس فيه ببعض الفروض التي يمكن التحقق من صدقها .

الفصل الرابع

مداخل دراسة المجتمع وتوجيه البحث الاجتماعي

أولا — مدخل دراسة الدور

ثانيا — مدخل دراسة المجتمع المحلي

ثالثا — المدخل الأيكولوجي

تمهيـــــد :

يقدم الفصل الحالى تحليلا مفصلا لثلاثة من أهم المداخل فى دراسة المجتمـع أو البحث الاجتماعى ، فى مقدمتها مدخل تحليل الدور ، ثم مدخل دراسة المجتمــع المحلى ، ثم المدخل الايكولوجى .

ولقد كان حرصنا على تناول مثل هذه المداخل بالتحليل ومثل الدخول فـــى تفاصيل انواع المنهاج والطرق وأدوات جمع البيانات فى البحث الاجتماعى . قائم علــى اعتقادنا فى أن استيعاب مناهج البحث الاجتماعى ، والقدرة على الانتقاء من بينهـــا المنهج المناسب والطرق والاداة لموضوع البحث الذى تجريه ... كل هذه الامور وغيرها لن يتحقق لنا سحبها والسير بفضلها فى طريقنا صوب هدف بحثنا الاجتماعى ، الا مـــن خلال الاستعانة بالصياغات النظرية ، والمداخل التى تمهد الطريق امامنا نحو هـــذا الهدف .

فالمدخل باعتباره واحد من أهم الصياغات النظرية ، وبالنظر اليه على أنه أداة تصورية وتحليله ، ان كان يفيدنا فى تحديد طبيعة البيانات التى يتعين علينا جمعها ، فانه يعيننا بلا شك فى التعرف على الاداة المناسبة لجمع مثل هذه البيانات ويهدينــا قبل ذلك الى الطريقة الملائمة منها فى البحث ، ويصوب تصورنا ويتجه بنا قبل الطريقــة والاداة الى المنهج المثمر واللازم لوضع استراتيجية البحث وصياغة الخطة العامة الـــتى سنحاول فى ضوئها هذه البيانات .

اذ يضم مدخل تحليل الدور مجموعة تصورات مثل السلوك الدور ، والدور المقابل وصراع الدور ، وموقف الدور ، والدور المركزة وغيرها ، وهى تصورات تسهم من ناحية فى تحديد طبيعة البيانات التى يتعين علينا جمعها ، وبالتالى تتضح الاداة المناسبة معها ، ومصدرها ، ومن ثم طريقة تناولها ، ويعين بعد ذلك مستوى تحليلها وهكذا .

كما يضم مدخل تحليل المجتمع المحلى مجموعة تصورات ، التفاعل ، والجماعة والقوة ، والنسق ، والثقافة وغيرها ، وهى تصورات تسهم من ناحية فى تحديد طبيعة البيانات التى ينبغى على الباحث جمعها ، وبالتالى توضح الاداة المناسبة لها ، ومصدرها ، ومن ثم طريقة تناولها وتعين فيما بعد مستوى تحليلها وهكذا .

وينطوى المدخل الايكولوجى على مجموعة تصورات مثل التوزيع المكانى والتمايز المكانى للسكان ، والثقافة ، والانحراف والجريمة أو غيرها وان كانت لهذه التصورات الفضل فى تحديد طبيعة البيانات التى لا بد من جمعها فى البحث ، فانها تشير بالتالى الى الاداة الملائمة معها ، والى مصدرها ، ومن ثم الى طريقة تناولها ومستوى تحليلها وهكذا ..

فالواقع أن دراسة مداخل تحليل الدور ، وتحليل المجتمع المحلى ، والمدخل الايكولوجى وغيرها من مداخل ينطوى عليها التراث النظرى فى علم الاجتماع ، تفيد الباحث وتساعده على حسم تردده فى مجال اختياره بين واحد من المناهج أو الطرق

أو أدوات جمع البيانات فى البحث الاجتماعى ، ففى الوقت الذى يستقر فيه على موضـــوع محدد للبحث ، ما عليه الا أن يحدد المدخل الملائم لدراسته ، حتى يتضح له فـــى ضوء هذا المدخل المنهج والطريقة والاداة التى عليه أن يعتمد عليها فى اجراء هذا البحـــث .

ولذلك كله ، سيدور حديثنا فى الفصل الحالى حول هذه المداخل المتعددة فى البحث الاجتماعى ، وامكانية الاعتماد عليها فى تحديد منهج وطريقة وأداة البحث.

——— * * * ———

مدخل تحليل الـــــــدور

Role Analyris APProach

تعريف تحليل الدور* :

يهتم تحليل الدور بآثار البناءات الاجتماعية القائمة بالفعل ، وآثار علاقات الدور المصاحبة لهذه البناءات ، على سلوك المشاركين فيها . واذا كانت الحياة الاجتماعية لا تدور فى فراغ ، بل تعكس خصائص أوضاعها الفيزيقية والمادية ، فانها تتأثر فى الوقت ذاته بالتوقعات التى يطورها الناس بصدد سلوك الدور الملائم بالنسبة لهم وللآخرين . ولذلك ، فلو كان الباحث يستطيع أن يقوم برسم خريطة للعوامل الايكولوجية ذات الأهمية الاجتماعية : كالحدود ، والطرق ، وأماكن الجريمة ، فانه يمكن أيضا من توضيح "علاقات الدور والدور المقابل " فى المجتمع .

ولقد اقتبس علماء الاجتماع مصطلح "الدور role " من المسرح . وهو مصطلح يشير الى مجموعة من معايير السلوك (القواعد) التى تطبق على وضع معين فى البناء الاجتماعى . وهذه المعايير تتكون من مجموعة توقعات لدى الآخرين ، تلك التوقعات التى لا تنطوى على تحديد الطريقة التى يتعين على الشخص أن يؤدى دوره بها فقط ، وانما تنسحب أيضا على الاسلوب الذى ينبغى أن يتصرف به هذا الشخص تجاه الآخرين أثناء أدائه لدوره ، والشعور الذى ينبغى أن يسيطر عليه فى الآن ذاته . كما ينطوى المصطلح أيضا على توقعات القائم بالدور أو " شاغله " بصدد كيفية تصرف الآخرين نحوه ، أو الطريقه التى ينبغى عليهم أن يسلكوا بها تجاهه . وعادة ما تظل هذه المعايير المتبادلة متسقة ومنتظمة باستمرار ، ونحن عندما ندلى بعبارة مثل : ان فلانا لم يتصرف كوزير ، أو كأب ، أو كمدرس ، فاننا نعبر عن خيبة أملنا لعدم تمكن هذا

* أعد هذا الجزء دكتورة سامية محمد جابر

الشخص في أن يقوم بدوره .

والى حد ما ، يعتبر المجتمع ممكنا ، لأن الناس ينزعون الى الاداء التـــام لتوقعات الدور التي تنطوى عليها الاوضاع المختلفة التي يشغلونها . وغالبا مالايحدث الاعتراف المقصود أو الصريح بتوقعات الدور ، الا عندما يقوم شخص معين بتجاوزهـــا أو بالانحراف عنها ، وذلك كما يحدث مثلا عندما يقوم الطفل بدور البالغ ، أو يتصرف العامل مع رئيس القسم الذى يعمل هو به بطريقة تبالغ في الالفة والمودة وتتجاوز الحدود بينهمـــا .

هذا ، ويعتقد المهتمون بتحليل الدور أن مفهوم " استدماج internaliyation" التزامات الدور ، أو استيعابها ، يمكن أن يفسر معظم جوانب السلوك الانساني ، كما يفسر أيضا دوافع هذا السلوك . ونحن جميعا نعترف بأثر التنشئة الاجتماعية (خلال مراحل العمر المختلفة) في استدماج الدور ، ومثال ذلك أننـــا نلاحظ أن الفتاه عندما تتزوج ، فانها سرعان ما تقوم بدور ربة البيت ، ويرجع ذلك الـى أنها تعتقد ان هذا الدور متوقع منها ، ونائب الرئيس الذى يجد نفسه فجأة في موقـــع الرئاسة ، يبدأ في الكشف عن كفاءاته في ادارة الدولة ، تلك الكفاءات التي لم يكـــن أحد يعلم أنه يتمتع بها . واذن نحن نتصرف ـ غالبا ـ لنحقق تلك التوقعات الـــتى نعتقد أن الاخرين يتوقعونها منا .

كيف تجرى بحثا وتحليلا للدور .

لا يمثل تحليل الدور طريقة لجمع البيانات ، بل انه عبارة عن أداة تصورية وطريقة

فى نفس الوقت ، وهو يعبر — فى الممارسة — عن أفضل مؤشر الى العلاقة المتبادلة بين النظرية والمنهج فى البحث الاجتماعى ، ونحن عندما نشير اليه باعتباره أداة تصوريـــــة فاننا نعنى بذلك أن تصوراته أو مفاهيمه هى التى تحدد طبيعة البيانات التى يتعين جمعها ، وأما قولنا أنه أداة تحليلية ، فانه يشير اليه كأداة توجه التحليل .

ومفهوم " الدور " هو أحد المفاهيم التى تنطوى عليها تلك المجموعة المتشابكة من المصطلحات المترابطة فيما بينها ، والتى تستخدم فى تحليل الدور من أجل دراسة سلوك الافراد ، وهذه المصطلحات هى :

الوضع position : وهو موقع الشخص فى البناء الاجتماعى .

الدور role : أى المظهر السلوكى والجانب الديناميكى للوضع .

المكانة أو المركز status الجانب التقييمى للوضع (ما اذا كان الاخرون ينظرون اليه باعتباره عاليا أو منخفضا) .

الدور المقابل counter role : دور مكمل لدور آخر (أى أنه يكمل التفاعـــــل الثنائى) ، ويسمح وجوده بأداء هذا الدور الآخر . فالمدرس — والتلميذ ، والأب — والأبن ، وصاحب العمل — والعامل ، هى ثلاثة أزواج لأدوار متقابلة ، يفترض أداء كـل منها أداءاً مقابلا من الدور الاخر ، فى نفس الوقت الذى يجعله ممكنا .

الحقوق والواجبات rights ans obligations ان كل دور يجر معـــه سلسلة أفعال ينجزها الآخرون ، وتنجز من أجل الآخرين . وتلك هى التوقعات المشتركة أو النماذج المثالية لدورنا نحن ، وللأدوار المقابلة التى نتصورها بعقولنا .

ادراك الدور role percepion : طريقة أو أسلوب تفكير الشخص في دوره الاجتماعي وفكرته عما ينبغي أن يفعله .

سلوك الدور role behavior : الاداء الواقعي لدور معين . (في بعض الاحيان نحن نخفق في تحقيق توقعات دورنا ، بينما نوفق في تحقيقها أحيانا أخرى) .

صراع الدور role conflizt : موقف يجد الشخص فيه أن أداءه الكامل لدور معين ، يؤدي الى الاخفاق في تحقيق توقعات دور آخر . ولذلك ، تنتابه مشاعر الذنب مهما فعل ، (فالمرأه التي تحاول أن تكون أما مثالية ، وطالبة مثالية غالبا ما تكون عرضة لصراع الدور) .

والعالم الاجتماعي عندما يستخدم هذه المفهومات كموجهات لجمع البيانات ، يكون قادرا على أن يحصل على المعلومات التي يطلبها ، ويقوم برسم خريطة " لنسق الدور " يمكن أن تمثل بدورها وسيلة مفيدة لاطلاع الباحث على مجالات أخرى التفاعل ، ربما تكون صالحة لان تفحص فحصا مثمرا . ومثال ذلك أن " جروس Gross" أشار الى أن احدى الطرق التي تيسر فهم الضغوط التي يعاني منها ناظر المدرسة ، تتمثل في تحديد الادوار المقابلة التي تتصل بدوره : كالرؤساء ، والمدرسين ، وأعضاء مجلس ادارة المدرسة ، والتلاميذ ، ان هؤلاء جميعا ينظرون اليه من منظورات مختلفة ، وبالتالي فانهم يتفاعلون معه بطرق مختلفة أيضا ، وتكون توقعاتهم بشأنه مختلفة ومتعددة.

وينبغي ملاحظة أن مدلولات ما نسميه " بالدور المركزي central role " و " الدور المقابل counter role " تتوقف على اهتمامات الباحث ذاته ، فالدور

المقابل عند باحث معين قد يمثل دورا مركزيا عند شخص آخر • وفوق ذلك ، فـــان شاغلى الدور المقابل يتفاعلون أيضا كل مع الآخر ، وأما ادراج مثل هذه التفاعلات ضمن محتوى البحث أو استبعادها منه ، فذلك أمر يتوقف على هدف الدراسة •

وطالما أن الباحث قد قام بتحديد الادوار المقابلة ذات الاهمية فى بحثـــه ، والتى سوف تمثل جزءا من الوضع الاجتماعى الذى يقوم بدراسته ، فانه يستطيع أن يفحص سلوك الأشخاص الذين يقومون بهذه الأدوار ، لو وضع هذه الاسئلة فى اعتباره :

١ ــ كيف يتفاعل الافراد الذين يمثلون علاقة " الدور المقابل " ، أحدهـــم مع الآخر ؟ (يجب أن ينصب التأكيد الاساسى على التفاعل مع ما نسميه بالدور المركزى) •

٢ ــ ما هى التوقعات غير المنطوقة التى يحملها كل منهم بخصوص الآخر ؟ وماذا يحدث لو انحرف أحدهم عن هذه التوقعات ؟ (فلنحدد على سبيل المثال ما هـــو متوقع من ناظر المدرسة ، وما يحدث عندما يكون سلوكه أدنى من مستوى التوقعات) •

٣ ــ كيف ينظر كل شخص فى الدور ، الى ذاته ؟ وكيف ينظر الى الآخريـــن ، كيف يراه الآخرون ؟ (الطريقة التى ينظر بها المجرم الى ذاته ، وتلك التى ينظر بها الآخرون اليه) •

٤ ــ ما هى التوقعات التى ينبغى أن تحققها دور معين من أجل أن ينجـــز على نحو ملائم ؟ والى أى حد يسمح بتجاوز التوقعات فى الأداء ؟ أو ما هى حـــدود التسامح ازاء الانحراف عن التوقعات ؟ •

٥ ــ هل توجد أيه مفارقة فى مكانة الأدوار التى تعتبر موضوعا للدراسة (أنظر الى علامات الاختلاف أو مؤشراته التى يكشف عنها شاغل دور معين فى علاقته بشاغــل دور آخر) فهل ينادى أحدهما الاخر بواسطة استخدام ألقاب مثل : ياسعادة البيه، أو ياأفندم ؟ .

٦ ــ ما هى أنواع الجزاءات (سلبية كانت أم ايجابية) التى يستخدمها القائمون بالدور كل تجاه الاخر ؟ وما الذى يعنيه ذلك من مفارقات فى قوة الادوار (ومكانتهـا) ؟ فعلى سبيل المثال : ما هى التهديدات التى يمكن أن يستخدمها ناظر المدرسة لكــى يقوم بردع المدرسين ؟ وما هى التهديدات التى يمكن أن يستخدمها المدرسون لــردع ناظر المدرسة ؟

٧ ــ هل هناك أدوار تتعذر ملاحظتها أكثر من أدوار أخرى ؟ وكيف يمكـــن اختراق مثل هذه المجالات الخاصة ؟ أين نلاحظ المحتلين مثلا ؟

٨ ــ ما هى أنواع المستلزمات التى يستخدمها الاشخاص من أجل تعزيز أنفسهم فى أدوارهم ؟ (الزى ، واللغة ، والالقاب ، والمظهر العام) .

٩ ــ ما هى أنواع الصراعات التى يعانى منها الشخص الذى يتميز بتوقعــات دور متعددة ؟ ماذا يحدث ــ مثلا ــ عندما يقع ناظر المدرسة بين توقعات المدرسين وتوقعات لائحة المدرسة ؟

وعندما يريد الباحث أن يحصل على مثل هذه المعلومات يمكن أن يستخدم أكثر من طريقة وأداة من طرق البحث وأدوات جمع البيانات المعروفة .

بعض أدوات جمع البيانات وطرق بحث الدور :

١ ــ ملاحظة الأشخاص أثناء قيامهم بدور معين . وهذا ينطوى على معرفة كيف يتصرف الأشخاص الذين يقومون بأدوار مقابلة ، أحدهم تجاه الآخر ، وكيف يتحدثون معا ، كما يتطلب ذلك محاولة التعرف على التوقعات المتبادلة .

٢ ــ الملاحظة المشاركة فى "مجموعة دور" معينة * . وهنا يقوم الباحث بتدوين ردود أفعال القائمين بالدور ، كل تجاه الآخر ، وتجاه الباحث ذاته ؟ وهو يستطيع ، بعد أن يعايش مثل هذه الخبرات ، ويمير تلك التجارب ، أن يحدد معالم معينة لبعض مواصفات أداء الدور ، والتوقعات المرتبطة به .

٣ ــ مقابلات متعمقة مع بعض الاشخاص الذين يقومون بأدوار تهم الدراسة كيف يرون الدور ؟ وما هى ضروب السلوك التى يضمنونها فى أفضل أداء له ؟ وفى نفس الوقت يمكن توجيه هذه الاسئلة ذاتها للقائمين بالدور المقابل . وهذا فى حد ذاته يمنح الباحث احساسا بذلك الكل الذى يشتمل على التوقعات المعيارية والتوقعات

---

* المقصود بمجموعة الدور role set تلك الحقوق والواجبات التى تناط بعدد من المراكز يمثلها أشخاص يشتركون فى نفس العالم الصغير ، كعالم الطب مثلا أو عالم التدريس أو عالم القانون ، وهى تضم عدد أدوار (مركزية ومقابلة) .

المقابلة التى توجد فى مجموعات الدور .

٤ـ استبيان لقياس الاتجاه يشتمل على بعض أنواع السلوك ، والصفات الواضحة التى تستخدم لتحديد أبعاد الدور كما يراها المجيب ذاته (سواء دوره هو أو دور شخص آخر) :

أ ـ الشخص الذى يكون ....دور........ يجب أن يتصرف

ـ بمودة كاملة ( )

ـ بفتور وكلفة ( )

ب ـ وينبغى أن يرتدى ملابس :

ـ رسمية ( )

ـ غير رسمية ( )

جـ ـ ويتعين عليه :

ـ أن يقدم المعاونة للآخرين ( )

ـ أن ينتظر منهم المعاونة ( )

٥ ـ تاريخ الحالة ، الذى يستخدم فى تحديد كيف أن بعض الاشخاص يكتسبون سلوك دورهم تدريجيا ، حتى يصبح هذا السلوك جزءا من طبيعتهم أو "طبيعة ثانية " لهم . وهنا يتعين على الباحث أن يطلب من المبحوثين استرجاع بعض الذكريات الماضية منذ أن قاموا بالدور ؟ كيف اكتشفوا ما ينبغى عليهم القيام به ؟ وهل تعرضوا

للفشل ؟ هل أحسوا بعدم ملاءمة أدوارهم ؟ وهل تصوروا أنها صعبة أو مستحيلة ؟

٦ ـ المسح التفسيرى : وهو الذى يمكن الباحث من الاجابة على أسئلة مثل : كيف يقوم مختلف الاشخاص بأدوار مختلفة ؟ وما هى العوامل التى تفسر هذا الاختلاف ؟ ما هو مستوى تعليمهم ؟ وخلفيتهم الاجتماعية ، واهتماماتهم فى المدرسة ؟ ومن هو الذى رأوه يقوم بهذا الدور وأعجبوا به ؟ أو هل كان لهم شخص معين اعتبروه قدوة للدور ؟ .

ان كل أداة أو طريقة من الادوات والطرق السابقة تعتبر مفيدة فى حد ذاتها نظرا لاسلوبها الفريد فى تحقيق الفهم الملائم لجانب خاص من جوانب الدور التى تؤثر فى الحياة الجماعية الانسانية .

ايجابيات هذا المدخل وسلبياته :

١ ـ من أبرز ايجابيات تحليل الدور ، ان البحث عن الادوار ، والادوار المقابلة والتوقعات المعيارية المتصلة بكل دور ، يضفى نوعا من النظام على الحياة الاجتماعية . هذا النظام الذى يعاون الباحث على أن يضع مجموعة من البيانات واعادة الوقائع العلمية المتصلة بالحياة الاجتماعية ، ربما كانت تبدو باعتبارها منفصلة ومتناثرة ، فى كل متكامل له دلالته وهدفه .

٢ ـ أن دراسة الادوار والادوار المقابلة ، تعاون على وضع تفسيرات لظواهر

معينة مثل : نماذج الاختلاف والاستخدام ، وتوجه انتباه الباحث الى مجالات الصراع الاجتماعى الممكنة ، وكافة مشكلات التفاعل الاخرى .

٣ ـ أن تحليل الدور يوضح الدوافع التى قد لا يلاحظها عالم الاجتماع فـى موقف تفاعلى ، وهو يعرف تماما أنه ينبغى الاهتمام بالدافعية لان الأشخاص يرجعـون ذهنيا الى توقعات الاخرين قبل أن يقوموا بأى فعل من الافعال . فالشخص قد يفكـر بهذه الطريقة " أننى اذا قمت بفعل معين لكى أرضى شخصاً أ (الذى يقوم بدور مقابل) فكيف سينظر الى شخص ب (الذى يقوم بدور مقابل آخر) وماذا سوف يقول عنى وكيـف سيفكر فـى ؟

٤ ـ وهذا المدخل ، كأى مدخل آخر الى فهم الحياة الاجتماعية ، لـه سلبياته . اذ ربما يؤدى بالباحث الى ادراك بناء اجتماعى أكثر ثباتا واستقرارا ، يقوم الأفراد فيه بدور واحد فى وقت معين من أجل الوجود الناجح والمستمر للنسق الاجتماعى ولعل بعض الباحثين فى تحليل الدور ، أو بعض منظرى الدور ، قد تناسوا أو نسى أن الحياة الاجتماعية تتميز بالاستمرارية ، والتغير المتواصل ، وأنه يمكن للاشخاص أن يقوموا بعدد من الادوار بطريقة تلقائية (وذلك كدور السن ، ودور النوع ، والـدور المهنى ، علاوة على الأدوار المتبادلة على المستوى الشخصى بينهم) . كما أن الـدور المقابل الواحد يمكن أن تكون له عدة مظاهر مختلفة ، أو ربما متعارضة ، لا تعكس تلك الوحدة البسيطة التى يتصورها بعض الباحثين . فالأدوار المقابلة لدور الزوج يمكـن تقسيمها الى عدة أقسام مثل :

ـ محب •

ـ وعائل •

ـ ورئيس للعائلة وحاميها •

ـ ورفيق •

أما الادوار المقابلة لدور الزوجة ، فهى مثلا :

ـ فتاة فاتنة •

ـ ومديرة جيدة للمنزل •

ـ ومصممة ديكور للمنزل •

ـ ومعاونة (للابناء فى دراستهم ، وللزوج فى عمله) •

٥ ـ أصبح مصطلح " الدور " يستخدم الآن فى علم الاجتماع ، بطريقة أكثر عمومية وشيوعا مما يتضمنه التعريف المحدد له • بحيث أنه يطلق على أية مجموعة من التوقعات المعيارية ، بغض النظر عن ارتباطها بوضع واقعى داخل البناء الاجتماعى أو بتوقعات سلوكية محددة ومقننة وذات طابع رسمى • ومثال ذلك أن هناك أدوارا مهنية تقليدية ومعروفة ، ترتبط بالعمالة فى المجتمع ، وبطبيعة البناء الاجتماعى له ، ولها توقعاتها السلوكية المحددة تحديدا واضحا (توصيف الوظائف) • ومن الناحية الاخرى ، فان أدوار السن والنوع لها أيضا حدودها السلوكية كما أن الاوضاع المرتبطة بها تعتبر محددة بدقة • أما الادوار المتبادلة على مستوى الاشخاص interpers- onal roles ، وهى التى تتكون بواسطة العلاقات المتميزة بفرط الحساسية

بين الناس ، أو التى تغلب عليها مواقف انفعالية وعاطفية (كالموظف المهرج أوالأحمق أو المثير للتوتر وللانفعالات) فهى كلها أدوار غير عادية أو غير مألوفة بحيث أننا لانعثر لها على مكان رسمى فى معظم البناءات الاجتماعية ، ولكنها لا تزال مع ذلك كله تسهم فى تكوين التوقعات السلوكية لدى الاخرين المعنيين .

٦ ــ ان اخطر ادعاء المتخصص فى تحليل الدور ، هو ذلك الذى يشير الى أن كل سلوك يعتبر سلوكا للدور . ولكن الحقيقة أن الناس يتصرفون بأسباب أخرى غير توقعات الدور ، ومن هنا يمكن أن نقول ان الاستعانة بنماذج أخرى للمداخل النظرية ، تكون أفضل لدراسة هذه الانشطة .

مجالات استخدام تحليل الدور :

هناك العديد من المجالات النظرية والتطبيقية التى يمكن أن نفيد فيها من تطبيق مدخل تحليل الدور ، ونستطيع أن نجمل أهمها على النحو التالى :

١ ــ يعتبر تحليل الدور مدخلا مفيدا لدراسة كيفية اندماج الفرد فى أى بناء اجتماعى (الاسرة ، وجماعات الاصدقاء غير الرسمية ، وكذلك التنظيمات ذات الطبيعة البيروقراطية المتميزة كمنظمات العمل والمنظمات التعليمية) .

٢ ــ يمكن تحديد بعض المشكلات الاجتماعية تحديدا دقيقا ، وابرازها بواسطة تركيز الانتباه على مشكلات صراع الدور ، وعدم تماسك الادوار . ومثال ذلك أن كوماروفسكى komarovsky " لاحظ أن تلميذات المدرسة يتوقع منهن أن يبدين اهتماما بالمستقبل

المهنى وبالزواج فى نفس الوقت ، وأن هذين المطلبين غالبا ما يتسببان لهن فــى مشكلات جسيمة ، وفى عدم اتخاذ قرار واضح بصدد الفعل الملائم أو العمل الــذى يمكنهن القيام به .

٣ ـ ان تحليل دور أوضاع " الادارة الوسطى " يتيح الفرصة لتحديد الضغوط المتصارعة التى تمارس تجاه شاغلى هذه الاوضاع . فرئيس العمال فى المصنع يتعامــل ـ مثلا ـ مع المديرين ، ومع عمال خط التجميع ، وهو عندما يحاول أن يحل مشكلات كل فئة من هاتين الفئتين ، غالبا ما يجد أن ولاءه قد تمزق لانه يكون فى موقف عسير للغاية اذ يحاول تحقيق مجموعة المطالب المتصارعة للجماعات المختلفة ، التى لا يمكن أن تتفق مصالحها أو منظوراتها .

٤ ـ وهناك العديد من المجالات الاخرى التى ستختص الفقرة التالية بالاشارة اليهــا .

القانون والمجتمع كموضوع لتحليل الدور :

ان علم اجتماع القانون هو عبارة عن دراسة للطريقة التى تفرض بها المعايــير الرسمية لمجتمع معين ، أو تنفذ ، ولأسلوب التعامل بين منفذى هذه المعايير ، وطريقة معاملتهم للمنحرفين ، وأخيرا لكيفية توزيع الجزاءات من خلال عمليات تفاعل الــدور .

والنسق القانونى هو أحد المجالات الهامة التى يكون لتحليل الدور فيها قيمة غير عادية . وذلك نظرا لان الاشخاص المستوعبين فى العملية القانونية ـ سواء كانوا مدعين أو

منفذين للقواعد ـ يتفاعلون من خلال أدوارهم أكثر مما يتفاعلون " كأشخاص كليين ".
وهناك أيضا العديد من المجالات الاخرى التى تصلح لتحليل الدور فيها ، وهى :علم اجتماع الطب ، وعلم اجتماع المهن والنظم ، وحيثما يحتل التفاعل غير الشخصى والمنتظم مكانه ، تبرز أهمية تحليل الدور.

وفوق ذلك ، يعتبر علم اجتماع القانون مجالا ملائما لتحليل الدور لأنه ينطوى على أدوار ومجموعات دور لا حصر لها ، بحيث تكون أمام الباحث فرصة كبيرة للاختيار ، ومجموعة بدائل كثيرة . فهناك مثلا :

ـ الشرطة (وتسلسل الادوار فيها من الرئيس الى أصغر رتبة من رتب رجال الشرطة).
ـ والقضاء .
ـ ومعاونو المحكمة .
ـ والاخصائيون الاجتماعيون .
ـ والمحللون النفسيون .
ـ وشهود العيان .
ـ والسجانون .
ـ وحراس السجون .
ـ والمحامون .
ـ والمدافعون .

ـ والمدعمون

ـ ونواب العموم (المدعى العام ، والنائب العام ...) .

ـ وضباط المتابعة .

ـ والمحققون .

ـ والضامنون .

ان جميع هؤلاء وغيرهم ، يمثلون رمزا لعلاقات الدور التى تؤدى وظيفتها كسلاح قانونى للمجتمع . وكثير من هذه الادوار ، تتصارع مع بعضها بالنظر الى الأهداف والايديولوجيات الموجهة لها .

التمرين المقترح :

عليك أن تقوم بتحليل بعض مجموعات الدور المتصلة بتنفيذ القانون اتصالا مباشرا ويمكنك أن تعمل بمفردك أو فى فريق مكون من اثنين أو ثلاثة أفراد ، وهذه هى خطوات حل التمرين :

١ ـ حدد نوعية التفاعل بين الدور والدور المقابل ، الذى تريد أن تقوم بدراسته كأن تحلل مثلا التفاعل بين :

أ ـ أحد رجال الشرطة ، ومدافع ، وقاضى .

ب ـ محام وشاهد وقاض .

ج ـ رئيس شرطة ورجل شرطة وسجان ومحام .

٢ ــ حدد أفضل وضع يمكنك أن تدرس فيه مجموعات الدور التي قمت باختيارها واليك بعض الاقتراحات :

أ ــ محكمة عليا أو محكمة محلية •

ب ــ قسم للشرطة أو نقطة بوليس •

جـ ــ منطقة حجز •

د ــ سجانون في المدينة أو المحافظة التي تتبعها عدة مدن (اذا كنت تعرف أحدا من هؤلاء ، قم بزيارته ، ولاحظ سلوك دوره ملاحظة سوسيولوجية) •

هـ ــ أحد السجون في المدينة •

و ــ سيارة دوريه (وهي سيارة مغلقة لنقل السجناء) •

ز ــ منطقة قبض (وهي التي ينتشر فيها المجرمون ، أو يحتمل أن يمرون عليها) مثل بعض الاحياء في المدينة ، ومناطق الرذيلة والانحراف ، والميناء الجوى أو البحرى •

٣ ــ حدد أداة جمع البيانات (أنظر الفقرة الخاصة بطرق البحث وأدوات جمع البيانات ، والواردة ضمن موضوعات تحليل الدور) • ويمكنك أن تستخدم أكثر من أداة اذا أردت ، كأن تجمع بين المقابلة والملاحظة مثلا • وتذكر أن عالم الاجتماع عندما يوجه أسئلته الى الرجل العادى ، لا يقبل على استخدام المصطلحات الفنية ، بل يستعين ببدائلها في اللغة العامية الدارجة بحيث يفهمها أى شخص آخر •

عرض النتائج :

أعرض نتائجك بطريقة متكاملة وعلى نحو منظم ومتسق ، بحيث تشتمل على ما يلى :

١ ــ قضية مختصرة عن مجموعة الدور التى تمت بفحصها (من الممكن أن تقوم بمقابلات مع الاشخاص المعنيين ، بشأن ادوارهم ، عندما يكونون خارج نطاق أوضاعهم وان كان من المفيد أيضا أن تدعم هذه المقابلات بواسطة الملاحظات) •

٢ ــ خريطة للادوار والادوار المقابلة • وهنا يمكن اختيار دور معين وتسميته "بالدور المركزى " ، ثم تحديد مجموعة الادوار المقابلة له • وفى هذا الصدد فاقتصر على ذكر الادوار التى تمت بدراستها بالفعل ، سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة أى من خلال الشخص الذى يمثل الدور المركزى •

٣ ــ وصف مختصر للمنهج وطرق البحث وأدوات جمع البيانات التى استخدمتها •

٤ ــ قضية تعبر عن نتائجك • ينبغى أن تشتمل على اجابات عن بعض الاسئلة الاتيــــة :

ما هى تصورات الناس عن الواجبات والحقوق المرتبطة بأدوارهم ؟ ما هى ضروب التعزيز أو التدعيم التى يحصلون عليها من مستلزمات معينة كالملابس التى يرتدونها أو الالقاب الخاصة بهم أو أوضاعهم ؟ هل يستطيعون البقاء فى الدور برغمها يسببه من ضغوط وتوترات ؟ ما هى المفارقات التى لاحظت وجودها عندما يقوم شخصان مختلفان (قاضيان مثلا) بنفس الدور ؟ لا تنسى أن تحدد أدلتك أو شواهدك على ما تقولــه فاذا شعرت مثلا أن أحد القضاه يتوقع أنه مختلف عن الاخرين ، حدد المناسبات التى تشير الى ذلك •

٥ ــ الفروض التى تقدمها هذه الدراسة من أجل بحوث أخرى •

٦ ــ المشكلات التى تعرضت لها فى محاولة اجراء بحث الدور وتحليله • ومقترحاتك للتغلب على هذه المشكلات •

مدخل دراسة المجتمع المحلـــــــي

The Commuinty approach

مدخل دراسة المجتمع المحلي* The Community Study

أولا ـ المدخل النظـــرى :

١ ـ تعريف المجتمع المحلي :

عندما يطلق لفظ المجتمع المحلى فأنه يتبادر الى الذهن انه جماعة من الناس تربطهم علاقات معينة ويشاركون اهتمامات ومصالح خاصة ـ والمجتمع المحلى يقد به أيضا المكان ـ مثل مدينة صغيرة أو جزء من مدينة أو حي ٠

وبالنسبة لعالم الاجتماع فأن مفهوم المجتمع المحلى يعنى أيضا "المعيشة To getherness " والانتمائية والمسايرة داخل اى منطقة جغرافية معينة ٠

والمجتمع المحلى ينطوى كذلك على نوع معين من العلاقات بين الأفراد الذين يكونون المجتمع المحلى وهذه العلاقات علاقات بنائية وتشتمل على كل الأنظمة الأنسانية ٠

وعلى الرغم من اعتقاد بعض المعلقين الأجتماعيين بأن المجتمعات المحلية قد اختفت أو اندمجت في المجتمع الشعبي لهذا لا يمكن تميزها ٠ الا أنه يمكن أن نقـــول أن الرجل العادى والسوسيولوجيون مازالوا يعتقدون ان تلك المجتمعات المحلية مازالت موجودة بالفعل ٠ ولو ان هذه المجتمعات المحلية يصعب تحديدها داخل حدود معينة وذلك بسبب ذوبها فى المجتمع الكبير الذى يحيط بها ٠

ولكن على الأقل من الناحية السيكولوجية تعتبر هذه المجتمعات المحلية أمـــرا واقعا للكثيرين من الناس ٠ والكثير منهم يمضى وقت ملحوظ محاولا جعل هذا المجتمـــع

* أعد هذا الجزء دكتور محمد احمد بيومى

المحلى (الحى ــ المدينة ــ المركز ٠٠٠ الخ) مكانا أفضل للحياة ٠

ودراسة المجتمع المحلى هى محاولة لفهم ووصف جماعة من الناس الذين يقيمون فى منطقة جغرافية محددة ويشاركون فى بعض الأنظمة العامة ويشعرون بأن المدارس المحلية والكنائس والمحلات والمسارح والحدائق والمنازل والمصانع ٠٠٠ الخ ٠ تنتمى لهم بطريقة ما ٠

وبدراسة مجتمع محلى واحد فأن السوسيولوجى يأمل فى الكشف عن العمليات والأبنية المتضمنة والتى هى عامة لكل الجماعات الانسانية مع الاعتراف بأن كل مجتمع محلى له خصائصه الذاتية ٠

وفى محاولة دراسة المجتمع المحلى فان السوسيولوجى مطالب بتحديد الدور الذى يلعبه المجتمع المحلى فى حياة الأفراد المقيمة به ٠ ماذا يفعل المجتمع المحلى لهؤلاء ؟؟ ٠

وللبحث عن ذلك فأن الباحث يمكن ان يبحث فى مؤسسات التنشئة الاجتماعية مثل الأسرة والمدارس والكنائس والأنديةو الجماعات والجمعيات الخيرية ، كذلك يمكنه أن يبحث أيضا فى عمليات الانتاج والتوزيع والاستهلاك ٠

وبالرغم من أنه يعترف بأنه عندما يقوم الباحث بذلك على المستوى التنظيمى فان هذه العمليات ليس مهتمة بالمنظمات الاقتصادية مثل المصنع والسوق والمحلات التجارية المحلية فقط ولكن أيضا تهتم بالمدارس والجمعيات الدينية ومؤسسات الحكومة وحتى المهن

والوظائف ؛ • وعلى سبيل المثال فأن " انتاج " المدرسة هو الطالب الذى يصبح فـــى المستقبل عضو منتج فى المجتمع ، لأن مهاراته تستهلك أو تستخدم بواسطة الاعضـــاء الآخرين فى الجماعة • فالفرد اذن ، يساهم ويكسب من ارتباطه بالمجتمع المحلى •

وقد يركز الباحث اهتمامه بصفة خاصة على الأسرة لأنه من خلال الرعاية الأســرية التى تقدم للفرد والتى تساعده على أن يكون عضوا من أعضاء الجماعة الكبيرة والتى قـــد يعرفها الباحثين السوسيولوجين على أنها طبقة اجتماعية (طبقة عليا ، طبقة وسطـى ، طبقة د نيـــا) •

وكذلك تستخدم المهن والتعليم والدخل على أنها مؤشرات لعضوية الطبقـــة لأنه وببساطة فان الوظيفة أو المهنة التى يعمل بها رب الأسرة تؤثر فى طريقة الحيـــاة والفرص المتاحة لجميع أعضاء الأسرة •

كذلك يستطيع الباحث ان يلاحظ كيف يمارس أعضاء المجتمع المحلى نوعا مـــن الضبط الاجتماعى على المواطنين لتتماثل طريقتهم فى الحياة طريقة المجتمع المحلـــى • ولملاحظة ذلك فأن الباحث عليه أن يلاحظ المؤسسات الرسمية للحكومة مثل الشرطـــة والمحاكم والسجون ومؤسسات الرعاية ••• الخ • كذلك يمكن دراسة الأسرة والمدارس والجمعيات الدينية كمؤسسات غير رسمية لها تأثير فى ضبط سلوك الأفــراد •

هناك ايضا جانبا آخر من جوانب حياة المجتمع المحلى يمكن للباحث أن يهتم به وهو المشاركة الاجتماعية • أى دراسة كيف يتفاعل أعضاء المجتمع بعضهم مع بعض من أجل تحقيق الحاجات الجمعية لهؤلاء الأعضـــاء •

كذلك يجب ان يهتم بدراسة الجماعات الخلفية والسرية والتى لها نشاط خاص بالنسبة لأعضاء المجتمع المحلى ، وكذلك الاهتمام بالاحتفالات العامة والهدف منها بالنسبة لحياة المجتمع ككل وبالنسبة للأفراد المدعوين لها •

٢ ـ كيف يمكن القيام بدراسة المجتمع المحلى :

تعتمد الطريقة التى يعتمد عليها الباحث فى دراسة المجتمع المحلى على مدى عمق الخلفية النظرية المتوفرة له • كما أن الاساليب التى يستخدمها لا تعتمد على نظرية بعينها أو شكل من أشكال التطبيق ولكن أفكاره تعطى طريقة أو جهة نظر معينة تجاه الواقع أو العالم الاجتماعى وتحدد البيانات التى يمكن أن تعتبر مهمة والى أى حد تؤثر هذه البيانات ، وكيف يمكن جمع هذه البيانات •

فدراسة المجتمع المحلى هى ذروة المناهج التى تعلمها ولهذا فأن السوسيولوجية يستخدمون كل الأساليب والطرق لجمع البيانات لبحثهم عن تجمعات المجتمع المحلى •

مداخل دراسة المجتمع المحلى :

أ ـ مفهوم المكان :

ولعل من أول وأقدم المداخل لدراسة المجتمع المحلى يعتمد أساسا على مفهوم المكان وهو التركيز على أيكولوجيا المدينة أو المنطقة الريفية والباحث الذى يستخدم هذا المدخل يجب أن يلاحظ هذه الخصائص :

١ ـ المكان الخالى من السكان (الحدائق ـ الميدان العامة ـ الاراضى الخالية ٠٠٠)

٢ ـ حالة المبانى .

٣ ـ الكثافة السكانية .

٤ ـ الشوارع الرئيسية للمواصلات والشوارع الجانبية .

٥ ـ التأثير النفسى للبيئة .

وبطبيعة الحال يمكن عليه مقارنات بين أجزاء مختلفة من المدينة أو المدينة الصغيرة فى ضوء هذه الخصائص الخمسة . فمثلا يمكن عمل مقارنة بين منازل المناطق المتخلفة مع منازل الطبقات الوسطى ومنازل الطبقات العليا .

ب ـ نوعيات الناس :

ويعتبر المدخل الثانى فى النظر الى المجتمع هو نوعيات الناس وهو يقوم على الوصف الجوهرى لخصائص المقيمين فى هذه المنطقة . فالعمر والنوع والدخل والجنس (العنصر) وأنواع المهن ومعدلات الجريمة ومعدلات الرعاية الاجتماعية ـ كل ذلك يعتبر حقائق سوسيولوجية هامة يجب ان تجمع أثناء قيام الباحث بدراسة المجتمع المحلى .

وطالما أن البيانات التعدادية هى المصدر الأساسى للبيانات فأن المناهج الديموجرافية تعتبر مناهج مساعدة . فسكان كل منطقة فى المدينة يمكن مقارنتهم بأجزاء أخرى فى المدينة .

فنوعيات الناس الذين يعيشون فى المدينة والضواحى يمكن مقارنتها بعضها ببعض ، كذلك يمكن مقارنة الأنواع المختلفة للمدن مثل المدن الصناعية والمدن التجارية وهكـــذا .

جـ ـ الأنماط الثقافية :

والمدخل الثالث لدراسة المجتمع المحلى قد استخدم خاصة بواسطة الأنثروبولوجية والذى يركز على النظر الى المجتمع المحلى على أنه ثقافة ومعايير وقيم ورموز • والمنهج المتبع هنا هو الملاحظة أو الملاحظة بالمشاركة ، وهنا فإن المعانى المشتركة والقيم ليس فقط المحتويات الأساسية لمفهوم المجتمع المحلى ولكن أيضا على أنها جوانب مهمة تختلف على أساسها المجتمعات المحلية بعضها عن الآخر • هذه المعانى والقيم تعطى المجتمع المحلى ما يميزه وتحدد له شخصيته •

د ـ تفاعل الناس والجماعة :

والمدخل الرابع يركز على ضرورة النظر الى المجتمع المحلى على أنه التفاعل الذى يحدث بين الأفراد والجماعات والذى يتمثل فى شكل منظمات وأنظمة • والفكرة الأساسية فى هذا المدخل هو النظر الى سلوك الأفراد كما تبدو فى اتصالهم اليومية والصلحية •

ولتحقيق ذلك فأن الباحث السوسيولوجى يمكن أن يرى الى أى حد يستخدم المقيمين فى المجتمع المحلى أنظمة مثل المدارس المحلية والكنائس والمحلات التجارية ويمكن أن يكون الأهتمام موجه لمعرفة الى أى حد أحدث التغير الداخلى بواسطة سكان المجتمع المحلى أنفسهم فى مقابل التغير الذى بدأ بواسطة قوى خارجية مثل الحكومة المركزية أو الصناعة المفروضة عليهم وهكذا ويمكن الاستعانة أيضا بمراحل تحليل الدور خاصة وان الكثير من التفاعل الاجتماعى والذى يهتم به الباحث السوسيولوجى تظهر بوضوح عندما يتفاعل الناس فى المواقف الرسمية •

وقد يجد من خلال بحثه أن هناك بعض الأشخاص فى هذه الوحـــدات يقومون بأعمال مناقضة للوظائف الظاهرة لهذه الوحدة أو هذا المجتمع •

كذلك يجب على الباحث أن يكشف لنا مصادر التوتر وما هى المؤسسات أو الجماعات التى تحاول اعادة التوازن فى المجتمع •

وعلى أية حال فأن مثل هذه الدراسة تحتاج الى وقت طويل كذلك يجب أن يستخدم فيها الباحث (أو الباحثين) الطرق والادوات المختلفة لجمع البيانـــات وتحليلهـــا •

٣ ــ ميزات وعيوب دراسة المجتمع المحلـــى :

تعتبر دراسة المجتمع المحلى ــ دراسة كشفية أو استطلاعية ، أيضا يمكن اعتبارها أداة تساعدنا على فهم الطبيعة المتشابكة للعلاقات الاجتماعية • وفى وظيفتها الكشفيـة فأن دراسة المجتمع المحلى يمدنا بصورة متكاملة عن تفاعل المجتمع ــ مجتمع صغير ــ فـى خلال فترة زمنية معينة •

وكأداة فأنها تحتوى ــ على الأقل ضمنيا ــ على أطار مرجعى مقارن لكـل مـــن الملاحظ والقارئ • فلو ظهر أن هذا المجتمع المحلى موضوع الدراسة له خصائص معينـــة فأنه فى هذه الحالة يجب ان يتسأل ان كانت المجتمعات المحلية الأخرى تتمتع بنفـــس الخصائص ••• ؟ واذا كانت الأجابة على هذا السؤال بلا فأنه يجب معرفة الأسبـــاب • كذلك معرفة ان كانت القيم العامة والأنظمة المتصلة والعمليات التفاعلية توجد فى كـــل

المجتمعات المحلية • واذا كانت الاجابة بنعم فيجب تحديد هذه القيم والعمليات المتشابه فى هذه المجتمعات المحلية •

ولعل أهم نقص يواجه الباحث فى دراسة المجتمع المحلى هو أن الباحث مطالب بأن يجمع وينظم كمية ضخمة من البيانات وهذا يشكل صعوبة عندما يكون الباحث مقيـــدا بوقت محدد وتمويل معين له شروطه • فالباحث السوسيولوجى ليس من مهمته وصف كـــل التفاصيل الخاصة بالمجتمع المحلى • ولكن من مهمته أن يدرك الميكانيزمات الداخليـــة التى تحرك المجتمع المحلى •ولا شك أن المدخل النظرى للباحث يوجه الى المجـــالات والمشاكل التى يجب أن ينظر اليها على أنها مناسبة لدراسته •

٤ ــ بعض التطبيقات :

ان دراسات المجتمع المحلى تعتبر طريقة ممتازة لفهم خط سير المجتمع وأفـراده • ويمكن دراسة وتحليل المدن الصغيرة والقرى والمدن الكبيرة والأحياء السكنية والمناطـق الريفية من عدة مداخل • والنتائج التى يتوصل اليها من مثل هذه الدراسات تؤكد على أن هذه الدراسات ليست مفيدة فقط وانما أيضا تراءات لها حيويتها •

وهذا المدخل (دراسة المجتمع المحلى) له أيضا جوانبه التطبيقية •فالباحثون لا يريدون فقط فهم الظواهر التى يقومون بدراستها ولكن أيضا هناك شعورا متزايـــدا بينهم بأنهم مطالبون بجعل حياة الأنسان أفضل والعمل على تحسين هذه الحياة •

ولا شك أن دراسات المجتمع المحلى تساعد المؤسسات العامة والخاصة فى تخطيط مستقبل هذا المجتمع •

وعن طريق جمع وتحليل البيانات عن نوعيات السكان ووظائفهم وطريقة معيشتهم والعلاقات المتبادلة بينهم ومدى مشاركتهم فى حياة المجتمع المحلى • بكل ذلك يقدم الباحثون للمهندسين الاجتماعيين المساعدة لحل مشاكل المجتمع المحلى • فعن طريق مثل هذه الدراسات يتم تحديد احتياجات المجتمع الى مدارس أو كليات أو حدائق عامة • كذلك ماهى المحلات أو الاعمال التجارية التى يحتاج اليها المجتمع •

وبطبيعة الحال فأن ذلك ليس سوى قليل من المسائل التى عن طريقها يدرسه الباحث الاجتماعى ويفهم المجتمع المحلى •

٥ ـ المدينة كموضوع لدراسة المجتمع المحلى :

لا شك أن مفهوم المجتمع المحلى مفهوم نسبى ، وان الحدود الجغرافية غالبا ما تكون صعبة ان لم تكن مستحيلة التحديد • على أية حال فأن المدينة تعتبر مكانا مثاليا لدراسة المجتمع المحلى ، وبطبيعة الحال هناك العديد من المجتمعات المحلية داخل المدينةوالتى يستطيع الباحث ان يختار أحداها للدراسة • ولعل أهم معيار لتحديد المجتمع المحلى هو تميزها النسبى فالمجتمع المحلى " مكان له ثقافة وله مجموعة من العلاقات البنائية والنظامية ويحدد بحدود جغرافية " • ولا شك أن هذا المجتمع المحلى يتأثر بالمدينة الكبيرة التى تحتويه والذى يقوم المجتمع بالمساهمة فى المدينة أيضا •

ثانيا ـ تمارين واجراءات عملية لدراسة المجتمع المحلى :

١ ـ التمرين المقترح :

عليك أن تختار منطقة فى مدينة أو مدينة صغيرة للقيام بدراسة عن المجتمع المحلى • ففى كل مدينة كبيرة ، على سبيل المثال ـ يوجد أقليات دينية أو عنصرية أو بعض الأحياء التى يبدو أن لها ثقافتها النوعية • وطالما أن دراسة المجتمع المحلى تتطلب تنوع الطرق المنهجية المتبعة فى جمع البيانات ، فأنه من الأفضل أن تعمل فى فرق مكونه من ٤ ـ ١٠ أشخاص • ويكون الهدف الأساسى هو القيام بدراسة استطلاعية عن هذا المجتمع المحلى •

ويجب أن تحدد ما هى المشكلة الخاصة أو الأنظمة التى يجب دراستها ، ولسوف تتفق والفريق الذى تعمل معه على الحدود المخصصة لمكان الدراسة أو مجتمع الدراسة •

والطرق التى سوف تستخدم لجمع المادة المناسبة تعتمد اعتمادا كبيرا على اهتمام بحثك • ومن الأفضل أن تقسم الفريق بحيث يقضى كل باحث ثلاث ساعات على الأقل فى جمع المادة المحددة له من المجتمع المحلى • وعادة يوضع أو يحدد فترة أسبوعين لتغطية مشروع البحث •

ويلاحظ أن الباحث يبدأ العمل بعقد مقابلتين متعمقتين لمعرفة كيف يستمر العمل فى المجتمع المحلى • وتخصص أحد هاتين المقابلتين لأحد المسئولين فى المجتمع المحلى مثل المحافظ ، مدير الأمن ، رئيس الغرفه التجارية ، والمقابلة الثانية تخصص لشخص يدرك ويعى بالتفصيل ماذا يحدث فى المجتمع ويفضل أن يكون هذا الشخص أحد التجار أو السماسرة أو من سكرتارية المسئولين • ويجب مقارنة المعلومات التى سوف تحصل

عليها من المقابلتين التتعرف على أوجه الشبه والأختلاف في وجهة نظر كل منهما •

٢ ـ الأجراءات العملية للقيام بتمارين عن المجتمع المحلى :

أ ـ قبل الذهاب للميـــدان :

١ ـ يجب أن تحدد المدينة الصغيرة أو الحى الذى سوف يقوم الفريق بدراسته •

٢ ـ حدد جانب من جوانب المجتمع المحلى الذى سنقوم بدراسته • وما هـــى الأسئلة الخاصة التى سوف تحاول أن تحصل على أجابات عنها من الأشخاص الذين ستقابلهم

مثال :

أ ـ هل أنت مهتم بدراسة بناء القوة ؟ ومن يصدر القرارات ؟ أوهل تريـــد أن تدرس كل أنواع الصراعات الموجودة داخل المجتمع المحلى ؟

ب ـ هل أنت مهتم بدراسة ثقافة المجتمع ؟ هل تريد أن تدرس نسق القيمـــه الأساسى ؟ أو ما يعتبر مهم بالنسبة لأعضاء هذا المجتمع ؟ وكيف يعيش أعضاء المجتمع من يوم لآخر ؟ وماذا يلبسون ؟ وكيف يقضون أوقات فراغهم ؟ ••• وهكذا •

جـ ـ هل تريد دراسة أنماط العلاقات بين أعضاء المجتمع المحلى ؟ هل يعرف الجيران بعضهم البعض ؟ هل هناك علاقات متبادلة مع الآخرين ؟ أم تريد أن تعرض كيف يتعامل الكبار والصغار ويتفاعل كل منهم نحو الآخـــر ؟•

د ـ هل تريد أن تعرف كيف تتصل الأنظمة الأساسية فى المجتمع بعضها ببعض؟ وما هى العوامل التى تسبب أنماط التفاعل داخل المجتمع ؟ وما هى الميكانيزمـــــات المستخدمة لتجميع الناس بعضهم مع بعض قبل الشعائر وتبادل الزيارات والتبادل التجارى

للزواج الداخلى ٠٠٠ وهكذا ٠

هـ ــ ما هى أنواع الأبنيةالتى يتكون منها المجتمع هل هى العمر أو الجنس أو الثروة أو التعليم وما هو توزيعها ومدى تأثيرها على المجتمع ككل ؟

٣ ــ يجب أن تستقر على مناهج البحث الملائمة لدراسة المجتمع المحلى الذى سوف تقوم بدراسته ٠ ويجب أن توزع الطرق المستخدمة على أفراد الفريق بحيث يختص كل واحد فى الفريق ــ فريق البحث ــ بأحد هذه الطرق ٠ وعلى سبيل المثال قد يختص احد الاعضاء بالقيام بعمل مقابلات متعمقة ويقوم الآخر بدراسة ايكولوجية للمجتمع وقد يقوم عضوين آخرين بتصميم استمارة استبيان أو ملاحظة سلوك وأفعال الناس فى المجتمع المحلى ، وعضو آخر يقوم بفحص البيانات الأحصائية الرسمية وذلك من أجل معرفته بعض المعلومات عن بناء المجتمع المحلى ٠

ب ــ فى الميدان :

١ ــ حدد حدود المجتمع الذى سوف تدرسه ، وما هى الشوارع والأحياء الداخلة فى نطاق الدراسة ٠ ولا يمكن أن تدرس كل المنطقة الجغرافية للمجتمع المحلى ؟ ولذلك يجب أن تحدد المناطق المهمة لجمع البيانات العلمية التى تريدها من المجتمع ٠ وماهى أنماط السلوك الذى تريد دراسته ٠ هذه الحدود سوف تحدد البحث وتوجه الباحث الى الأفراد والمنظمات التى قد يبدو أنها ضرورية لدراسته ٠

٢ ــ ويجب ملاحظة أن تكون المناهج والطرق المستخدمة فى الدراسة محددة بطريقة منهجية وعلمية ٠

٣ ـ يجب على كل أعضاء الفريق أن يركز على المنهج الذى سوف يستخدمه فى البحث والذى حدده الفريق له • ولو جاد فى أى عضو رفى الطريق معلومات تعتبر مفيدة ومناسبة للبحث ككل فأنه يجب أن يدون ملاحظته بذلك من أجل مناقشة هذه الأمور مع الفريق والتعمق فيها •

٣ ـ تقديم التقرير :

يجب أن يشتمل تقريرك على الآتى :

١ ـ وصف للمجتمع المحلى •

٢ ـ المشاكل والموضوعات الخاصة التى كنت مهتما ببحثها فى المجتمع المحلى •

٣ ـ تقديم النتائج مستخدما الجداول الاحصائية والادلة واقتباسات عن المقابلات المتعمقة التى أجريت وتاريخ حالات وأمثلة من الملاحظات • وقبل أن يكتب الملخص النهائى فأنه يجب أن يسوق ذلك مناقشة الفريق ككل للنتائج المتنوعة والمعانى المفسرة • وما هى علاقة هذه النتائج بالمشكلة التى حاولوا دراستها •

٤ ـ اقتراحات لبحوث مستقبلية فى هذا المجتمع المحلى •

٥ ـ المشاكل التى واجهت الفريق فى فترة اجراء البحث وماذا فعل الباحثون للتغلب على هذه المشاكل وكيف انه من الممكن أن تتأثر النتائج بذلك •

٦ ـ التقرير الخاص بالنتائج عن دراسة هذا المجتمع المحلى يجب أن تعرض فى حوالى ١٠ ـ ١٥ صفحة ويرفق الملاحظات الميدانية على أنها ملاحق للبحث •

المدخل الايكولوجـــــــــــــي

Ecological approach

المدخـــــل الأيكولوجـــــى(١)

من الحقائق التى أكدتنا علم النبات والحيوان حقيقة أن الكائنات الحية تبحث دائما وتناضل من أجل الحصول على موقع أو مكان خاص تمارس فى حدوده حياتها الخاصة ولا يختلف الأنسان فى ذلك عن غيره من الكائنات الحية ، فالتفاعل الاجتماعى الـــذى يحدث بين بنى البشر لا يتم فى فراغ ، بل يشترط فيه أن يكون له على الأقل قاعـــدة مكانية أو اقليمية وتمثل هذه القاعدة المكانية فى الحقيقة أكثر من مجرد مساحة من الأرض، بل يكون لها دائما من الخصائص الفيزيقية ما يؤثر فى ما يقع من أحداث أجتماعيــــة . ويتخذ المدخل الايكولوجى من هذه الحقيقة السابقة نقطة انطلاق له ، حيث يركز بصفة أساسية على دراسة الترتيبات الفيزيقية للبيئة فى حدود ما بينها وبين السلوك الأنسانـى من تأثير متبادل .

وقد بدأ استخدام المدخل الأيكولوجى فى علم الأجتماع من خلال أعمال مدرسة شيكاغو سنة ١٩٢٠ بصفة خاصة ، عندما حاول كل من بارك R. Park و بيرجــــــس F. Burgess البحث عن الوسائل أو الأساليب الملائمة لتحليل وتيسير تطور المناطـق المتروبوليتية الكبرى . وفى هذا الصدد أدرك الباحثان أن مفاهيم مثل " الثقافـــــة " و " التنشئة الأجتماعية " والتى كانت تمثل أساليب تقليدية فى الدراسات الأنثروبولوجية لن تقدم الأسلوب الملائم لتفسير حياة المدينة وتوضيح عمليات التمايز الأقليمى أو المكانى والاجتماعى و الثقافى بين أحيائها ومناطقها المختلفة . كما لاحظا فى نفس الوقت تزايد

---

(١) أعد هذا الفصل دكتور السيد عبد العاطى السيد

حركات الهجرة وما ارتبط بها من صراع من أجل المكان وبخاصة فى المدن الكبرى مثل مدينة شيكاغو ، الأمر الذى جعلهما يدركان على الفور حاجتهما الماسة الى مدخل جديد لتفسير هذه الظواهر .

وفى دراستهما لمدينة شيكاغو ، بدأ كل من بارك وبيرجس نظرته الى المدينة فى حدود ما أسموه "بالمناطق " أو الحلقات zones" التى تمثل فى نظرهم تجمعات من الأفراد تتنافس فيما بينها على استخدام المكان ، وقد أستعان الباحثان فى نظرتهما هذه بكثير من المفاهيم التى استخدمت فى مجال أيكولوجيا النبات والحيوان ، ومن ثم حاولا توضيح عمليات " التكامل symbiosis " (التى تعنى الأشباع المتبادل للحاجات الأساسية للجماعات المختلفة تماما بنفس الطريقة التى تحدث بين الكائنات الحية كأن يقدم النبات الأكسجين للحيوان بينما يوفر الحيوان للنبات ما يحتاج اليه من ثانى أكسيد الكربون) وعمليات التعاقب succession الذى يحدث بين جماعات البشر مماثلا للتعاقب الطبيعى للتغيرات البيئية التى تحدث فى مناطق الغابات الطبيعية . ومن خلال ذلك كله استطاع بارك وبيرجس أن يقدما أطارا تصوريا تصنيفيا للأنماط الرئيسية لأنشطه التى يقوم بها جماعات مختلفة داخل منطقة من المناطق كالصراع والتنافس والتعاون والتوافق والتكامل والتمثيل ، وتصورا أن كل عملية من هذه العمليات تعبر عن مرحلة من مراحل الحل النهائى لمعركة الصراع من أجل المكان . وهكذا نلاحظ أن علماء الأيكولوجيا الأوائل قد مزجوا بين الأساليب التقليدية للبحث الاجتماعى بأطار معرفى استمدوه من المامهم بالخصائص الجغرافية والديموجرافية والاقتصادية لمناطق بحثهم .

وعلى أى حال فقد أهتمت معظم الدراسات التى قامت بها مدرسة شيكاغو بتطبيق المدخل الأيكولوجى ، ظهر ذلك واضحا فى الدراسات التى أهتمت بالتوزيع المكانى للجريمة وانحراف الأحداث والمرض العقلى والطلاق وحركات الهجرة والتنقلات المكانية ، وتمخضت هذه الدراسات عن وضع عدد من الخرائط التى توضح التوزيعات المكانية لشكل هذه الظواهر وما يرتبط بها من عمليات أيكولوجية كالغزو والتعاقب ... الخ ، كما أنتهت الى تصور المدينة ــ مثل شيكاغو ــ كما لو كانت مقسمة الى مناطق أو دوائر متمركزة Concentric zones تبدأ فى الوسط بقلب المدينة أومنطقة الأعمال المركزية يليها منطقة التحول والانتقال ثم منطقة سكن الطبقات الفقيرة ، فمنطقة سكن الطبقات الوسطى ، ثم مناطق الضواحى التى يقيم فيها الطبقات العليا خارج المدينة أو على حدودها الخارجية .

ولقد تطور المدخل الأيكولوجى وأدخلت عليه بعض التعديلات التى جعلته أكثر ملائمة الدراسة السوسيولوجية ، خاصة بعد أن أدرك علماء الاجتماع أهمية ما يعرف بالمكان الأجتماعى أو الأقليم الأجتماعى Social territory وما يقوم بينه وبين نمط الحياة الاجتماعية من علاقة تأثير متبادل ، حتى أن بعض الباحثين المعاصرين ــ مثل بوسكوف ــ يعتبرون المدخل الايكولوجى واحدا من المداخل الأساسية التى يستعين بها الباحث الأجتماعى للكشف عن ميكانيزمات التوافق والتعديل المتبادل بين البيئة والانسان ، الى جانب مايطرحه من ابراز للعلاقات المكانية بين الجماعات وأنواع النشاط .

مزايا وعيوب المدخل الأيكولوجى :

من أهم مزايا استخدام المدخل الأيكولوجى فى مجال البحث الأجتماعى أنه يمكن

الباحث من ربط المتغيرات الاجتماعية والفيزيقية وتوضيح ما بينهما من تأثيرات متبادلة .
فكثيرا ما تقدم ما يشمر عنه البحث الأيكولوجي من خرائط سوسيوأيكولوجية للمجتمع
المدروسة عددا من المؤشرات التي توضح طبيعة القوى أو الضغوط البيئية التي تسيطر
على المنطقة (مجتمع البحث) . فارتفاع معدلات الانحراف في منطقة ما يعني أن الفتى
يخضع لضغوط بيئية للمشاركة في أنماط للسلوك غير مشروعة والا يتعرض للعزلة الأجتماعية
كما أنه يمكن من خلال فهم وتحليل عمليات التكافل في المنطقة تفسير ما بين بعض
الظواهر والمتغيرات الاجتماعية من ارتباط متبادل رغم ما تبدو عليه من تعارض سطحي
أو تظاهري .

ومع ذلك فقد ينتقد المدخل الايكولوجي بشدة لاعتبارات عدة منها أن جانبا
كبيرا من الاطار النظري المبكر الذي يستند عليه هذا المدخل لا يزال موضع بحث
وتساؤل . حيث يرى بعض علماء الاجتماع المعاصرين أن الأيكولوجيا الاجتماعية وما تعتمد
عليه من تصورات ونظريات حول التعاقب والصراع والمنافسة والتعاون والتمثيل ... الخ
هي من البساطة بحيث لا تفيد كثيرا في تحليل العمليات المعقدة للتفاعل الاجتماعي .
هذا الى جانب أن ما ارتبطت به النظرية الأيكولوجية تاريخيا بتصورات مثل " المناطق
الطبيعية " تحمل بين طياتها نظرة حتمية واضحة ذات اتجاه محافظ متميز . كما أن
تأكيد هذا المدخل على ما أسماه بالمنافسة حتى استخدام الأرض والمكان كثيرا ما
يتجاهل دور القوى والعوامل الثقافية في التغيرات الاجتماعية والايكولوجية .

ولعل من أهم أوجه النقص التي يعاني منها المدخل الايكولوجي في نظر البعض
استخدامها بعض لسكان المنطقة نفس الخصائص التي يكشف عنها المسح الوصفي للجماعات

بمعنى أن الباحث الأيكولوجى عندما يلاحظ انتشار ظاهرة من الظواهر فى المنطقـة " مثل ادمان المخدرات أو انتشار جرائم القتل " فى الوقت الذى يلاحظ فيه أن أفـراد مهنة معينة أو أبناء موطن معين يمثلون النسبة الغالبة من سكان المنطقة ، فانه يميـل الى أن يربط بين المتغيرين ، فينسب الى هؤلاء الأفراد خاصية ادمان المخدرات أو الميل لأرتكاب الجريمة أو الثأر ... الخ ، هذا فى الوقت الذى تتوزع فيه هذه الخصائص بنسب مختلفة بين سكان المنطقة كلا . أكثر من ذلك يميل الباحث الايكولوجى الى تفسير أنتشار ظاهرة من الظواهر فى المنطقة كما لو كانت هذه الظاهرة تمثل سمة مميزة للمنطقة ذاتها . مثال ذلك ما ذهب اليه كل من فاريس Faris ودونهام Dunham عندما أرجعا المعدلات المرتفعة من المرضى العقليين فى بعض الأحياء المتخلفة فـى المدينة الى ما لهذه المناطق من خصائص اجتماعية وفيزيقية معروفة . وقد كانت حجتهما فى ذلك أن الأشخاص الذين أصبحوا يعانون من المرض العقلى قد انتقلوا للأقامة فـى هذه المناطق المتخلفة بعد أن فقدوا أعمالهم وذويهم وأصدقائهم الأمر الذى يؤثر علـى قواهم العقلية . ولو أن ذلك يعنى فى الحقيقة ومن وجهة النظر الأيكولوجية أن هنـاك بعض المناطق التى ينزح (يهاجر) اليها عناصر سكانية غير متوافقة ، ولا يعنى اطلاقا أن هذه المناطق هى السبب الاساسى فى انتشار المرض العقلى .

مجالات استخدام المدخل الايكولوجى فى البحوث الاجتماعية :

لقد ظل محل " التوزيع المكانى " للظواهر والمتغيرات من أوسع المحكـات استخداما فى علم الاجتماع لتحديد أبعاد المدخل الأيكولوجى ، وذلك على اعتبـار أن الباحث اذا أستطاع دراسة التوزيع المكانى لظواهر اجتماعية كالانحراف والتفكـك

الأسرى أو المشاركة السياسية ... الخ ، واستطاع بالتالى أن يحدد مواقع تركزهـا وعوامل وكيفية انتشارها [illegible] كباحث أيكولوجى الا أن يربط بين هذه الظواهر وبعض الحقائق والعمليات الايكولوجية الأخرى ليصل فى النهاية الى بعض التعميمات المفسرة • غير أن نظرة مثل هذه لا يغير فى الحقيقة عن طبيعة المدخل* الأيكولوجى كأحد المداخل الأساسية للمدرسة والبحث السوسيولوجى • فالتوزيعات المكانية التى تحدث مصادفة او تنتج عن بعض المواقف العارضة كتوزيع الافراد على جانبى الطريق أو تشكيل الجنود فى عرض عسكرى أو جلوس الضيوف على مائدة الطعام ، لا تعد فى الحقيقة ظاهرة أيكولوجية رغم أنها تشتمل على توزيع مكانى للأفراد • ومن ثم لا تعتبر كل الدراسات المكانية بالضرورة دراسات ايكولوجية • ان المدخل الايكولوجى فى نظر أصحابه مثل هاولى وكوين لا يقف عند حد الوصف بل يهتم أيضا بالتحليل والتفسير • ولذا فان الدراسات المكانية وما تقدمه من خرائط توزيعية للظواهر لا تصبح بحال من الأحوال دراسات ايكولوجية ما لم تفسر فى ضوء عدد من العمليات الاجتماعية والأيكولوجية فى نفس الوقت • أضف الى ذلك أن كل دراسة أيكولوجية لا تعنى بالضرورة بالتوزيع المكانى للظواهر ، فقد يشتمل البحث الايكولوجى على دراسة جوانب من حياة المجتمع المحلى ليست ذات طابع مكانى مثل الروابط الوظيفية لتقسيم العمل بين الجماعات ، أو المظاهر الوظيفية للعلاقات الاجتماعية المتبادلة ، فهذه كلها ليست ظواهر مكانية وان كان تحليلها الذى يتم داخل حدود مجتمعات محلية أو مناطق قد يضفى عليها معنى مكانيا •

ومع أن الدراسات الايكولوجية لا تتحدد بصفة أساسية فى دراسة التوزيعات ،

المكانية على نحو ما قدمنا ، الا أن دراسة العلاقات المكونة لاوجه النشاط الاجتماعى ظلت تحتل دورا هاما فى كمجال لاستخدام المدخل الأيكولوجى وذلك لعدة أسباب منها :

أ ـ ان عنصر المكان أو الموقع هو العامل الهام الذى يعطى للسكان طابع الوحدة والترابط .

ب ـ ان المكان مطلب ضرورى لقيام أى وحدة نظامية بنشاطها .

جـ ـ ان المكان شأنه فى ذلك شأن الزمان يتيح الأطار المرجعى للملاحظة وذلك لأن الترتيبات المكانية تقدم المؤشرات الأكثر ملاءمة لتحليل العلاقات البنائية .

هذا فضلا عن أن اهتمام المدخل الأيكولوجى بالمكان لا يتعارض والمنظور السوسيولوجى لدراسة المجتمع المحلى خاصة اذا تذكرنا أبسط التعاريف السوسيولوجية للمجتمع المحلى والتى يتضح منها أن المجتمع المحلى يتحدد من خلال بعدين أساسين هما الأقليم أو المكان المحدد والدائم ، والمعيشة الاجتماعية الكلية .

وقد يتصور بعض الباحثين أن المدخل الايكولوجى يتجاهل بطبيعته البحث فى موضوعات علم الاجتماع التقليدية كالنظم والجماعات والمجتمع المحلى والثقافة والعادات والمشكلات الاجتماعية ... الخ . الأمر الذى يجعله مدخلا غير ملائم أو بعيد كل البعد عن التحليل والفهم السوسيولوجى ولى فى الرد على هذا التصور بعض الملاحظات التى توضح بدورها مجال استخدام المدخل الأيكولوجى فى البحوث الاجتماعية :

أ ـ ان المدخل الايكولوجى فى اهتمامه بدراسة العلاقة بين الكائن الحى والبيئة يهتم بالحياة الانسانية كظاهرة مجموعية أو جمعية وينظر للتوافق البيئى على أنه مسألة تبادلية مما يؤكد أستخدامه لتصورات الجماعة والمجتمع المحلى والعلاقات المتبادلة

ب ـ تحتل فكرة التنظيم كمظهر للتوافق الجمعى للبيئة مكانا هاما فى التحليل الايكولوجى لتكسب المدخل الايكولوجى طابعا سوسيولوجيا ٠ ان المدخل الايكولوجى بأهتمامه بالتنظيم المعيشى يمد الباحث على حد تعبير بوسكوف ـ بمعلومات موثقة لفهم طبيعة التنظيم الاجتماعى للمجتمع المحلى خاصة وأن هذا التنظيم المعيشى أوالايكولوجى هو نتاج بشرى للتفاعل مع البيئة ومحصلة لعمليات اجتماعية فى جوهرها ٠ وهو فوق هذا كله عبارة عن مجموعة الظروف التى تؤثر بطريقة ما فى القرارات التى يتخذها الافراد والجماعات فيما يتعلق بروتينيات العمل والحياة ٠ الأمر الذى يجعله يؤثر فى التنظيم الاجتماعى ويتأثر به فى نفس الوقت بعبارة أخرى فان المدخل الايكولوجى فى اهتمامه لتفسير أشكال التنظيم الأيكولوجى للمجتمع وتغييره استجابة للضغوط السكانية والتكنولوجية والبيئية يسهم فى تدعيم الأهتمام السوسيولوجى التقليدى بمفهوم التنظيم ٠

جـ ـ ان المدخل الايكولوجى عندما يركز على أنماط النشاط الفيزيقى الذى يمكن ملاحظته وعندما يجعل من هذا النشاط وحدة أساسية للتحليل يقترب بذلك من مفهوم " الدور " فى علم الاجتماع ولكن بعيدا عن أرتباطاته أوتفسيراته السيكولوجية ليؤكد على فكرة تبادل الأدوار على أعتبار أنماط النشاط المتميزة عددا ونوعا هى فى النهاية صفات وخصائص مميزة لمجموع السكان مما يؤدى الى تكامل المدخل الايكولوجى مع المداخل

الأخرى للبحث السوسيولوجى .

د ـ ان المدخل الايكولوجى فى دراسته لبناء المجتمع ينظر اليه على أنه نوع من التنظيم المكانى لاوجه النشاط المعيشى للافراد فى بيئة محدودة بموارد معينة وعلى أنه نوع من الرابطة الوظيفية للعلاقات البشرية المتبادلة التى تأخذ دلالة مكانية وهو بذلك يثير الاهتمام بقضية هامة فى التحليل الوظيفى للنظرية الوظيفية فى علم الاجتماع وهى ضرورة أن تعزى الوظائف الى وحدات التنظيم الاجتماعى " تجمعات النشاط بالمعنى الأيكولوجى " وليس الى أفراد أو أشخاص كما يقرر المدخل السلوكى وليس الى رموز أو قيم كما يقرر المدخل الثقافى لدراسة التنظيم .

هـ ـ ان المدخل الايكولوجى فى تأكيده على عنصر المكان وعلى العلاقات التفاعلية بين الانسان والمكان يؤكد مفهوم العملية فى البحث السوسيولوجى فى مقابل التركيز التقليدى على مفهوم البناء الذى كان يميز معظم الدراسات السوسيولوجية حتى عهد قريب ولذلك فانه يصبح مدخلا ملائما لأثراء المعرفة العلمية المنظمة عن التغير الاجتماعى خاصة فى نظرية الى التغير على أنه تحولات لانماط التنظيم الاجتماعى التى تحدث على مر الزمن بدلا من أعتباره تحولات أوتعديلات لانساق القيمة وبناء الشخصية .

و ـ يعتبر البحث السوسيولوجى لظاهرة الحضرية والنمو الحضرى من المجالات الهامة التى أسهم فيها المدخل الايكولوجى اسهاما فعالا وايجابيا بل ان النظرية الايكولوجية فى عمومها أرتبطت تاريخيا بعدد من الدراسات التى أجريت فى هذا المجال والتى استطاعت أن تقدم اطارا تصوريا لدراسة النمو الحضرى من خلال ما قدمته من

نظرة دينامية لتحليل العمليات الايكولوجية كالنمو والتوسع والامتداد • وبهذا أصبح المدخل الايكولوجى وهو الذى يربط بين السكان والاقليم مدخلا ملائما لدراسة النمو الحضرى وتحديد الأنماط الحضرية خاصة وأن دراسة التفاعل الذى يتم بين السكان والبيئة التى يعيشون عليها يحدد الى درجة كبيرة حجم السكان وطبيعة نشاطهم وانقسامهم الى مجموعات ذات خصائص متميزة ويسهل فى الوقت نفسه أستخدام مقاييس محددة بأختبار درجات التحضر • ان المدخل الايكولوجى فى هذا الصدد يمثل اجراءا معينا لتبسيط الجمع المتراكم من الحقائق المرتبطة بالحياة الحضرية المعقدة وذلك من خلال أدراك القاعدة المادية أو المكانية التى تنشط فيها هذه الحقائق المختلفة • فهو يقدم صورة مبسطة لتقسيم العمل بين الجماعات المتخصصة داخل المجتمع الحضرى المعقد فى أهتمامه بدراسة الجماعات النوعية ونشاطها المتميز فى قاعدة مكانية محددة • كما يتيح فى الوقت نفسه قدرا كبيرا من أدراك التكامل والتنسيق بين هذه الوحدات أو الجماعات أو الأنشطة المتميزة • لذلك تعتبر المسوح الأقليمية للمدن الكبرى وضواحيها وأطرافها والتى تعنى بتحليل أنماط الحياة الاجتماعية فيها الى جانب الدراسات المتعددة التى تعنى بدراسة النمو الحضرى والتخطيط الحضرى والريفى ومشكلاته العلمية والعملية كلها تكشف عن المدى الذى يمكن أن يسهم به المدخل الأيكولوجى فى مجال البحث الاجتماعى •

كما أن المعرفة التى يوفرها استخدام المدخل الأيكولوجى فيما يتعلق بتوطن الصناعة وتوزيع السكان والتنقلات السكانية وتأثير النظم الحضرية والعلاقات المتداخلة بين المظاهر الفيزيقية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية للمجتمع المحلى هى فى

مجموعها مادة أساسية لا غنى عنها فى مجال التخطيط سواء كان تخطيطا فيزيقيا أو اجتماعيا وأقتصاديا شاملا .

والى جانب هذه الاعتبارات العلمية فى الرد على أنتقادات المدخل الايكولوجى نجد أن الدراسات الايكولوجية ذات طابع تطبيقى مفيد لكثير من العاملين فى مجالات أستخدام الأرض ، والتجديد أو الاحياء الحضرى ، والعمارة والأسكان والمواصلات ، والهندسة البشرية يعتمدون فى الحقيقة على ما يقدمه المدخل الايكولوجى من نتائج تفيد فى أتخاذ القرار فى هذه المجالات التطبيقية . بل ان جانبا كبيرا مما يعنى به المدخل الايكولوجى يمثل فى أغلب الاحيان أهتمام رجل الشارع :

اذ غالبا ما يهتم الرجل العادى ببعض المسائل الايكولوجية وهو بصدد اتخاذ قرار بشأن اقامته فى منطقة دون أخرى مثل الطابع العام للمنطقة أو الحى متوسط الايجارات نوعية السكان ، مدى القرب أو البعد من المدارس ووسائل النقل والمواصلات ومواقع العمل ومركز المدينة والحى التجارى ... الخ وهذه كلها أمور تدخل فى صميم أهتمام المدخل الايكولوجى الذى يوفر قدرا كبيرا من المعرفة الفيزيقية والاجتماعية والثقافية بالمنطقة . ويصدق نفس القول على أصحاب رؤوس الأموال وهم بصدد التفكير فى مشروعات لاستثمار أموالهم فى مشروعات معينة وفى مناطق محددة . بل كثيرا ما تكون خريطة المبيعات التى يعنى بها أصحاب المشروعات التجارية ليست الا تعبيرا تجاريا للخريطة الايكولوجية للمنطقة ويمتد الاهتمام بالمدخل الايكولوجى الى مجالات أخرى غير مجال البحوث الاجتماعية فنجد الباحثين فى مجال علم النفس العام وعلم النفس الاجتماعى يعتمدون أساسا على هذا

المدخل وهم بصدد دراسة بعض الموضوعات مثل التوزيعات المكانية للمرض العقلــى أو دراسة أثر التزاحم أو العزلة على أنماط الشخصية والسلوك ٠٠٠ الخ ٠

ويعتبر مجال دراسة المهن من المجالات الحيوية للبحث الايكولوجى فطالما أن المهن أو الاعمال المختلفة تتوزع توزيعا مكانيا محددا بالخصائص الفيزيقية المتميزة للمنطقة أو المكان فانها تكون بذلك مدعاة لأستخدام المدخل الايكولوجى لفهمها ودراستهـــا وتحليلها خاصة اذا وضعنا فى الاعتبار أن القيمة الاقتصادية والايكولوجية للمكان أوالموقع قد تتفاوت من مهنة الى أخرى بنفس القدر الذى تختلف فيه بين منطقة وأخرى داخـــل المجتمع ٠

هذا الى جانب أن اختيار الأفراد لأعمالهم ومهنتهم أو على الأقل تقبلهم لهـــا قد تحدد ، فى أغلب الاحيان بعض الاعتبارات الايكولوجية أو الخصائص الفيزيقية لموقـــع العمل ٠

الأجراءات المنهجية لاستخدام المدخل الايكولوجى :

هناك بعض الخطوات التى يتعين على الباحث أتباعها وهو بصدد اجــــرا ء بحث ايكولوجى هى :

١ ـ وضع خريطة للتوزيع المكانى للأفراد والجماعات والأنشطة المختلفة فى منطقة البحث ، وذلك فى ضوء عدد من المتغيرات والمسائل التى يعنى بدراستها ٠

فالتوزيع المكانى للأفراد أو الجماعات فى ضوء متغير "كالموطن الأصلى" يختلـف

بالطبع عن التوزيع المكانى لمستويات التعليم أو المهن المختلفة ، او انتشار الجرائــم ، أو الكثافة السكانية ... الخ . ولا بد أن يوضح الباحث على هذه الخريطة المعالــم الأساسية للمنطقة مشتملة فى ذلك على الحدود والطرق العامة ، والمداخل ، وشبكــة وسائل النقل والمرافق العامة والخدمات ... الخ .

٢ ــ ملاحظة التفاعل الاجتماعى فى جزئياته وتفاصيله . وغالبا ما يستخدم الباحث الأيكولوجى ، أو يربط بين ، ما يستخدمه الباحث الاجتماعى من طرق وأدوات فنية لجمع البيانات ، فهو يستطيع أن :

أ ــ يستخدم الملاحظة للتعرف على أنماط التفاعل الاجتماعى داخل حـــدود منطقة محلية معينة ، وهنا تصبح المعلومات الوصفية التى يجمعها عن طريق الملاحظـــة ذات أهمية خاصة فى تحليل وتفسير ما تكشف عنه خرائطه من توزيعات مكانية للمتغيرات والظواهر التى يعنى بدراستها .

ب ــ يعتمد على البيانات الاحصائية المرتبطة بمنطقة البحث كعدد سكانهـــا وكثافتهم ومعدلات المواليد والوفيات والتركيب النوعى ... الخ .

جـ ــ يقوم بمسح وصفى للحصول على المعلومات والبيانات التى لا توفرها المصادر الأحصائية الرسمية أو التى لا يستطيع جمعها عن طريق الملاحظة مثل أنماط النشـــاط الاجتماعى ، مواقف الأفراد واتجاهاتهم نحو بعض المسائل ، متوسط القيمة الايجاريــة ، نوعية المشاكل التى تواجه سكان المنطقة ... الخ .

٣ ـ ملاحظة وتحديد أنماط التكافل الاجتماعي ، ليتعرف على مظاهر تقسيم العمل وأبعاده ، وحدود التعاون أو الصراع أو المنافسة بين الجماعات المختلفة أو العناصر المكونة لمجتمع البحث .

٤ ـ وأخيرا يستطيع الباحث من خلال هذا كله أن يحدد مناطق فرعية أو "مناطق طبيعية " تنقسم اليها منطقة بحثه ، ليوضح أنماط الحياة التي تسود كل منها ، وأنواع الأنشطة التي تغلب عليها ، ونوعية المشكلات التي تواجه كل منطقة ، والوسائل التي يمكن أتباعها لمواجهة هذه المشكلات . وبالطبع لن يتأتى له ذلك الا بعد أن يقوم بجمع بيانات مستفيضة عن منطقة البحث خلال فترة زمنية يكشف فيها عن التطور التاريخي للمنطقة مقارنا الاتجاهات السابقة والحالية لهذا التطور حتى يتمكن في النهاية من استخلاص بعض التنبؤات التي ترتبط بمستقبل الحياة الاجتماعية فيها .

التمرين المقترح للطالب :

وللتدريب على استخدام المدخل الايكولوجي عليك أن تختار احدى مناطق العمل القريبة منك لتدرس ايكولوجيتها الاجتماعية . ولأن التحليل الايكولوجي يرتبط ويفيد كثيرا من التحليل المقارن فانه يفضل أن تقوم بدراسة نموذجين مختلفين من مواقع العمل حتى يمكنك اجراء مقارنة بينهما في حدود النتائج الاجتماعية لخصائصها الأيكولوجية (يمكنك الاستعانة بدراسة زميل لك لأحدى مواقع العمل التي تختلف عن النموذج الذي اخترته ، ولو أننا نفضل أن تقوم بمفردك بدراسة النموذجين المختلفين) .

واليك أهم الخطوات التي يمكنك الاسترشاد بها لأجراء بحثك :

أولا ــ عليك قبل النزول الى الميدان أن :

١ ــ تحدد مواقع العمل التى ستقوم بدراستها ، وأحرص على أن يمثل كل منها نموذجا مختلفا سواء من حيث الموقع المكانى أو الحجم أو طبيعة العمل نفسه (تستطيع أن تقارن مثلا بين مصلحة حكومية ومشروع تجارى أو مصنع ، أو بين مصنع كبير وورشة حرفية صغيرة ، أو بين مصنع فى وسط المدينة وآخر على أطرافها وضواحيها ، أو بين مؤسسة تجارية وبين مؤسسة اجتماعية) .

٢ ــ حدد أوجه النشاط التى ستركز عليها والتى تتصور أن تفيدك فى فهم المناخ الاجتماعى لموقع العمل . ولا تقتصر فقط على السلوك الظاهر أو الرسمى بل تذكر أن الأفراد يعيشون فى هذا الموقع ثلث يومهم أو أكثر . ولذلك أمتد بتحليلك الى دراسة مختلف أنماط التفاعل الاجتماعى المتوقع حدوثها بينهم .

٣ ــ حدد أى المعلومات الوصفية التى تحتاج الى جمعها وتفيد لتوضيح مظاهر النشاط الاجتماعى فى الموقع مثل التركيب النوعى و التركيب العمرى ، والوطن الأصلى ، بناء الدور والمكانة ، ومستوى التعليم ... الخ . وعليك أن تحدد أنماط الفعل الاجتماعى التى ستركز عليها ملاحظاتك (يمكنك الاستعانة بالاجراءات المنهجية التى ذكرناها فيما بعد لاستخدام الملاحظة فى البحث الاجتماعى) .

ثانيا ــ عليك عند نزولك الى الميدان أن تقوم :

١ ــ برسم خريطة لموقع العمل والمنطقة الواقع فيها موضحا حدودها وسماتها والتوزيع السكانى للأفراد والأنشطة المختلفة ومختلف الخصائص الفيزيقية لموقع العمل مثل

البوابات ، أماكن الاستراحة ، المرافق ، المخازن ، عنابر الانتاج ، مكاتب الادارة ، التوزيع المكانى للعاملين أثناء العمل .

٢ ــ ملاحظة عمليات التفاعل الاجتماعى وأنماطه التى تحدث فى المنطقة أو فى موقع العمـــل .

٣ ــ توجيه بعض الأسئلة التى تراها ملائمة لدراستك مثل مدى قرب موقع العمل أو بعده عن محل الاقامة والمواصلات وأثر الظروف الفيزيقية المحيطة على الأداء وعلـــى أنماط التفاعل الاجتماعى بين العاملين وعلى شعور العامل بالرضا عن عمله أو بالعزلـــة عن زملائه أو بالابتعاد عن رقابة الرؤساء والادارة .

٤ ــ ملاحظة حالات التكاثل التى تقع داخل موقع العمل بل فى المنطقة ككـــل لتوضيح أنماط ومدى الاعتماد المتبادل بين الافراد والى أى حد يؤثر موقع العمل بخصائصه الايكولوجية سلبا أو ايجابا فى المنطقة المحيطة به .

٥ ــ تحديد أنماط تقسيم العمل فى الموقع وطبيعته هل هو تقسيم رسمى خطط له من قبل الادارة أم أن هناك تقسيما آخر اتفق عليه بين العاملين بطريقة غير رسميـــة ، وما النتائج المترتبة على ذلك على المناخ الاجتماعى لموقع العمل ؟ هل يحدث توافـــق أم صراع أو توافق ... الخ .

٦ ــ توضيح أهم العمليات الايكولوجية التى حدثت أو لاتزال فى موقع العمـــل وفى المنطقة المحيطة هل حدث توسع أو امتداد أو غزوء هل هناك عزل واضح بين المناطق

السكنية والمهنية • هل تحدث عمليات عزل داخل موقع العمل نفسه وعلى أى أساس هـل على أساس فنى يرتبط بطبيعة العمل أم على أساس قرابى أو نوعى (ذكور وأناث) ومـا نتائج ذلك على المناخ الاجتماعى السائد •

ثالثـا ـ عرض النتائج :

عليك بأعداد تقرير تعرض فيه النتائج التى توصلت اليها بحيث يشتمل على مايلى :

١ ـ مناقشة أنماط التفاعل وطبيعة المناخ السائد فى موقع العمل بالمقارنة بنموذج آخر لتوضح الآثار الاجتماعية التى تترتب على أختلاف الخصائص الايكولوجية لكل موقع •

٢ ـ أدلة أو شواهد لمختلف النتائج التى تتوصل اليها • فاذا توصلت مثـلا الى احدى النتائج التى تقرر فيها أن عزل منطقة ما (أو عنبر أو قسم من الاقسام) فـى موقع العمل بعيدا عن مكاتب الادارة أو الاشراف يؤثر فى كفاءة الاداء أو فى نوعيـة العلاقات السائدة بين العاملين فعليك أن تدعم هذه النتيجة ببيانات توضح اختـلاف معدلات الانتاج أو حالات الشجار أو التفاهم بين العاملين فى هذا القسم عنها فى قسم آخر يخضع ـ لقربه الفيزيقى ـ للاشراف المباشر من جانب الرؤساء أو الادارة •

٣ ـ وصف ايكولوجى شامل لموقع العمل يشتمل بدوره على توضيح خصائـص الايكولوجيا الفيزيقية للموقع ومتضمنا فى نفس الوقت وصفا للحياة الاجتماعية داخل الموقـع فى حدود تأثرها بهذه الخصائص الايكولوجية مع توضيح اتجاهات العاملين وآرائهم حول هذه الخصائص الايكولوجية ومقترحاتهم بصدد أدخال بعض التغيرات التى يرونها ضرورية ولازمة (تستطيع أن تحصل على هذا الوصف اما عن طريق استمارة استبيان توجه أسئلتها

لبعض العاملين فى الموقع أو أن تطلب من بعض العاملين اعداد تقرير شامل عن مختلف هذه المسائل على أن تناقش ما جاء بتقريرهم فى ضوء ما جمعته من بيانات وصفية أولاحظته من انماط التفاعل لتقدم فى النهاية تحليلا مقارنا لتأثير الخصائص الايكولوجية لموقع العمل على الحياة الاجتماعية السائدة فيه وفى المنطقة ككل .

* * *

الفصل الخامس

مناهج البحث الاجتماعي

أولا ـ المنهج التاريخي
ثانيا ـ المنهج المقارن
ثالثا ـ المنهج التجريبي

تمهيـــد :

يعالج الفصل الحالى الانواع المختلفه فى مناهج البحث الاجتماعى ويركز بوجه خاص على ثلاثة أنواع منها درجتى مراجع البحث الاجتماعى على تناولها باعتبارها من أكثر المناهج شيوعا واستخداما فى البحث الاجتماعى ، وعلى الرغم من أن هناك بعض المراجع فى تراث البحث الاجتماعى تضيف الى قائمة انواع مناهج البحث الاجتماعى بعض الأنـواع الاخرى من المناهج ، وخاصة المنهج الاحصائى ، فالواقع أن عدم خوضنا بالتحليل فـى تفاصيل هذا المنهج تابع من اعتقادنا فى أن المنهج الاحصائى كما تعالجه هـــذه المراجع ، لا يقف كمنهج متميز الى جانب المنهج التاريخى والمنهج التجريبى والمنهـج المقارن ، وان كانت هناك اجراءات منهجية احصائية فان من أهمها استخدام الاحصاء كطريقة فى تصميم مجتمع البحث أو اختيار عينة وهذا ما سنعالجة بالتفصيل فى دراستنـا لتصميم البحث الاجتماعى ، وكذلك استخدام الاحصاء كطريقة فى التحليل الاحصائـــى للبيانات الجاهزه أو التى تم جمعها فى البحث خاصة فى عملية التبويب ،والتصنيـــف ، واختبارات الدلالة وغيرها ، وبناء على ذلك يمكن القول انه اذا كانت هناك أهميـــة لمعالجة المجتمع الاحصائى فى البحث الاجتماعى فان هذه الاهمية لا تعدو أن تكـــون نابعة من النظر الى هذه الاجراءات المنهجية فى الاحصاء كطرق فى تصميم عينة البحـث وتحليل بياناته ، وفى اعتبار هذه الاجراءات بمثابة طرق فى البحث الاجتماعى أكثر منها منهج ، ولذلك وضعنا فى دراستنا لطرق البحث جانبا لتناول البيانات الجاهزة الاحصائية

كطريقة فى البحث ، وارجئنا الحديث عن مجموعه الطرق الاحصائية الأخرى ، وخاصة تصميم العينة ، وتحليل البيانات الى دراستنا لتصميم البحث الاجتماعى ويدور تحليلنا لأنواع المناهج حول موضوعات محدده ، هى بداية استخدام المنهج فى علم الاجتماع ، والمقصود به ، والعلماء الذين سبق أن استخدموه ، والخطوات التى يمر بها ، والمشكلات التى تواجه كل منه ٠

أولا : المنهج التاريخي في دراسة الظواهر الاجتماعيــــة*

١ ــ لماذا يدرس عالم الاجتماع الماضي ؟؟

أحيانا يتطلب البحث العلمي أن ندرس الظاهرة محل الدراسة من وجهة النظر التاريخية • والحقيقة أن هناك العديد من الأسئلة المتعلقة باستخدام المنهج والمصادر والبيانات التاريخية كثيرا ما تثار التساؤلات الآتيــة : ـ

ماذا يتعلم ويستفيد المتخصص في شئون الحياة الاجتماعية خاصة المعاصر منها ، من السجلات القديمة التي جمعت وكتبت من أشخاص لهم اهتمامات مختلفة ؟ كيف يفيــد تتبع الحوادث الماضية ــ المحفوظة في وثائق ــ في فهم حياة الاجيال في القرون الماضية ؟

والحق ان الاجابة على هذه الأسئلة ليس بالأمر الهين ، ولكن عامة يمكن القول انه في دراسة الماضي فاننا نفترض بأن الحياة الماضية لاى جماعة ولنظمها الاجتماعيـــة تقف في علاقة سببية مع الحياة الحاضرة للجماعة ونظمها الاجتماعية • فالتاريخ والنضـال الاجتماعى لاى جماعة متداخلين كل منهم في الاخر فالماضي يحتوى نتايج الحاضر فالحياة الاجتماعية تتميز بالتغير والديناميكية ولهذا يجب تصور أو التنبؤ ــ من خلال دراسة الحاضر والماضي ــ بمراحل النمو المتعاقبة • ولقد اشار Park بأن لا شيء يحدث من فـراغ اجتماعى ، فالكل شيء تاريخ سابق ، ونمو طبيعى ، وهذا يشكل تأثيرا واضحا علـــى الحاضــــر •

(*) هذا الفصل من اعداد الدكتور محمد احمد بيومى

كذلك اثيرت سلسلة من التساؤلات عن معنى الماضي ، والى أى حد يجب أن نتعمق فى تاريخ جماعة أو ظاهرة معينة قبل أن نكشف عن ماضيها ؟ ما الذى يشكل تاريخ الظاهرة : هل مركب التلازم الوجودى ، ام تداخل العمليات الاجتماعية أم الحركات الثقافية التاريخية ، ام مختلف المراحل الثقافية والاجتماعية لم التطور التاريخى ؟ هل عملية التسلسل ام انماط التعاقب ام الدوائر ام الدوريات فى العمليات الاجتماعية هو الذى يعطى اهلية ظاهرة معينة او نظام اجتماعى او مشكلة اجتماعية نهتم بدراستها ؟

وهناك ايضا الكثير من الأسئلة التى ربماتثار عند ما نحاول تعريف الماضي وهذه الأسئلة بالرغم انه من الصعب الاجابة عليها ، الا انها تمثل اهمية بالغة بالنسبة للباحث الاجتماعى الذى يحاول الوصول الى فهم شمولى للعملية الاجتماعية الاستمرارية لجماعة ثقافية أونظام اجتماعى او ظاهرة اجتماعية لمركب متنوع والذى يقوم بدراسته بالتفصيل . وربما تكون الاجابة العملية الوحيدة التى تعطى فى الرد على هذه الأسئلة بأنه مثاليا ليس هناك حدود على التعاقب الزمنى الذى يريد الباحث الكشف عنه . ولكن من الناحية العملية هناك اعتبارات أخرى تتعلق بالزمن الذى سوف يستغرق والجهود والميزانية المتاحة لمثل هذه الدراسة وهناك أيضا اهتمام بالاختلافات بين بيانات التاريخ والعلوم الاجتماعية . وفى الحقيقة كل عالم اجتماع قد تعرض لمشاكل المناهج التاريخية نجده كتب بطريقة أو بأخرى عن ما يعتبره هو وزملاءه من اختلافات أساسية بين التاريخ وعلم الاجتماع أو بين التاريخ والعلوم الاجتماعية . ويكفى هنا القول بأن العلماء الاجتماعيين لا يكتفون بمجرد سجل لمجرى الاحداث الانسانية ولكن يتطلبون تحليل للمشاكل الانسانية والعوامل التى تؤثر فى تطور الجماعة والمعالجات التاريخية

التى تهتم بتحليل القوى الاجتماعية والتأثيرات التى تشكل الحاضر قد أخذت أسماء أو فروع جديدة مثل التاريخ الجديد New history التاريخ التحليلى Analytical history والتاريخ التركيبى Synthetic history التاريخ الثقافى Culture history .

وعملية استخلاص المبادىء من خلال البحث فى أحداث الماضى وتحليل الحقائق المتعلقة بالمشاكل الانسانية والقوى الاجتماعية التى شكلت الحاضر هو ما يطلق عليه اسم المنهج التاريخى Historical Method

٢ ـ اعلام المنهج التاريخى :

(١) من أول اعلام المنهج التاريخى فى الدراسات الاجتماعية هو ابن خلدون الذى حاول أن يقف وقفة موضوعية من الدراسات السابقة عليه ويبين كما سنرى فيما بعد الخطأ الذى وقع فيه المؤرخين القدامى من عدم التمحيص العلمى لمصادر البيانات التاريخية . وفى مقدمة ابن خلدون يجد الباحث نموذجا للعلاقة المتبادلة بين التاريخ وعلم الاجتماع .

(٢) كذلك نجد فى أوربا كثير من العلماء الذين بلوروا استخدامات المنهج التاريخى فى الدراسات الاجتماعية . ومن الأمثلة على ذلك الفيلسوف الايطالى جيوفانى باتيستافيكو Giovani B.Vico فى كتابه العلم الحديث الذى بين فيه مبادىء المنهج التاريخى والتى تتميز بالآتى :

أ ـ يجب على الباحث الاجتماعى فى دراسته للنظم أو الظواهر الاجتماعية الرجوع الى جذورها الاولى والعصر الذى ظهرت منه •

ب ـ ان تاريخ الانسانية قد مر فى تطوره بمراحل هى المرحلة الدينية ومرحلة البطولة والمرحلة الانسانية •

جـ ـ يعتمد المنهج التاريخى على المصادر الآتية : الوثائق والمستندات ، القصص الأدبية ، العادات الاجتماعية ، التنظيم السياسى للمجتمع ، اللغة والقانون ، الاديان والاساطير •

(٣) كذلك حاول سان سيمون Saint Siman الربط بين المنهج التاريخى والمنهج العلمى للبحث فالتاريخ بالنسبة لسيمون هو الحالة الاجتماعية للشعوب والمنهج التاريخى عند سان سيمون يستند الى الدعائم الآتية :

أ ـ تاريخ الانسانية وحدة واحدة متصلة فالماضى والحاضر والمستقبل حلقات فى سلسلة واحدة •

ب ـ ان كافة الظواهر الاجتماعية لها بوضعها الواضح والمحدد تحديدا دقيقا فى السلسلة التاريخية فالملاحظة التأملية للماضى هى التى تساعد فى الوصول الى المعرفة الحقيقية للمستقبل •

جـ ـ التفسير التاريخى هو الذى يساعد الباحث فى ادراك الظواهر فى وضعها الحاضر وان تقيم الدعائم التى يمكن ان تستند اليها فى المستقبل •

د ـ الباحث مطالب بدراسة النظم الاجتماعية والسياسية في المراحل المختلفة المحيطة بالظاهرة موضوع الدراسة . فهذه النظم هي التي تعطيه صورة حقيقية للاوضاع القائمة في هذا المجتمع في الفترة الزمنية محل الدراسة . كذلك يرى سيمون أن التقدم الفني هو المحور الأساسي لتطور الحركة الاجتماعية ولهذا فمن الضروري أن يهتم الباحث بتطور العلوم والفنون .

هـ ـ ان تاريخ العقل الانساني بوجه عام وتاريخ العلوم بوجه خاص تحدث تطورها بصور ثلاث : الأول تخميني يذهب من تعدد الآلهة الى آله واحد . والثاني وسط بين التخمين والواقعية يذهب من تصور عله غير منظورة الى تصور القوانين . والثالث واقعي يرمي الى تفسير العلم بقوانين واحدة .

و ـ الصراع عند سيمون من مستلزمات التقدم . فالصراع هو الذي يدفع الانسانية الى الامام وساعدها على التقدم . ولذلك من الضروري أن يتضمن المنهج التاريخي الوقوف على حالات الصراع عبر التاريخ والمظهر الذي تتخذه كل حالة منها . كذلك الثورات ذات دلالة بالغة الاهمية في تطور الحضارات .

(٤) اما أوجست كونت Auguste Comte فيرى أن تطور العقل يتحكم في تقدم البشرية ولذلك لقد مرت الانسانية بمراحل ثلاث هي :

المرحلة الدينية والميتافيزيقية والوضعية . وذلك من قانون الحالات الثلاث وكل مرحلة من هذه المراحل تقتضي نوعا من التفسير . وهذه المراحل الثلاثة يجب أن تعرض كما يقول كونت في ثنايا اطار تاريخي يؤكدها ويوضحها لذلك يجب ان يعنى الباحث

يتتبع ظهور الحضارات عبر التاريخ وان يهتم بدراسة التاريخ الخاص بالعلوم وتطورهـــا لأنها تعكس تطور الفكر الانسانى فى مراحله التاريخية •

(٥) اما كارل ماركس Karl Morx فيرى استخدام المنهج التاريخى لفهم تطور الصراع الانسانى مع بيئته المادية والاجتماعية وما ينجم عنها من علاقات بين الطبقات الاجتماعية • فالمادية التاريخية عند ماركس هى تفسير التطور التاريخى ابتداء من عـــدد العلاقات الأساسية التى تحتمل فى ثناياها وجود الانسان ومختلف الآراء التى يكونهـــا لنفسه عن موقفه الخاص • وتتبع ماركس تاريخ الانسانية ودور الصراع فى كل مرحلة تاريخية، وانتهى الى أن آخر الطبقات الاجتماعية فى الظهور هى الطبقة العاملة التى لا تكتفـــى بفهم موقفها وانها تستطيع بناء على هذا الفهم ان تدرك فهم الطبقات الاجتماعيـــة الأخرى وحركة التاريخ •

(٦) فوستيل دى كولانج Eustel de Coulangee من ان المـــؤرخ أو العالم الاجتماعى الذى يدرس مشاكل الحاضر يجب عليه الرجوع الى الماضى الذى قد شكل مشاكل اليوم • فلا يمكن اغفال ماضى الظاهرة ولذلك فان اهتمام الباحث بالتاريـــخ ليس فى مجرد الوقوف على سلسلة الحوادث التاريخية ولكن يجب التركيز على تحليـــــل المشاكل الانسانية تحليلا دقيقا لمعرفة العوامل التى تؤثر فى تطور الجماعة ونظمها •

(٧) كذلك هناك العديد من علماء الاجتماع المعاصرين من أمثال ســـوركن Sorokin وستيوارت شابين S. Chapin ورأيت ميلز C.wrigh Mills وليبست S. Itpset الذين بينوا أهمية التحليل التاريخى فى دراسة التغير الثقافــى

وتطوره وانه لا يمكن عزل أى ظاهرة اجتماعية عن سياقها التاريخى او العصر الذى تنتمى اليه ولذلك يجب استخدام التحليل السوسيولوجى التاريخى المقارن فى فهم ظواهر ومشاكل المجتمع •

٣ ــ البحث الاجتماعى والتاريخ :

ان قيمة استخدام المنهج التاريخى فى الدراسات الاجتماعية تظهرفى دراسة ماكس فيبر للجماعات الدينية • فمن الملاحظ أن فيبر قد قرأ البيانات التاريخية بتوسع الا ان استخدامه كان بطريقة متميزة فلم يبذل محاولة لاحياء احداث الماضى فى كل تفاصيلها او خلق من احداث الماضى المتراكمة صورة عن الماضى : عن صور الأشخاص وحياتهم الانسانية وخصائص كل منهم •

على العكس من ذلك فنحن نهتم بالحوادث المتميزة وجدوثهم فى وقت وظروف معينة • هذه الحوادث هى التى تفحص من أجل الوصول الى تفسير عن العمليات التى أدت الى وجودهم واستمرارهم فبدلا من الاهتمام بالسؤال : ماذا حدث فى ذلك الوقت والمكان ؟ فعالم الاجتماع يهتم بالأسئلة الآتية : لماذا ظهرت مثل هذه الأشيا • فى الوجود ؟ وما هى الآثار التى تركوها على حياة الناس والجماعات المتعلقة بذلك ؟ ففى دراسة ماكس فيبر ؛ التركيز كان على جماعة المتطهرين Puritanism الا أنه يجب التنبيه الى أن اهتمام فيبر كان مركزا على هذه الفرقة على انه نموذجا ممثل لفروق البروتستانية •

ولقد درس فيبر فرق أخرى مثل Pietism • Mettodism

The Baptist Sects من أجل معرفة الخصائص العامة المشتركة بين هـذه الفرق البروتستانية ٠

التاريخ على أية حال ، يهتم بقدر مناسب بأحداث خاصة وتحديد المكان والزمان الخاص بها ٠ أعنى أن التاريخ يهتم بسجل متقن عن كيف ومتى وأين اختفت والمؤرخ يشرح الحادثة بوصفه الظروف التى أدت بها والتى نمت من خلالها بالاضافة الى أنه ربما يشير الى بعض النتائج الهامة التى قد تتتابع كنتيجة للحادثة ٠

وبكلمات أخرى فان دراسة فيبر لفرقة المتطهرين هو محاولة لتجنب سرد قائمة تاريخية للحوادث بدون ترابط بينها ولكن الاهتمام كان حول المركب الاساسى للعوامل العملية التى أدت الى ظهور الرأسمالية الحديثة وخصائصها وتأثيرها على البناء الاجتماعى فى ذلك الوقت ٠ ولم يكن الهدف هو انتاج رواية تاريخية غير نقدية ، ولكن الهدف معرفة تأثيرها على الظواهر والانظمة والمشاكل الاجتماعية الراهنة ولهذا السبب ليس هناك دراسة قد تمت منذ القرن السابع عشر من المحفوظات أو الوثائق الاصلية أو عن تواريخ الاسر السابقة ولكن الوثائق التاريخية التى تفسر الاحداث هى التى فحصت بدقة أعنى ليس التاريخ فى حد ذاته ولكن التاريخ الثقافى هو اهتمام المؤرخين المتأخرين الذين نظروا الى التاريخ فى ضوء مركب العالم الاجتماعى ٠

على أية حال هذه التفسيرات للتاريخ قد استخدمت عندما ثبت انها كتبت بباحثين متخصصين كانوا ليسو ببعيدين عن المسرح التاريخى للحدث ٠ ففى البحث الاجتماعى نحاول أن نتتبع التطور التاريخى لكى يفيد بناء العمليات الاجتماعية وترسط

الحاضر بالماضي ونفهم القوى الاجتماعية الاولى التي شكلت الحاضر من أجل الوصول الى مجموعة من المبادئ او القوانين الاجتماعية • وفي أي دراسة اجتماعية تستخدم المنهج التاريخي ليس الهدف هو المبقري الماضي بمنظور الحاضر ولكن دراسة الاحداث عامة من خلال عينات ممثلة من أجل وصف عمليات التغير التي ربما تتكرر تحت نفس الظروف• فليس الهدف هو دراسة نقدية لمعرفة صحة أوصدق الحقائق ولكن لتصف وتفسر وتتنبأ بالانماط المماثلة للسلوك الانساني تحت أوضاع اجتماعية معروفة •

ففي المسوح الاجتماعية نهتم بتركيب الماضي من أجل الوقوف على تأثيره في المشاكل الاجتماعية الراهنة ، وتحدد الظروف المتطلبة للعلاج والتصحيح ونجد أساسا صحيحا للتخطيط الاجتماعي والاصلاح الاجتماعي • فنحن نبحث عن اشارات ربما تبين وتشير الى أصول ومصادر هذه المشاكل ودرجة التأثير التي كانت تحدث على ظروف حياة الجماعة ووسائل وطرق التحكم في هذه المصادر والمؤثرات وليس من الضروري أن يرجع الباحث في دراسته سواء كانت مسحي او بحتي الى هيرودوت Herodatus (ابو التاريخ) لمعرفة او لتتبع تسلسل ونتائج عمليات الصيرورة الاجتماعية • وعلى الباحثين الذين يستخدمون البحث التاريخي ان يستعينوا بعلوم اخرى مثل علم المخطوطات القديمة Paleography وعلم الآثار القديمة Geography وعلم التقاويم Chranology وعلم الجغرافيا Arogeikigy وعلم الاثنوجرافيا Ethmogrophy وبعض العلوم الاخرى •

(٤) مصادر البيانات التاريخية :

غالبا ما يحصر الباحث الاجتماعى المصادر التى يستخدمها فى المعلومات التاريخية فى ثلاثة مصادر رئيسية هى :

١ ــ الوثائق Documents والمصادر التاريخية التى يستخدمها المؤرخ نفسه •

٢ ــ مواد التاريخ الحضارى والتاريخ التحليلى •

٣ ــ المصادر الشخصية المجمعة عن طريق ملاحظين وشهود موثوق بهم •

أما بالنسبة لمتى وكيف وتحت أى ظروف تستخدم احد او كل هذه المصادر فان ذلك يعتمد الى حد كبير على فطنة الباحث واهتماماته وميوله ومجال دراسته كذلك تواتر أحد هذه المصادر عن غيرها أثناء أجراء الدراسة •

على أية حال يمكن القول بأن الوثائق تستخدم استخداما مباشرا عندما لا تكون الحوادث التى تصفها او تصورها قد حللت بواسطة المؤرخين كذلك عندما لا تكون قد ضمنت فى الاعمال الخاصة بالاوضاع التاريخية الحضارية فالوثائق تستخدم عندما يريد الباحث الاجتماعى التحقق بطريقة مباشرة عن صحة حوادث معينة كذلك تستخدم الوثائق كمصادر للمعلومات التاريخية عندما لا تكون بعض جوانب معينه من الاحداث أو الوضع التاريخى محل الدراسة غير متضمنة فى الكتابات المتأخرة للمؤرخين التحليليين • وأخيرا تستخدم الوثائق عندما يحتاج الباحث الاجتماعى الى معرفة حلقة مفقودة فى المعرفة التاريخية لوضع اجتماعى معين •

فالوثيقة حتى فى شكل سجل لتسلسل الحوادث التاريخية قد يكون لها فائدة

كبيرة في تفسير الموقف محل الدراسة •

ومما هو جدير بالذكر في هذا المقام فان هناك وجهتان نظر مختلفتان حول الاستخدام المباشر للوثائق ـ فهناك رأى ينادى بعدم اللجوء الى استخدام الوثائق الا بعد أن يكون قد مضى عليها عدة أجيال •

أما الرأى الأخير فهو يرى أن استخدام الوثائق الحديثة أو المعاصرة لا غبار عليه طالما كانت هى المصدر الوحيد المتوفر للبحث • كذلك يرى هذا الرأى الاخير أنه كلما كان الباحث قريب زمنيا لجو الوثيقة كلما كان أقرب الى فهم روح ومسرح الأفعال لهذه الحوادث •

والحق أن هناك وجهة صدق بالنسبة لكل من هذين الرأيين ويترك الاجابة على هذه المشكلة للباحث نفسه الذى يستخدم الوثائق الاصلية عند استخدامه كل مرة لهذه الوثائق • وذلك لأن فهمه قد يختلف ويتنوع حسب الوثائق المتباينة التى يدرسها وحسب هدف الوثائق وهدف بحثه • كل هذا متروك لفطنة الباحث وقدرته كذلك لاتجاهات الملابسة •

وقد لاحظ هوارد بيكر Howard Becker ان ما يقصد بالبيانات التاريخية هو كل معلومات متوفرة عن أناس معينين وتكشف هذه المعلومات عن فترة تاريخية لاكثر من ثلاثة أو أربعة أجيال والسبب الذى جعل هوارد بيكر يركز على استخدام الوثائق القديمة لثلاثة أو أربعة أجيال ماضية هو اعترافه بأن مصدر المعرفة عن الحاضر لا يمكن توافرها الا عندما يصبح هذا الحاضر ماضى تاريخى Past Historical فكثيرمن

الوثائق التي تصف او تتناول احداث الحاضر من العسير ان تكون في متناول الباحثين .
هذا بالاضافة الى أن الوثائق المتعلقة بالحاضر او الماضي القريب لا تمد الباحث بالمعلومات الأساسية الضرورية لعقد مقارنات وتعميمات متشابهة . وهذا لا يعني أن الوثائق المعاصرة ليست بذات فائدة فالباحث يستطيع أن يستخلص منها الحقائق والعوامل الاجتماعية التي تساعد على فهم الموقف الحاضر ولكن كيف والى أى حد يستطيع الباحث ان يستخلص المبادىء من هذه الوثائق المعاصرة ذلك مازال يشكل صعوبة لا يمكن الاجابة عليها بطريقة مباشرة أو عامة .

على اى حال يمكن ان نعرف الوثائق بأنها اى مادة مكتوبة يمكن أن تكون مصدر معرفة عن السلوك الانساني او وضع معين والباحث الاجتماعي يهتم بالوثائق التي لم يتدخل الباحث في كتابتها مثل الوثائق الشخصية ، السجلات الادارية ، التقارير العامة ، تعداد السكان ، مسوح اجتماعية سابقة ، احصاءات عن الصحف والاقتصاد ، سجلات عن المنظمات الخيرية ، سجلات المحاكم سجلات المدارس ، الجرائد والمجلات ، شرائط الاذاعة والتلفزيون ، الاغاني والفولكلور والاقلام والشمير ، الخطب ، الخطابات ، المذكرات الشخصية ، كذلك سلاسل الانساب ، الكتابات القانونية ، القوانين الوضعية ، النقود والاثار والمباني القديمة ، علوم التقاويم ، المحاضرات والاتفاقيات وسير الاشخاص وتراجم حياتهم .

ولكن معروفا للباحث الاجتماعي ان المؤرخين انفسهم يعترفون بأن المؤرخين القدامى الذين قدموا الاحداث لنا لم يقدموا لنا وصفا حقيقيا للاحداث نفسها ولكن قدموا لنا وصفا لانطباعاتهم للاحداث التي يصفوها فكثيرا من المؤرخين القدامى كانوا

مدافعين عن عقائدهم الدينية أو كانوا ينتمون لفرق معينة او يدافعون عن مبادئ • فلسفية أو سياسية معينة ولهذا فان الباحث الاجتماعي عند معالجته للوثائق يجب أن يفي بمـا يأتـى :

١ ــ أن يتخلص من التفاصيل التى بد يكون لها طابعا ذاتيا ويكتفى بالنتائج الرئيسية التى تفسر أو تصور الظاهرة او الاحداث محل الدراسة •

٢ ــ ان يعمل الباحث على ترتيب المعلومات التى يستخلصها ويضعها على أساس ـ العلاقات المتبادلة بين الحقائق وبهذا يمكن التفرقة بين التاريخ الحقيقـى والتاريخ المزيف•

٣ ــ الا يعتمد الباحث على مصدر واحد فى معلوماته كذلك لا يعتمد على أساليب واحدة فى تفسير الظاهرة أو الموقف موضوع الدراسة •

٤ ــ على الباحث أن يحصر اهتمامه فى البحث على الأنماط الاجتماعية والعمليـات الاجتماعية والتى لها تأثير على السلوك الانسانى والجماعات والانظمة الاجتماعية

٥ ــ ان يخضع مصادر بياناته للفحص الدقيق وذلك عن طريق استخدام ادوات منهجية تكشف عن مدى صدق هذه البيانات •

٥ ــ كيفية نقد البيانات التاريخيـة :

غالبا ما تكون البيانات التاريخية ذات أهمية عندما تحتوى منظورات واسعـة أو عندما تشير الى وجهة نظر معينة • ولقد أشار سدنى فاى   بتعقـد وتداخل العوامل السببية المتعلقة بوصف الحوادث التاريخية فى كتابه عن أصول الحـرب

العالمية بين لنا كيفية البحث عن كل المصادر التى قد تكشف عن أسباب الصراع التى أدت الى نشوب الحرب العالميه . فهو يرى أن معرفة هذه الاسباب ليس بالامر الهين ولذلك يجب أولا الرجوع الى الماضى البعيد لمعرفة تاريخ أوربا السياسى فى خلال القرن الماضى كذلك يجب أن تتضمن معرفة الأسباب دراسة فنية للقوى العسكرية والبحرية لمختلف الدول وخططهم للغزو وعلاقة السلطات العسكرية المدنية فى كل من هذه الدول كذلك نفسية الخوف وكل العوامل الاخرى التى خلقت مفاهيم غامضة من التسليح والقرصنة كعوامل أدت الى الحرب.

كذلك من الأهمية بمكان دراسة وتحليل هذا المركب المعقد الذى بدأ مع الثورة الفرنسية ، ثم بدأ بالتدريج ينمو ويقوى خلال أكثر من قرن والذى يطلق عليه اسم القومية . وهذا بدوره متعلق بدراسة المشاكل النفسية والسياسية المتعلقة بالدين والعنصر والديمقراطية والتعليم والتعصب. كذلك يجب أن تتضمن الدراسة معرفة الأسباب ومعرفة تشابك المشاكل السياسية والاقتصادية التى نشأت نتيجة تحول المجتمع الاوربى الى المجتمع الصناعى وما تعلق بذلك من مشاكل متعلقة بالاسكان ، والموارد الغذائية والاسواق الخارجية والمواد الخام واحتلال المستعمرات وتراكم رأس المال الذى يبحث عن استثمارات خارجية كذلك يجب أن يعطى الباحث اهتماما بدور الصحافة كعامل من العوامل التى أدت الى الحرب العالمية. ويخلص سدنى فاى بأنه واضحا من كل هذا فانه ليس هناك مجلد واحد يمكن أن يتناول ويشمل كل هذه القوى المركبة التى تشمل العوامل التى سببت نشوب الحرب العالمية على أية حال فالبيانات التاريخية تعتبر ثابتة وموثوق فيها عندما يقدموا مثل ما فعل سدنى فاى الاحداث التاريخية على انها :

١ ـ مركبات للقوى الاجتماعية •

٢ ـ ظواهر اجتماعية متشابكة مع العملية الاجتماعية •

٣ ـ مجموعة علاقات نفسية • اجتماعية • اقتصادية • سياسية • عسكرية • دينية اجتماعية • وتعليمية ـ ساهمت بنتيجة واحدة هي أظهار تناسق معين أونمط معقد • ومصدر الخطأ ـ والذى لا يمكن تجنبه كلية من أى مجلات من المعرفة الانسانية ـ قد يقل عندما لا يعتمد الباحث على مجرى واحد لتفسير الموقف موضوع الدراسة •

فمن المستحب اثارة هذه الاسئلة والتى ربما قد لا يجاب عليها الا بعد فحص العديد من البيانات التاريخية وبعد تحليل البيانات نفسها :

١ ـ هل المؤلف استخدم مصادر أصلية أوأولية ام انه استخدم مصادر اشتقاقية أو ثانويـــة •

٢ ـ هل حصر نفسه فى نوع معين من المصادر او مجموعة من البيانات أم أنه تصـور عمله على أنه موضوعات معقدة •

٣ ـ هل كان لديه منظور كلى وشمولى للموقف ام أنه حصر نظرته الى المشاكل المباشرة والمؤقتة •

٤ ـ هل ان مفاهيمه لما هو مهم ومميز تتفق ما هو مستخدم من معاصريه ؟

وعندما تستخدم الوثائق التاريخية الاصلية والسجلات فان استخدامها يثير بعض المشاكل الأخرى وعندئذ تصبح موضوعا لما يسمى :

أ ــ النقد أو الفحص الخارجي :

والذى يتعلق بأصل الوثيقة ومكانة المؤرخ ، الظروف الخاصة والهدف الــذى أدى الى كتابة الوثيقة أو السجل ، خلفية المسجل ، مصادر رأيه ، واستخدامه لهم وهكذا

ب ــ النقد أو الفحص الداخلى :

والذى يتعلق بتكامل الحقائق ودقتها ، التحيز ، الاباطيل ، فهم المسجــل المحدود ، هل كان متأثرا بالرأى العام أو بدوافع واهتمامات أدبية على هو ملاحــظ مدرب وهكذا • ولقد لاحظ استيوارت شابين Stwart chapin انه من الضرورى كجــزء مهم من عملية النقد الداخلى للوثائق " انه نتبين فى كل حالة العمليات العقلية الــتى بدأت مع ملاحظة الظاهرة وانتهت مع كتابة كلمات التقرير " والحق ان تحقيق ذلك ربمـا يتمثل صعوبة بالغة ولقد قدم شابين بعض الاشارات التى تساعد عملية النقد الداخلـى مثل ؟ :

١ ــ هل كان المؤرخ مؤمنا بالحكم الذى وضعه ؟

٢ ــ هل كان للمؤلف هدف فى خداع القارئ ؟

٣ ــ هل كان المؤلف تحت أى ضغط جعله يقول ما هو غير حقيقى ؟

٤ ــ هل كان متأثرا بمشاعر مشاركة او نفور جعلته يقول ما هو يعتبر حقيقى ؟

٥ ــ هل هناك دليل على اهتمامات أدبية أو درامية التى تؤدى الى تشويه الحقيقة ؟

كذلك الكثير من الأسئلة التى يجب أن تثار بالنسبة لاستخدام البيانات التاريخية فى البحث • والحق أن ابن خلدون اول من عرض هذه المشاكل المتعلقة بالنقد الداخلى

للوثيقة والتى تؤدى الى الخطأ فى وصف الحقيقة وذلك فى قوله :

"... ومنها التشيعات للآراء والمذاهب . فان النفس اذا كانت على حال الاعتدال فى قبول الخبر أعطته حقه من التمحيص والنظر حتى تتبين صدقه من كذبه واذا خامرها تشيع لرأى أو نحله قبلت ما يوافقها من الاخبار لاول وهلة وكان ذلك الميل والتشيع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد والتمحيص فتقع فى قبول الكذب ونقله ومن الأسباب المقتضية للكذب فى الاخبار أيضا الثقة بالناقلين وتمحيص ذلك يرجع الى التعديل والتجريح . ومنها الذهول عن المقاصد . فكثير من الناقلين لا يعرف القصد الذى عاين أو سمع وينقل الخبر على ما فى ظنه وتخمينه فيقع فى الكذب ومنها توهم الصدق وهو كثير وانما يجئ فى الأكثر من جهة الثقة بالناقلين ومنها الجهل بتطبيق الاحوال على الوقائع لأجل مابداخلها من التلبيس والتصنع فينقلها كما رآها .. ومنها تقرب الناس فى الاكثر لاصحاب التجلة والمراتب بالثناء والمدح . وتحسين الاحوال واشاعة الذكر بذلك فيستفيض الاخبار بها على غير حقيقة فالنفوس مولعة بحب الثناء . والناس متطلعون الى الدنيا واسبابها من جاه أو ثروة . وليسوا فى الكثر براغبين فى الفضائل ولا متنافسين فى أهلها ومن الاسباب المقتضية له أيضا — وهى سابقة على جميع ما تقدم — الجهل بطبائع الاحوال فى العمران فان كل حادث من الحوادث ، ذاتا كان أم فعلا . لابد له من طبيعة تخصه فى ذاته وفيما يعرض له من احواله فاذا كان السامع عارفا بطبائع الحوادث والاحوال فى الوجود ومقتضياتها اعانه ذلك فى تمحيص الخبر " (المقدمة ص ٢٦) .

على أية حال كل هذه الأسئلة قد تتطلب بحوث مكثفة قبل الاجابة عليها ولكن بالمقارنات مع نتائج المصادر الاخرى فالكثير من الاخطاء وعدم الدقة قد تختفى والمقارنة

لمصدر البيانات قد يلقى الضوء أيضا على بعض المشاكل التي قد يسهم بها الباحث في الحياة الاجتماعية وبالرغم من اتاحنا س جزراند Jusserand من أن التاريخ ليس ببساطة فن وليس كذلك ببساطة علم ولكنه يجمع بين طبيعة كل من العلم والفن — فانه يجب التأكيد من خلال المقارنة والتصر ان الراوى التاريخى قد اهتم بالعقل بالواقع •
ولما كان من المستحيل على المؤرخين ان يكتبوا تاريخ الحياة بأكملها ولكن يختاروا من بين الحوادث المتعددة فان ذلك يتطلب أن تكون على علم بأن كانت هذه الحوادث المختارة هى المهمة والمميزة للمواقف الاجتماعية والعصور التى تصفها •

٦ — الخلاصة :

انه يجب الاشارة الى أن التاريخ يهدف الى حفظ ذكرى الاشخاص والاعمال الخالدة والتى ربما تستخدم كدروس ممتدة لمستقبل الانسانية وان كان التاريخ قديما قد كتب من أجل الترفيه والتعليم والتثقيف واثبات وجهة نظر • وكذلك اعتبر التاريخ — كما ذهب توماس ماكيولى Thomas Hacaulay فى احسن صورة هو جمع مركب من الفلسفة والشعر • فان المفهوم المعاصر للتاريخ يختلف عن ذلك فى اعتبار التاريخ على انه " التثبت الراسخ من الحقائق والعرض الدقيق للحقائق الثابتة لانه السعى للتعبير عن الحقيقة •

ولقد أكد ليبولد فان رانكى Lepold von Ranke بأن الطريقة الى البحث العلمى يجب أن تكون فى التركيز على أن تصور التاريخ ليس على انه فقط التأكيد المطلق للاحداث التاريخية ولكنه على انه منهج لشرح "كيف حدثت فى الواقع هكذا ".

وبطبيعة الحال لا يستطيع الباحث عند محاولته دراسة مركب الخلفيه الاجتماعية للجماعة أو أنظمتها او مشاكلها فانه — من المستحيل ان يقوم بفحص ذلك النظام الهائل والمتنوع اللامحدود من الحوادث المختلفة والظواهر التى — من خلال العصور — أدت الى ظهور وتطور الموقف الاجتماعى للجماعة فالباحث فى أحسن الظروف لا يستطيع الا أن يدرس بعض الأحداث او الوثائق التى مازالت متداخلة مع معتقدات الجماعة وأنماط سلوكها وحياتها العاطفية • ومثل هذه الدراسات تتطلب عملية اختيار "عينة" فالباحث حتى مطالب أن يكون متأكدا من أن اختياراته أو عينته ممثلة ومماثلة لزمن الجماعة ووضعها الحضارى وانها لا تصف فقط موقفا خاصا مميزا لزمان أو مكان محدد •

كذلك يجب على الباحث أن يتأكد من أن المؤلفين الذين يعتمد عليهم للخلفية والبيانات التاريخية لديهم منظور شمولى وأنهم اعتنوا بمركبات القوى الاجتماعية ولم يحصروا انفسهم فى دراسة ظواهر منعزلة وخاصة •

والباحث الاجتماعى عليه الا ينظر الى التاريخ باعتباره سلسلة من الحوادث ولكن عليه أن يهتم بفكرة التحليل العلمى لاحداث التاريخ فتحليل الماضى يساعد على معرفة الى أى حد تتأثر النظم والأفكار والعادات والمشاكل الاجتماعية التى ندرسها بالماضى والى أى حد سوى متأثرة به فى المستقبل • فنحن يمكننا ان ندرك اطرادات تتحدى تغير ظروف الازمنة كذلك يمكن أن نلاحظ حلقات متعاقبة من كثير من أشكال الحياة والمشاكل الاجتماعية ويمكننا كذلك أن ندرك الظواهر الاجتماعية فى علاقاتها المركبة وبمنظور أشمل •

ودراسة التاريخ تساعدنا ايضا على أن نكون متسامحين وفى نفس الوقت ناقدين للأفكار القديمة والجديدة •

وأخيرا فان الباحث الاجتماعى يجب أن يكون واعيا بأن التاريخ مهما كان دقة المؤلف وحكمته لا يخلو من التشويه والخطأ فكما اشرنا غالبا ما يتدخل التحيز الشخصى او الدينى او الثقافى او حتى النظرى للمؤرخ • وينعكس هذا على تحليله او تقيمه للظواهر او المجتمعات التى يدرسها ولذلك فان البيانات التاريخية المستخلصة من مصادر متنوعة والمختارة بعناية والمفحوصة بدقة والمستخدمة بدون تحيز - مثل هذه البيانات تشكل مصدرا للمعرفة يساعد على فهم وتعميم الظواهر الجمعية والانظمة الاجتماعية •

ثانيا - المنهج المقارن (١) :

ما هو المقصود بالمنهج المقارن ؟ ومتى بدأ استخدامه فى دراسة المجتمع أو من هم أقطابه ؟ وما هى أهم التطورات التى دخلت على استخدامه ؟ وما هى المشاكل المنهجية التى يثيرها استخدام هذا المنهج فى دراسة المجتمع •

المقصود بالمنهج المقارن :

وكان المنهج المقارن ، حتى نهاية القرن التاسع عشر هو المنهج السائد فى علم الاجتماع وان لم يكن هو المنهج الوحيد • وهو ينطوى على استخلاص او تجريد نتائج من تحليل المجتمعات التاريخية المختلفة فى محاولة لايجاد قوانين التاريخ وكان المجتمع

---

(١) اعد هذا الجزء دكتور على عبد الرازق جلبى

فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر يتغير من المجتمع القروى الى المجتمع الصناعى الحضرى وكان الناس يتوقون الى فهم النظام الاجتماعى المتغير حولهم واعتقدوا ان هذا الفهم يمكن ان يتم من خلال التاريخ • وكانت الدراسات التاريخية التى قاموا بها مخالفة للدراسات التاريخية السابقة عليهم اذ كانت الدراسات السابقة تأخذ بالاسلوب الانسانى الذى كان ينظر فيه الى التاريخ كطريق لفهم المشاكل المعاصرة • دراسة الطريقة التى كان يتصرف بها الناس فى الماضى وتحليل نتائجها على أفعالهم سيمدنا بالتوجيهات للسلوك او التصرف او الفعل فى الحاضر وفى الطريقة الجديدة فى النظر الى التاريخ • المنهج المقارن لايزال التاريخ يمثل الدليل على فهم المشاكل المعاصرة وليس لأن الناس يواجهون مشاكل مماثلة للمشاكل التى كانوا يواجهونها فى الماضى وانما لان التاريخ هو المصدر الذى يمكن منه تطوير تنمية القوانين حول تطور المجتمعات وكانت الوثائق والمعطيات التاريخية هى المصدر الذى يمكن ان تشتق منه القوانين العلمية للتاريخ باستخدام المناهج العلمية •

بداية وتطور استخدام المنهج المقارن فى دراسة المجتمع :

أشتق المنهج المقارن مباشرة من كتابات مفكرى باريس• وكان حتى عام ١٩١٨ هو المنهج السائد فى علم الاجتماع بالرغم من أنه بعد هذا التاريخ بدأ يعانى من تدهور سريع • وكان تدهوره يرجع الى تدهور او انهيار فكرته الاساسية ـ التقدم والتى لم تعد بعد الاحداث الدامية للحرب العظمى تبدو على أنها قانونا اجتماعيا لا مفر منه •وكانت الفكرة التى مؤداها ان المجتمع كان فى حالة تقدم من عصور سابقة أكثر وحشية وبربرية هى حجز الزاوية فى الفكر الفلسفى فى القرن التاسع عشر والتى لم يسبق ان عارضها أحد •

وكان الخلط بين التقدم الاخلاقى والتكنولوجى هو الخطأ الشائع فى ذلك العصر والذى لايزال يستمر حتى اليوم ، وأدى اكتشاف وجود تماثل فى مناطق نائية وبعيدة من العالم كانت فى حالة تكنولوجية بدائية أدى بالمفكرين الى النظر الى هؤلاء الناس على انهم يمثلون الحالة الاولى التى كان عليها الانسان فى فترات التاريخ المبكرة حفريات حية وفى نفس الوقت ظهر ان هناك تقدم اقتصادى وسياسى خاصة اذا حددنا التقدم فى هذا المجال بأنه حرية سياسية وثروة ، وكان بالفعل يحدد على هذا النحو • ولقد دعمت فيما بعد نتائج الجيولوجيا فى القرن التاسع عشر ونظرية داروين عن التطور فكرة التقدم فى علم الاجتماع التى استفادة منها فى تأييد النزعة الداروينية الاجتماعية القائمة بالفعل والتى طورها سبنسر • ويمكن أن نتلمس بدايات فكرة التقدم فى المجتمع فى كتابات كوندرسية وسيمون وكومت • فلقد أكد كوندرسيه فكرة التقدم المستمر وذهب كومت الى أنه يمكن ان يتحقق التقدم من خلال مراحل ثلاثة ، الأولى المرحلة اللاهوتية ثم حيث كان يستعان بالكائنات العليا فى تفسير الاسباب والمرحلة الثانية هى المرحلة الميتافيزيقية التى كان يفسر فيها الأسباب بارجاعها الى قوى مجردة ، والمرحلة الثالثة هى المرحلة الوضعية حيث لا وجود لاسباب مطلقة وانما هناك قوانين المساوقة فى الوجود والتتابع وذهب الى ان التدخل المقصود او العمدى فى التطور نتائجه محدودة لان التقدم تحكمه قوانين وضعية (ولا مفر منها) •

وكل ما يستطيع الانسان أن يفعله هو تعديل القوى الثانوية وهكذا يعملون على الاسراع بالتغير والتماثل بين هذه القضايا وقضايا ماركس التى مؤداها أن ثورة البروليتاريا أمرا لا مفر منه ، وان كان على الناس أن يقوموا بها ، أمرا ملفتا للنظر

واستعار ماركس أيضا من سان سيمون واتباعه الذين ابتكروا اطارات أو تطورات يوتوبية من أجل النظام الجديد الذى تصوروا بزوغه ٠

وبمثل ما كانت الفكرة الماركسية عن التقدم مختلفة كان هناك أيضا فكرة مختلفة لدى بدراسة من مدارس التفكير أخرى هى الدارونية الاجتماعية وكان الانجليزى هربرت سبنسر من أكثر المدافعين شهرة من هذه المدرسة الذى أدرك التقدم على انه تقدم تطورى منه ، على حد تعبيره ، يترتب على البقاء يلا نسب ابنية اجتماعية اكثر فعالية وسيطرت أفكار سبنسر على علم الاجتماع فى انجلترا والولايات المتحدة فى بداية القرن العشرين ربما لأن أفكاره كانت تناسب عقيدة دعه يعمل فى العمل التى كانت سائدة فى هذا العصر ٠

واذا كان لا بد من تحقيق التقدم كان سبنسر يعتقد فى عدم تدخل الحكومة فى العالم الاجتماعى لتخفيف الفقر أو لأى سبب آخر ، لأن هذا معناه التدخل فى عملية التطور تلك الفكرة التى كان يسعد رجال الاعمال بالتصديق عليها ٠ وليس كل علماء الدارونية الاجتماعية يوافقون على آراء سبنسر فى عدم التدخل بل كان الامريكى وارد يقرر أنه عندما يتمكن الناس من فهم الظواهر الاجتماعية فانهم يستطيعون بذلك التدخل للتعجيل بالتقدم ٠ وكان المنهج الذى قد استخدمه كل هؤلاء العلماء كومت ، ماركس ، سبنسر هو المنهج الذى يقارنون فيه بين فترات تاريخية متباينة ويستخلصون من هذه المقارنة قوانين التطور التاريخى ٠ وتشير الحقيقة القائلة بأنه من فحص نفس التاريخ أمكن لماركس أن يصل الى نتيجة واحدة وأن يصل سبنسر الى نتيجة مغايرة لها تشير الى أن

القوانين هى من نتائج الملاحظ وليست نتاج للمعطيات • وهذه الحقيقة لم تكن واضحة فى ذلك الوقت وانما كان ماركس فيبر فقط الوحيد الذى وصل الى درجة عالية وبلغ درجة كافية من الفهم التاريخى الذى جعلته يدرك انه من المستحيل استخلاص القوانين من الظواهر الفريدة فى التاريخ • حيث لا توجد لها حالات كافية يمكن المقارنة بينها واستطاع فيبر أن يحل هذه المشكلة من خلال تطوير فكرة النموذج المثالى الذى كان يمثل تجريدا لجوهر الظاهرة التاريخية الذى قد لا يقع أو يحدث فى صورة خالصة فى أى موقف واقعى أو امبيريقى وباستخدام هذا النموذج كان فيبر قادرا على دراسة روح البروتستانتية وظهور الرأسمالية كنماذج مثالية وان يربط بينهما وبالرغم من ان مفهوم النموذج المثالى قد اتسع نطاق استخدامه فى علم الاجتماع الا أنه فشل فى حل المشكلة المترتبة على ندرة الحقائق التاريخية •

والمنهج المقارن ، ونتيجة لانه بعيدا عن العلمية ، طالما كان التاريخ يفتقر الى الحالات الكافية التى تمكن من اجراء المقارنة وايجاد الانماط قد تعثر نموه وان لم يهمل كلية وانما اقام سوروكين وباريتو رايزنستد تبعض كتاباتهم التى بالرغم من انها لا تتماشى مع طراز وأسلوب الكتابات فى عصرهم ، على أساس الالتزام المباشر بالمنهج المقارن وأصبح من الشائع اليوم فى المحاولات التى تتبع التطورات فى التاريخ الحديث بأمل التنبؤ بالمستقبل الاخذ بهذا المنهج وكانت دراسة اوجبرن ١٩٣٤ الضخمة فى مقدمة هذه المحاولات تلاها دراسات كون (١٩٦٦) وميدوس عام (١٩٧٢) •

أقطاب المنهج المقارن فى دراسة المجتمع :

أ ـ سوركين :

يختلف سوركين لدرجة كبيرة عن ماركس وسبنسر وكومت ذلك لأنه أولا : وضع أو أخرج مؤلفه عن الديناميات الثقافية والاجتماعية ١٩٣٧ ـ ١٩٤١ الذى استخدم فيه المنهج المقارن فى القرن العشرين ، وليس فى القرن التاسع عشر . وثانيا : كان مفكرا أكاديميا ، وثالثا : بالرغم من نشأته الروسية ، فلقد أجرى دراسته فى أمريكا وليس فى أوربا .

وربما كان الفارق الاكثر أهمية بين سوركين وكومت وماركس وسبنسر تكمن فى نزعته التشاؤمية ، فالكتاب الثلاثة السابقين نظروا كلهم الى المجتمع على أنه يسير نحو التقدم وكان سوروكين شأنه شأن غيره من كتاب القرن العشرين الذين استخدموا المنهج المقارن ، مثل شبنجلر وتوينبى أكثر تشاؤمية بالرغم من أنه نظر الى التاريخ على انه دائرى فانهم قد اعتقد انه يكتب فى عصر التدهور او الانهيار . ولماذا يصعب فهم هذه النزعة التشاؤمية التى تصبغ كتابات القرن العشرين التى استخدمت المنهج المقارن ، الواقع أن ذلك يرد عادة الى حرب عام ١٩١٤ ـ ١٩١٨ ولكن توينبى الذى أخرج مؤلفه بعد الحرب كان أكثر تفاؤلية من شبنجلر الذى أخرج كتابه قبل هذه الحرب . وكان للاعتقاد بأن الناس يتصرفون أو يسلكون بناء على دوافع غير رشيدة أكثر منها رشيدة أو معتدلة . التى بدأت تنتشر بالقبول بعد أن أصبح مؤلف فرويد معروفا ، اثارة على وجهة النظر التفائلية للمجتمع الانسانى . ولقد نظر باريتو بالتأكيد الذى كان واحد من بين قلة من

ب - أوجبرن :

قدم أوجبرن تصورا جديدا للمنهج المقارن اذ كان كل من استخدم المنهج المقارن قبل اوجبرن الكلاسيكى عن التطورات الاجتماعية الحديثة (١٩٣٤) كانوا يعملون بدون تمويل وبأسلوب وبطريقة تأملية فلسفية حيث تلقى أوجبرن منحة ضخمة من حكومة الرئيس هوفر ومن مؤسسة روكفلر للأشراف على دراسة حول اتجاه ومدى التغيرات فى المجتمع الامريكى وكان هذا الاهتمام بعملية تمويل هذا النوع من البحث الذى أطلق عليه فيما بعد علم المستقبل راجع الى أن الحكومة قد التزمت بتحقيق نمو اقتصادى بعد الكساد فى عام ١٩٢٩ ، وارادت ان تخطط لهذا النمو وكان الموقف النظرى الأساسى الذى أخذه أوجبرن عام (١٩٥١) هو ذلك الموقف المميز للاتجاه التطورى بقوله أعتقد أن مشكلة التطور الاجتماعى قد حلت وانى قد قمت بدورا هاما فى حل هذه المشكلة وذلك بفضل أربعة عوامل ، الاختراع التراكم ، الانتشار ، التكيف (ص ١٥١) .

واعتقد اوجبرن أنه قد حل المشكلة من خلال تمسكه بالمنهج الاحصائى ولقد نشأ هذا التمسك عن ما تلقاه من تدريب فى كولومبيا تحت اشراف جدينجز الذى كان عالم اجتماع تطورى ومدافع قوى عن القياس فى علم الاجتماع وكان أوجبرن تلميذا ناجحا . واعتقد انه باستخدامه للاحصائيات قد تجنب كل احتمالات التحيز التى سبق ان وقع فيها من استخدم المنهج المقارن قبلا منه . واعتقد انه قد حقق الفكرة التى تعرف اليوم باسم التحرر من القيم اذ يقرر ان المساهمين فى دراسته قد ناضلوا من اعتقاد فى الكشف عن ، ثم تقرير نتائجهم بدون أن تتأثر بتفضيلاتهم الشخصية او بما لا يفضلونه شخصيا . وكانت فكرة الدراسة هى رفض الآراء التى لا تجد تأييدا وقبول النتائج الثابتة . وكانت الفكرة

يحواها تكوين جداول مركبة تتسم بالثبات فى نظر المحافظ والثورى لدرجة تصدق معهـا الاتجاهات أو التطورات الاجتماعية فى نظر المحافظ بمثل ما تصدق فى نظر الراديكالـى واحتوى التقرير الذى أعد تحت اشراف اوجبرن على حوالى ٦٨ ١ صفحة صدر فى حوالى (١٣) مجلد تحوى دراسات خاصة وحقائق تدعمها • وتشتمل على مجموعة مقالات حـول اتجاهات أو التطورات فى كل شىء من السكان الى أوجه نشاط النساء خارج المنزل • وكانت تنبؤاته المبنية على هذه الاتجاهات هى ما يمكن أن يتوقعه المرء بالنظر الى مثل هـذه البيانات • وناقش مؤلفيها فكرة تبخير مياه البحر وتمويم المدن لمواجهة السكان المتزايدين ومشاكل المجتمع الاستهلاكى ونتائج الارسال التلفزيونى • وكان اسهام اوجبرن الخـاص باعتباره يختلف عن زملائه الذين شاركوا معه فى هذه الدراسة ، وكمشرف عليهم كان يتعلق بنتائج الاختراع • وهنا يذهب كما يقرر فى مؤلفات أخرى له أنه هناك عناصر ثلاثة فـى عملية الاختراع فهناك الاختراع نفسه ، والحاجة له ، وقاعدة أو أساسه الثقافى • ويعـنى بالقاعدة أو الاساس الثقافى تراكم المعرفة فى منطقة الاختراع وذهب الى أن هذا الأساس الثقافى أكثر أهمية من عبقرية الفرد او من أى حاجة للاختراع واستشهد فى تأييده لهذه الفكرة الوصل فى وقت واحد أو اكتشاف اناس مختلفين لاختراعات متماثلة ، مثل التليفون ، والطائرة ، والآلة الكاتبة وغيرها ولقد ترتب على هذه الافكار انه بقدر اتساع القاعـدة الثقافية بقدر احتمال الاختراع وأوضح اوجبرن هذا الوضع قائلا ان الاختراعات فى اى ميدان يتزايد فى أعدادها بطريقة لها دلالتها بحيث اذا كان هناك (١٠) اختراعات فى العام الماضى يصل عدد الاختراعات فى العام التالى الى (٢٠) ثم الى (٤٠) فـى السنة شهور التالية و (٨٠) فى التى تليها وهكذا •

وذهب أوجبرن الى ان هذا النمو السريع فى التكنولوجيا كان من السرعة فى المجتمع وثقافة المجتمع لدرجة استطاع ان يتوافق معها بسهولة وأطلق على هذا الأختلاف بين التقدم التكنولوجى والثقافى ، تخلفا ثقافيا واعتقد ان هذا التخلف يعتبر احد الجوانب الهامة فى المجتمع الحديث •

مشاكل المنهج المقارن :

هناك ثلاثة مشاكل أساسية فى استخدام المنهج المقارن :

١ ــ اختبار وحدات التحليل •

٢ ــ أهمية كل وحدة فى الفترات التاريخية المتباينة •

٣ ــ تفرد التاريخ •

والمشكلتين الاولتين مشتركتان بين كل التفسيرات السيولوجية • فكل تفسير سوسيولوجى عليه أن يبسط الواقع بواسطة تقسيمه الى وحدات متميزة وهكذا يتحدث علماء الاجتماع عن الدور والمكانة والقوة والطبقة مثلا وتكون الوحدات فى المنهج المقارن هى مثلا الثقافات الفكرية اوالعصور الميتافيزيقية • وكل تفسير سوسيولوجى يكون عليه أن يتناول او يتعامل مع وحدات هامة متباينة فى مجتمعات متباينة وهكذا قد تكون القوة هى التصور التفسيرى الهام فى أحد المجتمعات واقل اهمية فى مجتمع آخر وبالمثل قد تكون الطبقة الاجتماعية لها أهمية فى التفسير فى فترة تاريخية معينة وأقل أهمية فى فترة أخرى •

ولكن المشكلة الاخيرة وهى مشكلة تفرد الوقائع التاريخية هى المشكلة الخاصة والمميزة للمنهج التاريخى فالمنهج العلمى هو فى جوهره او اساسه عملية تعميم فالعالم

يصيغ فرض حلول موقف معين ثم يختبره فى هذا الموقف • ثم يحاول اختبار الفرض ثانية وأخرى فى مواقف مماثلة • ولتحقيق هذا العمل نجد انه من الواجب عليه أن يجد المواقف المتماثلة • ولكن هذه المحاولة ليست بالسهولة فى التاريخ كما هو الحال فى العالم الطبيعى • فكل واقعة تاريخية يعتبر واقعة فريدة فى المعرفة التاريخية معرفة فردية أما المعرفة العلمية فهى معرفة اسمية وعلم الاجتماع كما أشرنا سلفا ، عليه أن يجد المواقف المتكررة لكى يكون علما ويمكن أن يتحقق ذلك وبسهولة من خلال التركيز على الحاضر دون الماضى • وكان ماركس فيبر هو عالم الاجتماع الذى بالرغم من انه قد ادرك تفرد الوقائع التاريخية ، فقد اراد ان يدرس هذه الحقائق على اساس سوسيولوجى وحاول ذلك من خلال اغفال الجوانب الفريدة للواقعة التاريخية لدرجة انه قد تمكن من الوصول الى تعميم حولها وبنفس الطريقة كان علماء الاجتماع فى دراستهم للعلاقات فى الجماعات الصغيرة يتجاهلون الجوانب الفريدة فى كعلاقة لكى يتمكنوا من دراسة سلوك الجماعة الصغيرة على أساس مجرد وكان المنهج الذى اختاره فيبر للوصول الى التعميمات حول التاريخ هو منهج ايجاد الابنية الفرضية التى أطلق عليها النماذج المثالية • لوجهة نظر ويصاغ النموذج المثالى من خلال التركيز على جانب واحد أو أكثر بواسطة التأليف بين عدد كبير ومتميز من الظواهر الفردية الواقعية التى تنظم وفق هذه الوجهات للنظر التى تؤكد على جانب واحد فى مفهوم مجرد موحد تحليلى •

وبالامكان بناء نماذج مثالية كثيرة ومتباينة بالنسبة لكل واقعة تاريخية بالرغم من أن فيبر اعتقد أن هذا العدد محدود الا انه لم يبرهن على ذلك واستخدام النموذج

المثالى يجعل من الممكن اجراء تجارب فى الذهن او العقل اذ امكن مثلا مقارنة النظام الرأسمالى الغربى بغيرها من نظم اقتصادية حتى يمكن بيان الجانب الذى تختلف فيه عن النموذج المثالى • وهكذا نزل رد فيبر الدراسة السوسيولوجية للتاريخ الى مستوى ادنى من مجرد البحث عن القوانين التاريخية الى مستوى أدنى للبحث عن التفسيرات للاحداث او الوقائع التاريخية المحددة •

ويمثل حواراوسيناريوكون مثال طيب على نموذج التفسيرات التى فكر فيها فيبر • وتمثل الصور المتباينة والمقبولة التى عبر عنها كون مثل الاكثر تكاملا والاكثر فوضى النماذج المثالية التى يمكن بواسطتها مضامين الافعال ولكن النموذج المثالى لا يمدنا بالحل للتغلب على مشكلة دراسة التاريخ • ذلك لان كل نموذج مثالى وعلى كل قانون تاريخى يتأثر بواسطة قيم الملاحظ فهو بذلك يعتبر عملا تعسفيا • مثل كل قانون تاريخى يعتبر عملا تعسفيا •

ثالثا ـ المنهج التجريبي (١)

ما المقصود بالمنهج التجريبي ؟ والى من ترد بداية استخدامه فى العلم عنها وعلم الاجتماع بوجه خاص وكيف تطور هذا الاستخدام من خلال أقطابه فى علم الاجتماع ؟ وما هى خطواته الأساسية ؟ ثم ما هى أهم مشكلاته ؟

---

(١) اعد هذا الجزء دكتور على عبد الرازق جلبى

تعريف المنهج التجريبي :

اذا كان المنهج الاستقرائي الذي يتدرج فيه الباحث من البسيط الى المركب ومن النتائج البسيطة الى النتائج العامة ، فانه يمكن لنا اعتبار الملاحظة والتجربة من أهم قواعد المنهج العلمي ذلك لانه اذا كان الباحث من خلال الملاحظة يقوم بفحص الظاهرة على ما هي عليه في الواقع ، ويكتفي بمشاهدتها والمقارنة بينها ، او بعبارة أخرى يصغي الباحث للطبيعة من خلال المشاهدة ليسجل عنها ما قد يتكشف له من صفات الاشيا • او العلاقات فيما بينها • فانه عادة مالا يكتفي او يقتنع بمثل هذا الموقف السلبي من الظواهر بقدر ما يدفعه ذلك الى المعرفة الدقيقة حولها الى التدخل في مجرى هذه الظواهر وتعديل الظروف التي توجد فيها حتى يستطيع دراستها في أنسب وضع أو بعبارة أخرى يدفعه ذلك الى المعرفة الدقيقة الى اتباع أسلوب منظم يستطيع من خلال التحكم في مختلف العوامل التي يمكن او يحتمل ان تؤثر في الظاهرة موضوع بحثه ، حتى يمكن له جمع البراهين والادلة على وجود العلاقة بين الأسباب والنتائج المرتبطة بموضوع هذا البحث او بعبارة أدق يدفعه ذلك الى المعرفة الدقيقة الى اتباع أسلوب التجربة أو المنهج التجريبي الذي يقوم فيه :

١ ـ بالتدخل في مجرى الظواهر وتعديل ظروفها •

٢ ـ التحكم في مختلف العوامل التي يحتمل ان تؤثر في الظواهر •

٣ ـ جمع الحقائق والبراهين والادلة •

٤ ـ استخلاص العلاقات (السببية ـ الاقتران ـ الاختلاف) او التحقق من الفروض •

بداية استخدام المنهج التجريبي
وتطوره في دراسة المجتمع

ترد بداية استخدام المنهج التجريبي الى خارج نطاق دراسة المجتمع ، حيث قدم جون ستيوارت مل طريق استخدام هذا المجتمع في نطاق العلوم الطبيعية ، وذلك من خلال توضيحه للطريق الممكنة في اقامة البراهين والادلة على أساس تجريبي والتي حصر أهمها في طريقة الاتفاق Agreement وطريقة الاختلاف deference وطريقة التغير النسبي variance concomitent والتي تتلخص أولها فى انه اذا اتفقت حالتان او اكثر للظاهرة المراد بحثها في ظرف واحد فقط ، فهذا الظرف الوحيد الذي تتفق فيه جميع هذه الحالات يمثل السبب في هذه الظاهرة •

ويدل معنى الطريقة الثانية (الاختلاف) على أنه اذا اشتركت حالتان أو أكثر للظاهرة المراد بحثها في ظرف واحد فهذا الظرف الوحيد المشترك الذي تخلف فيه جميع هذه الحالات يمثل السبب في هذه الظاهرة • ويشير معنى التغير النسبي الى أن الظاهرة التي تتغير على نحو ما كلما تغيرت ظاهرة اخرى على نحو خاص ، تعد سببا او نتيجة لهذه الظاهرة او مرتبطة بها بنوع من العلاقة السببية •

ولما كان المنهج التجريبي من بين أكثر المناهج دقة وانتشارا في العلوم الطبيعية ، وكانت رغبة علماء الاجتماع ودارسي المجتمع في أن يتشبه علمهم بالعلوم الطبيعية ، هي التي دفعت الى ظهور التجارب واستخدام المنهج التجريبي في نطاق علم الاجتماع ، ولكن نظرا للصعوبات والمشكلات العديدة التي يواجه تطبيق هذا المنهج

فى دراسة المجتمع ، انحصر نطاقه وضاق استخدامه الى درجة قد يظن البعض معها انه ليس هناك تجارب فى علم الاجتماع .

والواقع أن التجارب فى علم الاجتماع قد أجريت بطريقتين أو بنمطين اثنين . النمط الأول للتجارب او النموذج اجرى على نطاق أكبر فى احد فروع علم الاجتماع المعروف باسم علم اجتماع الجماعات الصغيرة ، اذ لا يثير ميدان الجماعات الصغيرة مشاكل علمية يصعب حلها أثناء الدراسة وعلى الرغم من أن المشاكل الاخلاقية تظل قائمة الا انه يكون من السهل دراسة او تناول التغير فى الجماعات من خلال بيان أثر متغيرات داخلية أكثر من تناول التغير فى المجتمعات الاكبر . هذا ما ظهر فى كتابات .

وأصبح النموذج الثانى من التجارب ممكنا حديثا فقط مع ابتكار وادخال نظم الاجهزة الحاسبة Computer فى البحث السوسيولوجى .

وبالإمكان دراسة المجتمعات بهذه الطريقة من خلال تجريد المتغيرات وبيان كيف تتفاعل هذه المتغيرات داخل النموذج القياسى بفكرة النسق . وفكرة تجريد المتغيرات من مواقف فريدة أو فردية وتناولها على نحو مستقل عن السياق كان (سيمل) قد بدأها لأول مرة عام ١٩٠٢ فى بداية القرن العشرين ولكن الأثر الكامل لهذه الفكرة عليه ان ينتظر حتى يتم الاستعانة بالاجهزة الحاسبة فى هذا الميدان على نطاق واسع . ويكفى فى هذا المقام ان نوضح استخدام المنهج التجريبى فى دراسة المجتمع على يد مابيو وبيلز كأمثلة على تطور استخدام هذا المنهج فى دراسة المجتمع .

فلقد كانت دراسة التون مايو وزملاؤه نوعا من البحث الأمريكى الذى أكسب مكانة هامة فى علم الاجتماع ، حاولوا فيها التحكم فى المتغيرات التى تؤثر فى سلوك الجماعة ، وادخلوا متغيرات جديدة فى التجربة بهدف التحقق منها وكانت دراساتهم هذه قد أجريت فى مصنع هاوثورن التابع لشركة وسترن اليكتريك ... واذا كانت دراسة مايو توضح أثر الجماعة على الفرد ، فأننا نجد بحوثا أخرى فى علم الاجتماع أهتمت بالجماعة ذاتها حيث طور موريتو Moreno أسلوبا لقياس انماط الصداقة فى الجماعات - واشتهر هذا الاسلوب باسم القياس الاجتماعى .

واستطاع بيلز Bales حديثا جدا ان يطور دراسة الجماعة من خلال تناول العمليات التى تحدث داخلها فباستخدام دليل للملاحظة أسهم بدوره فى تطوير النظرية السوسيولوجية .

التون مايو :

كانت أول محاولة للدراسة فى هاوثورن من جانب ادارة المصنع لمعرفة أثر الاضاءة على الانتاج الصناعى . حيث بدأوا عام ١٩٢٤ تجربتهم التى قاموا فيها بزيادة الاضاءة فى ثلاثة أقسام بالمصنع تدريجيا . وعندما لم يجدوا أى - علاقة واضحة بين التغيرات فى الاضاءة والانتاج ، قرروا تعديل اجراءاتهم التجريبية عن طريق استخدام فكرة الجماعة الضابطة . حيث قاموا نتيجة لذلك بتقسيم العمال الى جماعتين لهما نفس الخبرة ، سلطوا على واحدة منهم اضاءة مستمرة وعرضوا الاخرى لاضاءة متغيرة . ولاحظوا ان الانتاج فى الجماعات قد ارتفع واستخلص الباحثون نتيجة مؤداها انهم لم يقوموا بالتحكم فى متغير

الاضاءة بالدقة النائية والافضل استبعاد ضوء النهار • ومرة ثانية زاد الانتاج فـــــى الجماعتين التجريبية والضابطة • وأخيرا اختار الباحثون فتاتين اثنتين وزاد والاضـــاءة وزادوا الاضاءة عليهما حتى مستوى معين لم يتعدداه ومع ذلك قررت الفتاتين اثنا الاضاءة زالمحافظى هذا المستوى وانهم رأوا تغيير كهربائى فى المصابيح • والحقيقة انه قد تــــم تغيير المصابيح ووضع أخرى مكانها من نفس الشدة ومع ذلك قررت الفتيات ان الاضــــاءة زادت • واتبع نفس الاجراء فى خفض الاضاءة ، وظل انتاج الفتيات كما هو بدون تفســـير خلال التجربة • وقرر الباحثون بناء على نتائج هذه التجربة فى مصنع هاوثورن أولا ، ان الضوء يمثل أقل العوامل المؤثرة فى الانتاج ، وثانيا ـــان تجاربهم لم تكن من النجاح لانهم لم يستطيعوا التحكم فى كل المتغيرات المحتمل أن يكون لها تأثير • ولذلك قـرروا دراسة جماعة صغيرة من العمال ليتمكنوا من تحقيق أكبر قدر من الضبط والتحكم فــــى المتغيرات ولذلك استعانوا ومايو من جامعة هارفارد ، الذى ساعدهم فى تنظـــــيم دراستهم حول غرفة تجميع الاسلاك باستخدام المناهج التجريبية وكان لهذه الدراســـة اهميتها فى تطوير طريقة التجربة فيما بعد • ولما كان لنتائج هذه التجربه اهميتها فى هذا الصدد كان من الضرورى النظر الى هذه النتائج حيث انتهى الباحثون الـــى أن اتجاهات العاملين وليست بيئتهم الفيزيقية هى التى تؤثر فى الانتاج ونتيجة لذلـــك قاموا بأجراء برنامج للمقابلات او الاستفسارات من خلالها شجعوا العمال على الحديث حول عملهم • وكان من نتيجة هذه المقابلات ان لوحظ ان جماعات العاملين تقـــــوم بتحديد معدل الانتاج بالرغم من أنهم يحصلون على مكافآت أو حوافز فى مقابل كـــــل زيادة فى الانتاج • ومن هنا فكر الباحثون فى دراسة هذه الظاهرة باستخدام طريقـــة

الملاحظة وتوصلوا الى ان التنظيم غير الرسمى يؤثر الى حد كبير فى انتاجيه العاملين .

وكل هذه المحاولات السابقة وغيرها توضح ان الباحثين فى كل رحلة كانـــوا يختبرون أحد الفروض التى تصوروا أنها تقدم تفسيرا لزيادة أو انخفاض الانتاج ، مثل أثر الظروف الفيزيقية وتقليل رتابة العمل ، وزيادة الاجر وأثر العوامل الاجتماعية ... الخ . وانتهوا الى أن الفرض الاخير هو الذى يثبت كتفسير لظواهر ارتفاع وانخفاض الانتاج .

وهكذا كانت مايو وزملاؤه من الأهمية فى مجال تنمية استخدام المنهج التجريبى فى علم الاجتماع ، لانها دللت على امكانية التحكم فى المتغيرات فى المواقف الانسانيـــة وامكانية ادخال متغيرات جديده . هذا فضلا عن ان هذه التجارب قد حفزت باحثـــون آخرون فيما بعد من أمثال : جريس ، وجولدز ، ودالتون ، وروى ، وغيرهم .

روبرت بلـز :

ويتجلى فى أعمال بيلز التكامل الواضح بين النظرية والبحث ذلك لانه قد اهتم بالموقف الانسانى والافعال التى تحدث داخله ، باعتبارها تصدر عن مشاركين يربطـون أفعالهم ببعضها بالآخر ، او يقاومون أفعال غيرهم ، وأقام تصميمه التجريبى بناء علـى وجهة النظر هذه . حيث كان يجمع فى تجاربه المشاركين مما يهدف التجربة ويعطـى لكل واحد منهم رقم مميز . وكان يستبعد خبراتهم السابقة على دخولهم غرفة التجربـــة كلية . وكانت فئاته التى يستخدمها فى الدراسة السلوك يشتقها من هذه النظريـــة أو التصور مباشرة وهى نظرية تعرف باسم نظرية الفعل Action التى سبق أن طورهـــا تايكوت بارسونز والتى تصور فيها ان كل نسق اجتماعى يواجهه ستة مشاكل وظيفية يمكـن

أن يعبر عنها بواسطة احدى عشر فئة من الفئات التى يمكن استخدامها فى ملاحظـــة السلوك : التضامن ،التوتر ، ... ، الاقتراح ، الرأى ، المعلومات ،... الخ .

وعندما بدأ بيلز يجرى تجاربه وجد أن الملاحظين لا يتمكون من الالـــتزام بالعدد الكبير من الفئات التى حددها لهم الامر الذى اضطره الى تقليل عددها ،وكان بيلز يطبق طريقته هذه للملاحظة فى معمل للبحث الاجتماعى ، يجمع فيه المشاركين فـى التجربة ، ويقف الملاحظين خلف مرآة زجاجية توضح ما يحدث بين المشاركين امـــــام الملاحظين بدون أن يدرك المشاركين وجود الملاحظين ، الذين يستطيعون سماع مما يدور بينهم من احاديث والذين قد تلقوا تدريب كافيا على اجرا مثل هذه الملاحظـات وما يحدث من أفعال لفظيه وغير لفظية ثم تصنيفها فى الفئات المذكوره ، ثم تسجيل كل ذلك ، فى سجل مبسط يضم قائمة العينات واعداد المشاركين وتكرر التجربة للتأكد مـن ثبات النتائج من خلال المقارنة بين كل منها والواقع ان فائدة هذه الطريقه اتضحت فـى امكان استخدامها فى دراسة كل انواع الجماعات وفى مواقف متباينه من حيث بناء الجماعـة ووظائفها وانماط التفاعل والقيادة وغيرها .

مشكلات المنهج التجريبى :

يعتبر المنهج التجريبى بمثابة منهم العلم وكانت طريقة التباين differnce من أكثر الطرق انتشارا فى تطبيق المنهج التجريبى . ويتضمن ذلك أن يكون لدينـــا موضوعين أو وحدتين objects أو سائلين Fluids أو جماعتين من الناس يتماثلان بالدقة والتحديد من كل الجوانب الهامة . ويدخل على واحد من هذين الموضوعـين أو

الجماعتين او السائلين موضوع البحث عاملا جديدا • والتغير الذى يحدث فى هـــذا الصدد ـ يتفجر الهدف او يتغير لون السائل ، او تصبح الجماعة من الناس ميالة الى العنف Violent تقارن بالمظاهر (بالموضوعات) الاخرى التى لم يضاف اليها العامل الجديد وأى اختلاف بين الاثنين يمكن ارجاعه الى هذا العامل الجديد • والجماعــة او الموضوع التى ادخل عليها فى الواقع العامل الجديد يطلق عليها اسم الجماعـــــة التجريبية ، والاخرى التى لم يدخل عليها هذا العامل تسمى المجموعة الضابطة والواقع أن المشكلات المتضمنة فى هذا الاجراء من أنواع ثلاثة التأكـــد من ان الموضوعــــات المتناولة فى التجربة متشابهة متماثلة فى كل الجوانب الهامة ، ترتيب الموضوعات المتناولة فى التجربة فى جماعه تجريبيه وأخرى ضابطه قياس التغير الذى يحدث واول هـــــذه المشكلات ، صعوبة التأكد من ان الجماعتين متماثلتين تعتبر واحده من المشكلات التى لا يمكن حتى فى العلوم الطبيعيه حلها تماما • فلقد يوجد هناك اختلافات بـــين عينتين كيمائيتين ، لا يستطيع الباحث الكشف عنها بالرغم من كل محاولاتهم فى تنقيـــة أو تخليص هذه العينات من أثر هذه الاختلافات • وبامكانهم فقط ان يقولوا ان العينتين مجرد متماثلتين عندما تكشف ادواتهم انه لا يوجد اختلاف بينهما ، ولكن عدم وجـــود الاختلافات قد يعنى او يرجع على عدم دقة ادواتهم او نظرياتهم اكثر من اى تماثـــل حقيقى •

وهذه مشكله حادة فى العلوم الاجتماعيه والتى تفتقر الى نماذج نظرية قياسيــة واضحة peradigm توجه او ترشد الباحثين وتساعدهم على تقرير ما الذى يتجاهلونه

او يفضلونه او ما الذى يحاولون غيبه • ويعرف عالم الطبيعه الذى يدرس المغناطيسية الكهربائيه انه يستطيع تجاهل أمر تزين العازل البلاستيك plastic insulation على الاسلاك ولا يكون عالم الاجتماع الذى يفتقر الى نظريه ناميه او متطوره مثل عالـــم الطبيعة متأكدا ما اذا كان عليه ان يتجاهل الحقيقه القائله بأن احد جماعاته الضابطـة جذابه ذلك ان الفتاه قد تحصل على تقديرات عاليه كدرسه لانها جذابه أكثر منها ماهره ثانه من الصعب التحكم فى كل الجوانب • وهكذا يتحكم او يضبط العلماء تلك العوامـل التى يعرفون انها هامة بناء على فهمهم النظرى ـ ويجد عالم الاجتماع نتيجه لافتقـــاره الى النظريه الواضحه والتى لا تثير الخلاف undisputed عليه الضبط التجريـــبى بالغة الصعوبـــة •

والواقع ان هناك منهجين اثنين للتأكد من ان الجماعات الضابطه والتجريبيه متماثلتين فى البحث الاجتماعى • الأول هو استخدام العينات المتماثله Matchal على ضوء المتغيرات مثل الاجتماعيه والنوع (ويحدد التباين من خلال اجـــراء مسح على الافراد ثم المقارنه بينهم بعد ذلك عن طريق تحديد او تعيين او تخصيـــص بعض الرموز التى تتوافر لدى هؤلاء الأفراد أعضاء الجماعات) وهذا الأسلوب فـــى تناول الحقائق او المتغيرات مثل التجربه expost facts exper ناقشناه فى الفصل الثانى • والخطوه او المنهج الثانى هو التوزيع العشوائى للافـــراد على الجماعات • وبهذه الطريقه يسلم المرء بأن كل المتغيرات قد وزعت على أســـاس عشوائى فى كل جماعه ولذلك فان كلها متشابهه او متماثله • وهذه الطريقه تكون جذابة حينما لا يكون المرء متأكدا أى المتغيرات له أهميتـــه •

والمشكله الثانيه الناجمه عن او المترتب على عمليه توزيع الافراد على جماعتين اثنتين هى مشكله عمليه واخلاقيه . راذا قام احد الاشخاص بتوزيع الافراد على جماعتين واخبر احداهما بأنهم يكونون جماعه ضابه ، فان بعضهم قد لا يوافقون على أن يكونوا عكذا وبالتالى قد يؤثر هذا على نتائج التجربه . ومن ناحيه أخرى ، اذا قام الباحث بتوزيع الأفراد على الجماعات بدون أن يخبرهم هنا قد تظهر مباشره المشاكل الاخلاقيه الناجمه عن تناول او التفاعل مع الكائنات الانسانيه . (وتناول عينه او رموز من الأفراد فى التجربه البعديه expost factes لا تجنبنا هذه المشكله الاخلاقيه) وتناول الكائنات الانسانيه كرموز يدل فى ذاته على تقليل من شأن الانسانيه debumamising

والمشكله الثالثه ، المذكوره سلفا ، والمتعلقه بالقياس ، يترتب عليها صعوبات دقيقة فى العلوم الاجتماعيه وعدم توفر النموذج القياسى النظرى يجعل من الصعب علينا ان نقرر اى المتغيرات يجب قياسها وكيف نقيسها كما تجعل من الصعب علينا ان نحدد اى المتغيرات يجب التحكم فيها او ضبطها لكى تكون جماعتين متماثلتين . والشىء الاكثر أهميه ان القياس يضطر عالم الاجتماع ان يواجه احد التحديات الاساسية لعلم الاجتماع ففى عمليه القياس ، يغير عالم الاجتماع ما يقوم بقياسه . ذلك لأن وجوده او وجود أدوات القياس تغير السلوك الذى يدرسه واستخدام الادوات غير المباشره قد يجنبنا هذا الشك على المدى القصير بالرغم من انها قد تثير المشاكل الاخلاقيه ، ولكن على المدى الطويل تصبح المعارف التى يتوصل اليها عالم الاجتماع متقاسمه بين غيره وقد تغير سلوكه . وهذه هى المتناقضه الاساسيه التى تجعل العلوم الاجتماعيه مختلفه عن العلوم الطبيعيه .

والواقع أن المشاكل الاخلاقيه والعمليه المتضمنه في التجارب تعتبر مشاكـــل دقيقه • ويستخدم المصطلح تجربه هنا بالمعنى المستخدم في العلوم الطبيعيه وهنـاك يستخدم طريق الاختلاف difference على نطاق واسع وتعتبر طريقه المسح الـــتي تتناول فيها الحقائق قبل التجربه expost والمنهج المقارن الذى يتناول الاحـداث التاريخيه كلها محاولات لاجراء التجارب على الجماعات الكبيره • وليس من المدهـــش القول بناء على التصور العلمي الطبيعي الدقيق انه لا يمكن ان تكون هناك تجارب علـى الجماعات الكبيرة من الناس نقد تفسد المشاكل العمليه المتعلقه بالمتغيرات المضبوطـــه او التي يمكن التحكم فيها اى محاوله من هذا النوع وحتى اذا كان هناك مبرر اخلاقـــى لمثل عمليه التجريب هذه •

الفصل السادس

طرق البحث الاجتماعي مع تمارين تطبيقية

أولا : الطريقة الاستاطيقية وتمارين تطبيقية

ثانيا : طريقة القياس الاجتماعي وتمارين تطبيقية

ثالثا : طريقة تحليل المضمون وتمارين تطبيقية

رابعا : طريقة البيانات الجاهزة

خامسا : طريقة دراسة الحالة وتمارين تطبيقية

سادسا : طريقة المسح الاجتماعي وتمارين تطبيقية

تمهيـــــد :

وجدنا من الضرورى ان نقدم تحليلا مستفيضا لأنواع الطرق المتداولة والمعروفة فى البحث الاجتماعى حتى يتوافر امام الطالب رصيدا عن المعرفة حول طرق البحث يمكـن له أن يفيد منها فى انتقاء طريقة مناسبة للبحث يضمنها التصميم الذى يضعه لتناول موضوع بحثــــه .

ولما كنا قد فرغنا من توضيح المقصود بطريقة البحث عند تحليلنا للمفهومـات الأساسية فى البحث الاجتماعى فى الفصل الاول ، وانتهينا أثناء ذلك من توضيح الفـارق بينها وبين منهج البحث وادواته ، كان تحليلنا لطرق البحث هنا فى الفصل الحالـــى ، يتصرف نحو تحديد الطرق المتداولة فى البحث ، وبيان حدود كل واحد منها ، ــ واستخداماتها وأساليبها وخصائصها ومميزاتها وعيوبها ، وينصب هذا التحليل فى عمومه وجملته على الطرق الاسقاطية والقياس الاجتماعى وتحليل المضمون وتحليل البيانـــات الجاهزة ، ودراسة الحالة والمسح الاجتماعى ، باعتبارها من أهم طرق البحث وأكثرهـا استخداما فى البحث الاجتماعى .

أولا ــ الطريقة الاسقاطيـة* Projective technique

وهى طريقة فى البحث ابتكرها علماء النفس والطب النفسى الذين يهتمـــون بتشخيص وعلاج المرضى الذين يعانون من الاضطرابات الانفعالية خاصة ، وأصبحت هـى الطريقة المناسبة فى هذا الصدد ، برغم انها تحتاج الى تدريب متخصص ومتعمق .

---

* اعد هذا الجزء دكتور على عبد الرازق حلبى

تعريف الطريقة الاسقاطيــــة :

يقصد بالطريقة الاسقاطية تلك الوسيلة غير المباشرة في دراسة الشخصيــة ، والتي يعرض من خلالها على الفرد المبحوث بعض المثيرات الغامضة والمبهمة وغير المتشكلة مثل بقع الحبر والصور غير المرتبة والجمل الناقصة أو غيرها . ويطلب من المفحوص أن يستجيب اليها . بحيث تصدر استجابته في صورة صفات وتفسيرات لهذه المثيرات تعبر عن حاجاته ودوافعه ونزعاته ورغباته وميوله أكثر مما تعبر عن المثير الموضوعي ذاته أو الأشياء المبهمة المذكورة سلفا .

وسائل الطريقة الاسقاطيـــة :

تعتمد الطريقة الاسقاطية على وسيلة محددة هي أسلوب الاختبار Test وقد ظهرت الاختبارات الاسقاطية في تراث البحث الاجتماعي في صور متعددة . نذكر منها الاختبارات المصورة مثل اختبار تفهم الموضوع T.A.T. واختبار بقع الحــــــبر (الرورشاخ) واختبارات لعب الاطفال والاختبارات السيكودرامية والسيسيودراميـــة والاختبارات اللفظية . مثل اختبار الجمل الناقصة وهكذا .

ويقصد بالاختبارات المصورة أو اختبار تفهم الموضوع ذلك الاختبار الذي يتكون من عدد من الصور التي تعبر عن بعض المواقف الغامضة والتي تعرض على المفحـــوص بطريقة غير مرتبة . ويطلب منه ان يكتب باختصار تصوراته او ... عما تمثله كل صورة منها .

كما يقصد باختيار بقع الحبر وهو من أكثر الاختبارات شيوعا ويعرف باسم اختبار الرورشاخ ويتكون من (١٠) بقع حبر مطبوعة على (١٠) كروت منفصلة . تعرض تباعا على

المفحوص ثم يطلب منه ان يقدم تصوراته عما يمكن أن تمثله كل صورة منها •

ويقصد باختبارات لعب الاطفال ، تلك المجموعة من الدمى او العرائس التى تستخدم فى التعرف على الاتجاهات بين الاطفال والتى يطلب من الاطفال بصددها تمثيل بعض المشاهد التمثيلية التى تلعب فيها كل دميه منها دورا يظنه أو يعتقد فيه الطفل وهكـــذا •

ومن الاختبارات اللفظية ، اختبار تكميل الجمل وفيه يعرض على المفحوص سلسلة من الجمل الناقصة يطلب اليه ان يقوم بتكملتها على النحو الذى يتصوره ••• الخ •

خصائص ومميزات الطريقة الاسقاطيـــة :

تتميز الطرق الاسقاطية فى البحث بأنها من أجدى الطرق التى ابتكرت للتغلب على عدد من الصعوبات :

أ ــ عدم رغبة بعض الافراد فى مناقشة بعض الموضوعات مع غيرهم •

ب ــ عدم رغبتهم فى الكشف عن أخص المعلومات المتعلقة بحياتهم •

جـ ــ استنكارهم أو رفضهم التعبير عن اتجاهاتهم الحقيقية نتيجة لاعتقادهم بأنهـا اتجاهات غير مقبولة أو لانهم يعجزون عن الافصاح عنها او يجدون حرجا فـى الكشف عنها او نتيجة للخوف او الرهبة من معرفة الاخرين بهـا •

ولما كانت هذه الصعوبات تمنع المبحوثين من التعاون المباشر مع الباحـــثين أبتكرت الأساليب الاسقاطية والمثيرات المبهمة كطريقة غير مباشرة يساعد تعرف الباحث

على ادراك المفحوص لهذه المثيرات ، وعلى فهمه للمعنى الذى يعطيه المفحوص لهذه المثيرات ، والطريقة التى يتناول وينظم بها هذه المثيرات ، ثم تفسير الباحث هذا الادراك والمعنى وطريقة التنظيم يساعده على الوصول الى وجهات نظر المفحوص عن العالم والوقوف على بناء شخصيته والتعرف على حاجاته ومشاعره وأسلوب تفاعله مع الآخرين وهكذا .

استخدامات الطرق الاسقاطيــة :

وبناء على الخصائص والمميزات للطريقة الاسقاطية يمكن الاشارة الــى بعض استخداماتها على النحو التالى :

تستخدم الطريقة الاسقاطية فى دراسة الشخصية من حيث دوافع الشخصيــة والرغبات الشخصية والحاجات والنزعات .

كما تستخدم فى دراسة السلوك الاجتماعى والعلاقات الاجتماعية ، وبالمثـل تستخدم هذه الطريقة فى دراسة الاتجاهات الاجتماعية والقيم .

عيوب الطريقة الاسقاطيــة :

وبالرغم من أهمية الطريقة الاسقاطية كما يدلل على ذلك خصائصها واستخداماتها الا انه يمكن الاشارة الى أحد العيوب الاساسية التى تؤخذ على مثل هذه الطريقــة ذلك انه اذا كانت هذه الاختبارات تقوم على افتراض مؤداه : ان الصفات والتفســيرات التى يفردها الفرد المبحوث الى المثيرات المبهمة والغامضة انما تصدر وتعبر عن حاجاته وميوله ورغباته واتجاهاته الشخصية الامر الذى يلقى بطريقة غير المباشرة الضوء على بنـــا ء

شخصيته ، فان هذه الطريقه يمكن ان تسهار من أساسها الاغراض هذا ، اذا علمنا أن الموقف الخارجي الذى يوجد فيه الفرد المبحوث قد يؤثر لدرجه كبيرة على استجابته للمثيرات المبهمة وعلى التفسيرات والاوصاف التى ينسبها الى هذه المثيرات •

التمارين والاجراءات العملية للطريقة الاسقاطيـة Projection*

١ ـ التمرين المقـترح :

يمكنك اجراء بحثك على مجموعة من عشرة أشخاص من المراهقين من كلا الجنسين لمعرفة جوانب شخصية المراهقين وبنائها وحاجاتها ومشاعره وقيمه واحتياجاته العاطفيـة والضغوط النفسية وصراع القيم ومفهوم الجنس لديه ••• الخ •

ويجب التنبيه بأن استجابة المراهق لا يمكن أن توصف بأنها صواب أو خطأ ولكن هذه الاستجابه تكشف عن ادراكه للمثير أو المعنى الذى يصبغه عليه والطريقة الـتى ينظر بها الى احتياجاته ودوافعه ومن ثم فهى تكشف عن نظرته الى العالم وعن بنـاء شخصيته ونظرته الى نفسه والى طريقة تعامله مع الاخرين خاصة الجنس الاخر •

ويمكنك دراسة جماعة من المراهقين اما فى مدرسة ثانوية (بنين أو بنـات) أو من أحد النوادى أو الساحات الشعبيه •

٢ ـ الاجراءات العمليـة للقيام بتمارين الطريقة الاسقاطيـة :

أ ـ قبل الذهاب الى الميدان :

(١) تذكر ان المثير (سواء كان صورا أو جملا أو الفاظا ••• الخ) قد صمم أصلا

* أعد هذا الجزء دكتور محمد احمد بيومى

لأن يوحي للمراهق بمعان تختلف عن المعنى الذى صمم من أجله .

(٢) كذلك يجب ان تكون مدركا بأن مهمتك الأساسية هى الحصول على بيانات قد يشعر المراهق بالحرج أو الخوف من التعبير عنها لما لها من حساسية لـــه أو بالنسبة لقيم المجتمع عامه .

(٣) كثيرا من آراء المراهق واتجاهاته غير محددة ولا يستطيع التعبير عنها بوضوح . كذلك كثيرا من مشاعره ومشاكله النفسية تنتمى الى دا اللاشعور . لذلـــك يجب أن تكون على دراية كافية بالأساليب الخاصة بالتحليل النفسى وميكانيزمات الشخصيـــة .

(٤) يمكنك الاستعانة بمجموعة من الاختبارات مثل :

أ ـ اختبار رورشاخ : والذى يتكون من بعض بقع الحبر التى لا تعنى اشكالا معينـــة أو محددة وتعرض هذه الصور على المراهق ويطلب منه ان يذكر ما يراه من أشكال وبطبيعـة الحال فان كل استجابه من المراهق يجب أن تكشف عن الحالة النفسية التى يعانيهـــا المراهـــق .

ب ـ اختبار فهم الموضوع : ويعرض فيه للمراهق صور معينه ويطلب منه أن يذكر ما توحـى به هذه الصور له ويجب فى هذه الحالة أن يتضمن هذه الصور صورا للجنس الآخر ومواقف تعبر عن العلاقة بين الرجل والمرأة .

ج ـ اختبار تداعى المعانى : وفيها يعرض على المراهق عدد من الكلمات ويطلب منه أ ن

يذكر أول كلمة أو فكرة تخطر له عند سماع كل كلمة مثلا اذا قيل له او أى ما هو أول شيء يخطر على ذهنه أو الأب . . . أو الأم أو العلاقة الجنسية . . . الخ .

د ـ اختبار تكميل الجمل : وفيها يعرض للفرد جمل ناقصة ويطلب منه ان يكملها فى وقت محدد مثل اذا وضعت العبارات الاتية امامه مثل :

ـ العلاقة بين الرجل والمرأة هى . . . .

ـ الحب بالنسبة للرجل هو . . . . .

ـ . . . . الرجولة هى . . . . .

هـ ـ اختبار المعلومات : وفيها تصمم اسئلة للمراهق تبدو فى ظاهرها انها تقيس معلومات الفرد ولكنها فى نفس الوقت تكشف عن اتجاهاته .

و ـ اختبارات الاستدلال : وفيها يوجه اسئلة مجردة يتعلق بعضها حول بعض الموضوعات التى يراد الكشف عنها عن طريق الاستدلال المنطقى عن اتجاهات المراهق نحوها .

ز ـ اختبار الحكم : وفيها يطلب منه ان يحكم على أوضاع أو مواقف معينة أو رأيه فى الآخرين وذلك من أجل الكشف عن اتجاهات المراهق نحو المشاكل والمواقف التى يواجهها .

(٥) كل هذه الاختبارات تحتاج الى باحثين مدربين ومتخصصين فى تفسير البيانات . ويجب أن يقوم الباحث بأعداد مفتاح للاجابات حتى يدرك المعنى أو الهدف الذى من أجله صمم المثير أو السؤال وتوقعات الاجابة ودلالة كل منها بالنسبة للباحث . وهنا يستعين الباحث باخصائيين نفسيين ومحللين نفسيين حتى يتأكد من ثبات وصدق اختباراته .

ب ـ **في الميدان :**

١ ـ يجب أن تستعين بأحد الاخصائيين (في المدرسة) أو المشرفين (بالنسبة للنوادى) لأجراء البحث وتمهيد دخولك الى جماعة من الشباب في سن المراهقة (يجب تحديد الفترة التى تعتقد انها سن المراهقة وهى غالبا من ١٧ ـ ٢٢)

٢ ـ يجب أن تعطى فكرة عامة عن البحث واحذر أن تعطى الفكرة الأصلية للبحث لأن ذلك سوف يؤثر فى استجابات المراهقين أو سخريتهم من البحث .

٣ ـ يجب أن تفصل الحالات الشاذة أو المثيرة للاستهجان وتحاول دراستها دراسة مفصلة أو يمكنك الاستعانة بطريقة دراسة الحالة .

٤ ـ قارن بين النتائج التى توصلت اليها بالنسبة لكل من الجنسين .

٣ ـ **عرض النتائج :**

يجب أن يشتمل التقرير النهائى (١٠ صفحات) على النقاط الاتية :

١ ـ عبارة موجزة عن المشكلة الخاصة التى تدرسها بالنسبة لاتجاهات المراهقين والتى تريد بحثها .

٢ ـ شرح تفصيلى عن الاختبارات التى صممت أو استعنت بها فى اجراء البحث .

٣ ـ تحديد الطرق والادوات التى استعين بها فى تدعيم الاستجابات .

٤ ـ مناقشة النتائج التى توصلت اليها صاغة فى الفاظ سيكوسيولوجية بالأضافة الى اقتراح أى فروض يمكن أن تكون موضوع دراسة تجريبية فى المستقبل .

٥ ـ يجب أن تبين الصعوبات التى واجهتك فى جمع البيانات وكيف أمكنك التغلب عليها .

٦ — يجب ان يرفق مفتاح للدلالات الخاص بالاستجابات وكيفية الصدق والثبات لهـــــا .

ثانيا : طريقة تحليل المضمون* Content analysis

ظهرت طريقة تحليل المضمون فى العشرينات الاخيرة من القرن الحالى كرد فعل للازدياد السريع فى حجم المادة التى تقدمها وسائل الاتصال الجمعى أو الجرائد والمجلات والافلام السينمائية وبرامج الاذاعة والتلفزيون ، والتى تهدف اما الى تعليم الجمهور أو تثقيفهم أو امتاعهم أو تسليتهم أو احاطتهم بما يجرى حولهم فى العالم من احداث ، بحيث تصب طريقة تحليل المضمون تحليلاتها على مادة هذه الوسائل التى يجدها الباحث جاهزة تحت يده ، اعتقادا منه بأنها تعكس جانبا كبيرا من المناخ الاجتماعى الذى ظهرت فى نطاقه ، وتصلح للاجابة على كثير من التساؤلات المتعلقة بالعناصر المتباينة لثقافة المجتمع ، والمقارنة بين ثقافة هذا المجتمع والمجتمعات الأخرى من حيث أوجه الشبه والاختلاف ، وتتبع التغير الثقافى من حيث عوامله ومظاهره ونتائجه وهكذا ..

ونحاول فيما يلى القاء الضوء على المقصود بتحليل المضمون ، ووسائل تحليل

---

* أعد هذا الجزء دكتور على عبد الرازق جلبى

المضمون ، وخصائصه أو مميزاته ، ثم استخداماته وعيوبه .

تعريف طريقة تحليل المضمون :

يقصد بطريقة تحليل المضمون عملية وصف محتوى وسائل الاتصال في صورة منظمة ، أو بعبارة أخرى تمثل هذه الطريقة أسلوبا في البحث يهدف الى الوصف الموضوعي المنظم والكمي للمحتوى الظاهر للاتصالات الجمعية وينطوي هذا التعريف على اشارة صريحة لمكونات طريقة تحليل المضمون ، والتي تتمثل في الوصف الموضوعي المنظم والكمي للمحتوى الظاهر للاتصالات ، بحيث لو أجرى هذا الوصف بمعرفة أكثر من محلل لتم التوصل الى نفس النتائج ، وان ينظم هذا الوصف على نحو يسمح باختبار فرض علمي أو يسمح بالتعميم وان يأخذ هذا الوصف طابعا كميا من خلال رصد تكرار عناصر مادة الاتصال وخاصة المحتوى الظاهر لها دون التطرق الى المقاصد الباطنية والمضمون الكامن لها .

وسائل طريقة تحليل المضمون :

تستعين طريقة تحليل المضمون بعدد من الوسائل أو الخطوات يمكن أن نحصرها فيما يلي :

- انتقاء عينة من مصادر مادة الاتصال (الجرايد ـ المجلات ـ الافلام السينمائية ... الخ) .
- انتقاء فترة زمنية محددة (فترة يغطيها أو سيستغرقها التحليل) .
- انتقاء وحدات التحليل (جوانب مادة مصدر الاتصال موضوع التحليل) .

ويقصد بانتقاء عينة من مصادر مادة الاتصال ، نحو تحديد مصادر مادة الاتصال وهل سيقتصر امر التحليل على مادة تجئ من مصدر واحد أو مصادر مختلفة وأى نوع من أنواع المصادر المنتقاة ستأخذ المادة ، هل من الجرائد والمجلات والافلام التى تدور حول موضوع معين أو موضوعات مختلفة وهكذا ..

ويقصد أيضا بانتقاء فترة زمنية محددة ، تحديد الفترة التى صدرت خلالها مصادر مادة التحليل ، هل هى فترة طويلة تستغرق سنوات أم فترة قصيرة تستغرق شهور أم مجرد فترة واحدة أو فترات متعددة وهكذا ..

كما يقصد بانتقاء وحدات التحليل ، قد يكون مادة مصادر الاتصال تتنوع بين الكلمة والرمز والمصطلح ، والموضوع والشخصية والمساحة والزمن . وكذلك عليه أن يحدد وحدة التحليل فى واحد منها أو أكثر ، وهل التحليل سيدور حول كلمات تظهر فى مصادر الاتصال ، أم على شخصيات ام على مساحات أعمدة أو سطور ، أم على فترات زمنية دقائق مخصصة لبرنامج اذاعى او تلفزيونى ام غيرها ، وهكذا ...

استخدامات طريقة تحليل المضمون :

تتعدد استخدامات طريقة تحليل المضمون ،وتتنوع بين مجرد الاستفادة منها فى وصف الاتجاهات الغالبة على مادة الاتصال وتطورها والمقارنة بين مستوياتها واتصال الجمهور عليها ، وبين التعرف على الاهداف التى تكمن وراء مادة الاتصال وبين الوقوف على الاتجاهات الاجتماعية والقيم والسمات الثقافية التى تعبر عنها مادة الاتصال ومحاور الاهتمام السائدة والتعرف على صور السلوك وغيرها .

عيوب طريقة تحليل المضمون :

تظهر عيوب طريقة تحليل المضمون اذا نظرنا الى حجم المشكلات التى يثيرها ذلك لأنه يصعب من هذه الطريقة ان يعرف الباحث الى أى حد يستمر فى التحليل الكمى لمادة الاتصال ، ومتى يستعين بالتحليل الكيفى باضافاته القيمة ؟

كما يصعب على هذه الطريقة تحقيق شرط الموضوعية لما يتطلبه ذلك من توفير الثبات بمعنى الاتساق بين المحللين المختلفين والوصول الى نفس النتائج باستخدام نفس فئات التحليل ، والوصول الى نفس النتائج اذا طبق التحليل على وحدات زمنية متباعدة ، ويصعب كذلك أن يكون اختيار فئات وحدات التحليل الكلمات أو الموضوعات أو الشخصيات أو غيرها على نحو يحقق شروط تمثيل العينة للمجتمع الاصلى وشمولها واعطاء كل وحدة فرصة متساوية للظهور فى العينة وهكذا مما يؤثر على عمليات تنظيم مادة تحليل المضمون .

هذا كله فضلا عن اخطاء التفسير والاستنتاج وتأثره بعوامل ذاتية تتصل بالباحث أو بغيره .

تمرين مقترح لتحليل المضمون* :

عليك أن تقوم بتحليل مضمون بعض مظاهر السلوك الجلسى على النحو الذى ورد به فى وسائل الاعلام . وأما عن المادة التى سوف تقوم بتحليل مضمونها فيمكنك جمعها بواسطة اختيار موضوع من الموضوعات التالية ، والقيام بعملية تحليل مقارن :

---

* أعد هذا الجزء دكتورة سامية محمد جابر

١ ـ القضايا الكبرى أو المسائل الاساسية التى ينهض عليها نوعين مختلفين من المجلات الشعبية المتداولة ، وانأخذ على سبيل المثال مجلتى : الاذاعة والتلفزيون والمصور •

٢ ـ نماذج الاخبار التى تستعرضها جريدتان يوميتان : كالأهرام والأخبار (مع الاهتمام بالمقارنة بين موضوعات الخبر) •

٣ ـ الموضوع الاساسى لأحد الأفلام الأجنبية (فيلم أمريكى أو فرنسى أو ايطالى) وأحد الأفلام المصرية •

٤ ـ الصور الكاريكاتورية فى مجلتين سياسيتين صورتا فى نفس الاسبوع •

٥ ـ ثلاث نشرات اخبارية تلفزيونية مدة كل منها ثلاثون دقيقة : أذيع اثنان منها أثناء الايام العادية بينما أذيعت الثالثة يوم العطلة الاسبوعية الرسمية •

٦ ـ التقاليع والموضات التى تستعرضها الاعلانات التلفزيونية والاذاعية والسينمائية موديلات الأزياء بالنسبة للذكور والاناث ، السلع الكمالية وأدوات التجميل والتزيين ، الأغذية المحفوظة وما الى ذلك •

وهذه هى مجموعة الخطوات التى يمكنك اتباعها لتحليل المضمون •

أ ـ قبل البـدء بالتحليل :

١ ـ أقم باختيار احد الموضوعات الواردة فى التمرين المقترح •

٢ ـ صياغة المشكلة (أو الفرض) التى تتيح لك فرصة اجراء المقارنة بين جماعتين

أو بين نوع بين من الأنشطة ، كالمقارنة مثلا بين الفترة الزمنية المخصصة للبرامج التعليمية ، والفترة الزمنية المخصصة للبرامج الرياضية في التلفزيون .

٣ ــ حدد مضمون المادة الذى تريد وصفه ، والفئات التى سوف تستخدمها ، هل تريد أن تقوم بدراسة : موضوعات ، حركات شغب وتمرد ...

٤ ــ حدد وحدة التحليل عندك : ما الذى سوف تعده ، هل هو كل الاعلانات الجديدة التى تتعلق بالازياء ، أم الاعلانات الملونة فقط ، كل الأخبار المتعلقة بالسلوك الجمعى ، أم تلك التى تختص بمعارضة الحروب ، ومظاهرات الطلاب ...

٥ ــ تم بتحضير بطاقة ترميز ، لتدون فيها البيانات التى تخطط لجمعها ، ويمكن أن تتخذ من الشكل التالى نموذجا لهذه البطاقة فى حالة تسجيل السلوك الجمعى الذى أشارت اليه النشرات الاخبارية التلفزيونية :

أمثلة للسلوك الجمعى
(فى النشرات الاخبارية بالتلفزيون)

	معارضة الحروب	المظاهرات وحركات التمرد	حركات نسائية
٣٠ ثانية			
٦٠ ثانيه			
٩٠ ثانية			
١٢٠ ثانية			

ب ـ فى عملية التحليـــل :

١ ـ فى كل حالة من الحالات تأكد أنك قمت بتسجيل كل أمثلة السلوك الجمعى (أو السلوك الايجابى فى التلفزيون والأفلام) التى تنطبق على دراستك . أما اذا كنت غير متأكد من مفردة معينة من مفردات السلوك الجمعى ، فدونها وقرر فى نهاية الأمر ما اذا كنت محتاجا الى وضع فئة جديدة لهذه المفردة ، أم أنه ينبغى حذفها أو الغاؤها . وفى كل حالة من حالات التحليل ، وخاصة اذا كنت تقوم بتحليل وثائق مكتوبة لا بد أن تحتفظ بسجل صغير يصور طريقة تحديد وترميز كل مفردة من مفرداتك . (فاذا كنت تقوم بترميز مجلات ، أو صحف ، أو اعلانات ، يمكنك أن تسجل الرمز على الوثيقة ذاتها ، وذلك بجانب كل مفردة قمت باختيارها ، ثم ادرجها فى البطاقة المخصصة لذلك . وهذا يسمح للنظير أن تراجع وقتك .)

٢ ـ لكى تقوم بترميز فيلم ، وتضمن درجة عالية من الدقة ، ربما يكون من الضرورى أن تشاهده مرتين أو ثلاث مرات . وبطبيعة الحال لا تسمع النشرات الاخبارية بذلك مالم تشاهد مقدمتها وملخصها . وربما يكون من الايسر (والادق) أن تقوم فى هذه الحالة بتحليل الوقت ، وذلك بواسطة حصر عدد الثوانى أو الدقائق التى استغرقها عرض موضوع أو مفردة معينة . وطالما أن الاعلانات التلفزيونية تعرض عدة مرات . فانها تكون يسيرة نسبيا عند ترميز مضمونها ترميزا دقيقا .

عرض النتائـــج :

اعرض نتائجك على نحو منظم وواضح ، بحيث تشتمل على العناصر الآتيـــة :

١ ــ قضية بختصر تصور مشكلتك ، ووسيلة الاتصال التى وقع عليها الاختيار ، ومادة الموضوع التى تفحصها ، والمقارنات التى تعتمدها .

٢ ــ عرض لنتائجك على شكل جدول . وينبغى أن تشتمل جميع الجداول على رؤوس موضوعات محددة بدقة وعناوين واضحة ودالة . ولا يفوتك أن تعرض النسب المئوية لكل مفردة .

٣ ــ اهميه النتائج التى يعرضها كل جدول من جداولك .

٤ ــ اقتراحات بشأن اجراء بحوث أخرى فى هذا الميدان .

٥ ــ قائمة ببعض المشكلات التى واجهتك فى حل التمرين ، وطريقة تغلبك عليها وكيف أن استخلاصاتك ونتائجك يمكن أن تكون ذات فاعلية .

ثالثا : طريقة تحليل البيانات المتوفرة :* Seconclary data analysis

السجلات الاحصائية والوثائق الشخصية : Statistcal data and Fersonal documentations

كان حرص الباحثين على الاقتصاد فى الوقت والجهد والامكانيات فى عملية البحث من أهم الدوافع التى جعلتهم يفكرون فى استخدام بيانات فى متناول اليد جاهزة ومعدة لاغراض غير أغراض البحث العلمى واخذت صورا متعددة من أهمها السجلات الاحصائية والوثائق الشخصية ، بحيث كان تحليل لبيانات التى توفرها هذه الأساليب من أهم طرق البحث الاجتماعى التى لها أهميتها واستخداماتها وخصائصها ووسائلها وعيوبها .

---

* أعد هذا الجزء دكتور على عبد الرازق جلبى

تعريف طريقة تحليل البيانات الجاهـــزه :

هى تلك الطريقه فى البحث التى تستعين بالبيانات التى توفرها السجـــلات الاحصائيه والوثائق الشخصيه ، بحيث تستعين بالسجلات الاحصائيه التى تصدر عـــن تعدادات السكان والمؤسسات الصحيه والاقتصاديه والحكوميه والصناعيه والتعليميـــه وغيرها والتى تنطوى على بيانات تتعلق بالسكان ونوعهم وأعمارهم وحجمهم ومهنهـــم والمستويات الصحيه والمواليد والوفيات والاجور وساعات العمل والكفايه الانتاجيه ومعدلات الجريمه ومعدلات التعليم وهكذا كما تستعين بالوثائق الشخصيه التى تصدر فى صور سير ذاتيه وخطابات ويوميات وغيرها والتى تنطوى أيضا على خبرات شخصيه واحداث تاريخيــه وغيرهـــا .

خصائص وميزات طريقه تحليل البيانات الجاهـــزه :

تعكس طبيعه البيانات التى تعتمد عليها هذه الطريقه بعض الخصائص والميزات الهامه، منها أن بيانات السجلات الاحصائيه مثلا قد تم جمعها على فترات متباينه الامر الـــذى يسهم بدوره فى جعل هذه البيانات تفيد فى الوقوف على اتجاهات التطور فى جوانـــب الحياه الاجتماعيه التى تعبر عنها هذه البيانات .

كما أن هذه البيانات قد جمعت فى المجرى الطبيعى لوقوع الاحداث مما يعكس موضوعيتها ، بالمقارنه بالبيانات التى يقوم بجمعها باحثون قد يؤثر وجودهم فى تعاون أفراد المجتمع وفى تحيزهم .

كما تتميز هذه البيانات بأنها تمنح الباحث فرصه التعامل مع ماده سبق جمعهـــا

تعبر عن وحدات كبرى في المجتمع كالقريه أو المدينه أو الدوله ككل ، وتعتمد على المجموع الكلي للسكان من خلال الحصر الشامل أو التعداد أكثر من اعتمادها على العينات مما يضفي عليها قيمه ودلاله في التفسير والتعميم .

استخدامات طريقه تحليل البيانات الجاهـــزه :

تتعدد استخدامات طريقه تحليل البيانات الجاهزه وتتنوع بين الاستفاده منها في التحقق من بعض الفروض العلميه وهذا ما حاوله دوركايم عندما حاول التحقق من الفرض القائل بالعلاقه بين الانتحار والتكامل الاجتماعي ، عن طريق تحليل السجلات الاحصائيه عن الانتماء بين الجماعات الدينيه الكاثوليك والبروتستانت وبين العزاب والمتزوجين وغيرهـــم .

وقد تستخدم أيضا السجلات الاحصائيه في استكمال بعض مراحل بحوث يجرى حول ظاهره معينه ، ولتكن مثلا ظاهره الجريمه بحيث تستخدم السجلات الاحصائيه في مرحله التعرف على حجم الجريمه واتجاهاتها ، وهكـــذا .

وتستخدم السجلات الاحصائيه كذلك اختيار حالات الدراسه تتميز بخصائص محدده يمكن اختيارها من بين عينه البحث الاكثر تعمقا ، ذلك ان هذه السجلات تفيد في التعرف على الخصائص المتباينه لجمهور السكان ، الأمر الذي يسهل معه اختيار حالات ضمن هذه الفئات المختلفه لتها بعض الخصائص المفضله في البحث .

كما تستخدم الوثائق الشخصيه في الوقوف على الخبرات المتنوعه في حياه الأفـراد

وتكوين صورة واضحة عن معالم الشخصية وخاصة الشخصيات البارزة ، وفى الاغـــراض الاستكشافية والوصفية وزيادة الاستبصار بموضوعات شخصية معينة .

عيوب طريقة تحليل البيانات الجاهزة :-

من أهم عيوب هذه الطريقة ، أن السجلات الأصلية قد تستخدم مفاهيم لاتتفق مع المفاهيم المستخدمة فى البحث .

وأن كثيرا من بيانات هذه السجلات مشكوك فيها وخاصة ما تعلق بالدخل وميل الأفراد فى هذا الصدد الى تقديم بيانات غير دقيقة تهربا من الضرائب مثلا .

كما يعاب على الوثائق الشخصية ، انها مغرقة فى الكذب وعدم امكانية اجـــراء معالجات احصائية لبيانات الوثائق ، وبالتالى يصعب معها اجراء التعميم .

رابعا : دراسة الحالــــة* Case Study

تعتبر دراسة الحالة من أقدم وأهم الطرق التى استخدمت فى البحث الاجتماعى لوصف وتفسير الخبرات الشخصية والسلوك الاجتماعى ، اذ ترجع بداية استخدام هـــذه الطريقة الى القرن التاسع عشر أو قبله بنحو من السنوات قليل ، حيث كان الانجليزى Ure أول من استخدم هذه الطريقة فى تناول الآثار الاجتماعية والاقتصادية الناتجة المترتبة على استخدام الآلات الميكانيكية ، ثم جاء فردريك لوبلاى Le play ليضفى على استخدام هذه الطريقة طابعا منهجيا منظما وذلك عندما استعان بها فى دراساته

* أعد هذا الجزء دكتور على عبد الرازق جلبى

عن اقتصاديات الأسرة وغيرها من العناصر الهامة في البناء الاجتماعي ثم وسع هربسوت سبنسر H. spencer من نطاق استخدام هذه الطريقة في البحث تشتمل جميع أكبر قدر من الوثائق الاثنوجرافية عن الانسان البدائي ، ثم دفع توماس وزنانيكي في دراستهم الفلاح البولندي في أوربا وأمريكا بهذه الطريقة الى الامام تقدمت دراستهم مثالا حيا على استخدام هذه الطريقة في البحث الاجتماعي وامكانياتها ومميزاتها وعيوبها •

تعريف دراسة الحالـــة :

يقصد بالحالة التي تخضع للدراسة فرد واحد أو موقفا اجتماعيا أو جماعة اجتماعية ، أو أسرة أو مجتمعا محليا ، ويكون المقصود بدراسة الحالة ذلك الأسلوب في تنظيم الحقائق والمعلومات التي يمكن الاستفادة منها في رسم صورة كلية لواحد من هذه الوحدات الممثلة لأنواع الحالات وذلك في علاقتها أجزائها بعضها بالبعض الآخر وفي وضعها في المحيط الاجتماعي والثقافي الذي توجد فيه •

وتحدد دراسة الحالة في قول آخر بأنها تركز على الموقف الكلي أو مجموع العوامل التي تساعد على وجود موقف معين تعيشه هذه الوحدة أو السلوك الذي اعتادته داخل هذا الموقف • ولما كانت دراسة الحالة تمثل أسلوب في تنظيم المعلومات من أجل توفير الصورة الكلية عن الحالة موضوع الدراسة ، كان هذا معناه أن دراسة الحالة ليست بالطريقة البسيطة في البحث وتكونها طريقة مركبة قد تعتمد على أكثر من أداة تعينها على تكوين هذه الصورة وعلى أكثر من اجراء في تنظيم المعلومات بصدد ها فليس من المستغرب اذن ان يستعين القائم بدراسة الحالة بأدوات مثل الملاحظة والمقابلة والاستبيان

والتحليل الاحصائى وغيرهـــا •

وسائل التحليل فى دراسة الحالـــة :

من وسائل التحليل التى ذاع استعمالها فى دراسة الحالة ما يعرف بتاريـــخ الحالة من ناحية وما يطلق عليه اسم التاريخ الشخصى للحياة من ناحية أخرى ولما كـان هناك فارقا أساسيا بين كل وسيلة من هذه الوسائل فى دراسة وتحليل الحالات كان لابد من القاء الضوء عليها منعا للبس والاختلاط •

تاريخ الحالـــة Case history

يقصد بتاريخ الحالة المراحل التطورية التى مرت بها والتى تتضمن مراحل النمـو والتطور الجسمية والذهنية والانفعالية والسلوكية • ولذلك يقال أن تاريخ الحالة يقصـد به قصة حياة الحالة ، أو صورة حياة الحالة فى مجموعها أو فى كل فتراتها •

ولما كانت هذه المراحل من التعدد والاختلاف ، كان من الصعب العثور علـى وثائق مكتوبة توضح تطور الحالة فى كل مرحلة ، وكان من الضرورى على الباحث الـــذى يجرى دراسة حالة من خلال هذا الاسلوب يقدم صورة كلية عن هذه الحالة كان من المتوقع أن يعتمد الباحث فى هذا الصدد على عدد متباين من المصادر التى تفيده فى الحصـول على بيانات كل مرحلة سواء أكانت هذه المصادر عن الفرد نفسه او الجماعة أو غيرها مـــن أنواع الحالات ، أو من اسرة الفرد أو والديه أو أقاربه أو معلميه فى المراحل الدراسيـــة المختلفة أو اصدقائه أو معارفه أو زملائه فى العمل أو غيرها وأن يستفيد من الأدوات المعروفة

فى جمع البيانات من كل مصدر ، سواء أكانت هذه الادوات وثائق شخصية أو سير ذاتيه أو يوميات أو خطابات أو اعترافات أو مقابلات شخصية أو ملاحظات أو استخبارات أو غيرها أوحتى سجلات أحصائية أو رسمية .

ويقدم بعض المهتمين بدراسة الحالة أطارا يمكن على ضوءه تنظيم المعلومات التى جمعت عن الحالة – خاصة اذا كانت الحالة فردا – ينطوى على الجوانب الهامة التاليـة :

النمو الفيزيـقى :

يجمع كل المعلومات المتوفرة عن الحالة وتشير الى تطور المشى والكلام واللعب وغيرها من مظاهر النمو البدنى فى مرحلة الطفولـة .

النمو السلوكـى :

ويجمع كل المعلومات المتوفرة عن الحالة وتشير الى عادات النوم والاكل وضبط التبول والتبرز ، وتكوين الاصدقاء والقدرة على التعامل مع الاخرين كبار وصغار والتغلب على الصعوبات .

النمو الدراسـى :

ويضم كل البيانات المتوفرة على الحالة وتتعلق بتكيفه مع الظروف الدراسية منذ اللحظة الاولى ، وتقبل سلطة مدرسية ، والنظام المدرسى وتفوقه أو تخلفه وعلاقته

بزملائه ونمو القدرات الخاصة مثل التفوق الرياضي أو الفن أو غيرها ، وظهور الاهتمامات والاهداف .

النمو الانفعالي والشخصي :

وتشمل على كل البيانات التي توفرت عن الحالة ولها صلة باستجاباته الانفعالية من احباط أو غضب أو انحراف المزاج أو التذبذب في الاستجابة ، ونمو الشخصية ، من حيث اتجاهها نحو التسلط أو التبعية أو غيرها .

مشكلة الحالـــة :

وتشتمل على كل البيانات التي توفرت عن المشكلة التي أجريت دراسة الحالة من أجلها ، وتتعلق بأول مرة حدثت فيها المشكلة وأحست الحالة بها ، وتطورها والمصاعب التي نجمت عنها بالنسبة للحالة والمحيطين بها وهكذا .

التاريخ الشخصي للحيــاة Life history

يقصد بالتاريخ الشخصي للحياة تصور للمراحل التطورية الثقافية التي مر بهـــا الشخص والتي تنطوي على عمليات نموه الجسمي والذهني والانفعالي والسلوكي وتقديره للاهتمامات والخبرات وتفسيره لهذا النمو والاهتمامات يقدمه الشخص نفسه ويراه مناسبا للمراحل الثقافية لنموه الانفعالي والسلوكي . أو هو بعبارة أخرى دراسة حالة يجريهـــا الشخص لنفسه وهنا يكون المصدر الاساسي للبيانات منصبا على الفرد نفسه موضوع الدراسة ويحدد بالتالي الادوات المناسبة للحصول على البيانات التي تفيد في هذا الغـــرض .

ومن هنا كان البعض يرى أن دراسة التاريخ الشخصي للحياة صورة من صور تاريخ الحالة وان كانوا لا يقبلون الاختلافات الأساسية بين الأسلوبين في دراسة الحالة ، والتي تتمثل في اعتبار تاريخ الحالة تهتم بالفرد ويهتم التاريخ الشخصي للحياة بالشخص نفسه ، وانه يمكن أن يطبق أسلوب تاريخ الحالة في دراسة أنواع مختلفة من الحالات غير الفرد ، مثل الجماعة ، والتنظيم والمجتمع المحلي أما دراسة التاريخ الشخصي للحياة ، لا تطبق الا حيث تكون الحالة فرداً أو أفراد ، وأنه في تاريخ الحالة لا يكتفي الباحث بالحصول على المعلومات من الحالة نفسها أو الفرد وانما يحصل عليها من مختلف المصادر الأخرى للتثبت من صحة البيانات ، في حين أنه في التاريخ الشخصي للحياة لا يكتفي الباحث بالمعلومات التي تقدمها الحالة شفاعة أثناء عملية المقابلة الشخصية أو الاستبار أو كتابة (من خلال تحليل الوثائق الشخصية والمذكرات واليوميات ... الخ) ، كما أنه في تاريخ الحالة لا يهتم الباحث بالتفسيرات التي تقدمها الحالة للمراحل المتعاقبة في نموها ، على عكس ما يحدث من اهتمام الباحث في التاريخ الشخصي للحياة بأن تحكي الحالة تاريخ حياتها ومن وجهة نظرها بأن تعطي ما تشاء من تفسيرات لما مر بها من مواقف وأحداث .

ولم يغفل المهتمين بدراسة الحالة الاشارة الى الاطار الذي يمكن على ضوئه تنظيم المعلومات من أجل الوصول الى الصورة الكلية للحالة التي يحاول تتبع تاريخها الشخصي ، وهو اطار يضم مجموعة من المعايير التي تولي اهتماما بالغا بسلسلة الخبرات المترابطة والمتناسقة والمستمرة والتي ترسخت عند الحالة في سياق حياتها الاجتماعية والثقافية والتي تحرك وتدفع السلوك الشخصي والاجتماعي ، منذ الطفولة حتى البلوغ .

وسواء اعتمد الباحث فى دراسة الحالة على أسلوب تاريخ الحياة ، أو تاريـــخ الشخص للحياة ، من الاهمية بمكان أن يهتم بتسجيل البيانات التى يحصل عليها وتدوين الملاحظات أول بأول دون ان يترك ملاحظة منها ، أو بعبارة أخرى يقوم بحفظ هـــذه المعلومات بوسيلة تعينه على لم شملها مثل الملفات أو السجلات ، ثم يحاول بعد ذلـــك تجميعها فى بنود أو تحت فئات مختلفة ، حتى يسهل عليه بعد ذلك تحليل هــــذه البيانات وربطها ببعضها بالبعض الاخر ، واستخلاص النتائج التى تلقى الضوء علـــى الموقف الكلى الذى تعيشه هذه الحالة .

استخدامات دراسة الحالـــة :

تتعدد وتتنوع استخدامات دراسة الحالة بتعدد واختلاف الاهداف التى يسعى الباحث من وراء استخدامه لهذه الطريقة . فلقد سبق أن أشرنا ان الباحث الذى يجرى دراسة استطلاعية يحتاج الى اجراء تحليلات لبعض الحالات المثيرة للاستبصار ، عندئـــذ قد يجد من المناسب استخدام طريقة دراسة الحالة لاجراء مثل هذه التحليلات سعيـــا وراء هدف محدد هو زيادة الاستبصار بموضوع بحثه ، أو الكشف عن مختلف جوانب هـــذا الموضوع أو حتى محاولة بلورة بعض الفروض المتعلقة بمثل هذا الموضوع .

كما أشرنا ان الباحث الذى يجرى بحثا وصفيا قد يعتمد على طريقة دراســـة الحالة فى تقديم وصف لجماعة أو مجتمع محلى قرية أو مدينة أو غيرها ، بحيث يمكن له مـــن خلال هذه الطريقة تحقيق أهداف بحثه فى تقديم صورة كلية عن هذه الجماعة أو المجتمع .

وأشرنا كذلك ان الباحث الذى يجرى بحثا تقويما قد يلجأ الى طريقة دراسة الحالة فى التعرف على المجتمع أو الجماعة التى يراد احداث تغيرات فى نطاقها عن طريق البرامج موضوع التقويم ، بحيث تمكنه دراسة حالة الجماعة أو المجتمع فى اللحظة الاولى وقبل ادخال برنامج التغيير الرعاية أو التنمية بهدف التعرف على ظروف هذه الجماعة وما يصل اليه حالها ، ثم أجراء حالة لاحقة لادخال البرنامج بعد أن يحدث له آثاره ، حتى يمكن تقدير مدى تحقيق البرنامج لاهدافه فى ضوء عملية المقارنة بين دراسة الحالة فى الفترة السابقة على دخول البرنامج ، ودراسة الحالة بعد دخول البرنامج على هذه الجماعة أو المجتمع .

كما تستخدم دراسة الحالة فى مجال خدمة الفرد ، بحيث يستطيع المهنى الذى يقوم بعملية تشخيص أسباب المشكلات التى تعانى منها حالات الافراد الذين يقوم برعايتهم ، بهدف وضع خطة العلاج للحالات محل الفحص قبل الاقبال على تنفيذ أى برنامج للعلاج أو المساعدة .

خصائص أو ميزات دراسة الحالة :

هناك عدد من الخصائص أو المميزات التى تتسم بها دراسة الحالة كطريقة فى البحث الاجتماعى من أهمها :

ان دراسة الحالة تتصف بالتعمق أكثر مما تتصرف نحو الاتساع ، لأن هذه الدراسة تنصب على معظمها حول حالة واحدة ، وتناول الحالة من جميع جوانبها

وتتعمق فهم الخصائص والسمات المميزة لكل جانب من هذه الجوانب عن طريق جمع المعلومات المتباينة حول هذه الجوانب من مختلف المصادر ثم نحاول ترتيبها وتنسيقها وتنظيمها بما يساعد في تقديم صورة تكاد تكون متكاملة عن هذه الحالة موضوع البحث.

أن دراسة الحالة تتصف بالمرونة أكثر مما تتسم بالجمود . لأن هذه الطريقة تسمح للباحث بأن يطور ويعدل خطة بحثه وحتى فروضه وتصوراته نتيجة لما توفره من زيادة التبصر والتعمق لموضوع البحث . ولا تمنعه من أن ينتقل من أداة في جمع البيانات الى أخرى بين الملاحظة بالمشاركة والملاحظة المقننة أو بين المقابلة الشخصية والاستبيان أو بين الوثائق والسجلات أو غيرها . ما يجده منها انه لم يمكنه من الوصول الى الفهم الكامل للحالة يتركه الى غيره من أدوات تمينه وتحدد البيانات التي يريدها لتحقيق هذا الهدف.

أن دراسة الحالة قد تتصف بالقدرة على الوصول الى تعميمات طالما كانت الحالة المفيدة موضوع التناول قد تحصل من السمات ما يجعلها ممثلة لعدد كبير من الحالات أو قد تفيد دراسة الحالة بناء على ذلك بالتنبؤ في نطاق الحالات المماثلة .

عيوب دراسة الحالة :

ومع تقدير أهمية وجوهرية دراسة الحالة كطريقة في البحث . استطاع بعض الكتاب في تراث البحث الاجتماعي أن يشيروا الى بعض الأخطاء أو الثغرات التي تنطوي عليها دراسة الحالة . ينبغي أن نحيط بها حتى نعمل على تجنبها ونحن نستخدم هذه الطريقة في البحث.

وما استطاعنا أن نحصر هذه الاخطاء فيما يلـــي :

١ ــ يتعذر مع دراسة الحالة وما تنتهى اليه من نتائج الوصول الى تعميمـات ، ذلك لانه لا يصح تعميم النتائج من دراسة عدد قليل من الحالات أو على أساس الخبرة الشخصية بحالات محدودة لا تمثل الواقع تمثيلا صادقا أو بناء على دراسة حالات شاذة ، تحتاج الى مساعدة .

٢ ــ قد تقع دراسة الحالة فى اخطاء التحيز وذلك لان اعتماد دراسة الحالـــة على السجلات والوثائق فى تصوير مراحل تطور الحالة ، قد يطبع هذه الدراسة بالطابع الذاتى المميز لهذه السجلات والوثائق ويجعل الدراسة بعيدة عن الدقة والموضوعيـــة كما أن اعتماد دراسة الحالة على ما يقرره المبحوث موضوع التحليل فى كل حالة ، يعرضهـا لاخطاء أخرى فى التحيز ناجمة عن ميل الحالة الى تقرير ما يريده الباحث أو ما يتوقـــع أن الباحث يريده ، او عن ميل الحالة الى تبرير سلوكها أكثر من ميلها الى الواقعيـــة والى المبالغة فى تضخيم الاحداث او الاغراق فى الخيال عند سرد الاحداث .. هـــذا فضلا عن تحيز آخر تقع فيه دراسة الحالة ناتج عن الباحث نفسه الذى يجرى هذه الدراسة وعن ميله الى أن يرى ما يريد أن يراه هو ، والى تفسير الحالة من وجهة نظره ووفقا لمشاعره وانفعالاته ومعتقداته .. الخ .

٣ ــ كما يؤخذ على دراسة الحالة حاجتها الى باحثين مدربين تدريبا فنيـــا عاليا حيث لا يتعذر استخدامها الا اذا توفرت لهذه الخبرة والتدريب ، وهى عمليـــة تحتاج الى امكانيات للصرف على هذه الخبرة وعلى جهد لتحصيلها ووقت ضرورى للتدريـب

عليها • هذا فضلا عن تكاليف اجراء وتطبيق دراسة الحالة نفسها والفترة الطويلة التي تستغرقها عملية استيفاء بياناتها ، والجهد اللازم لكل هذه العمليات •

التمارين والاجراءات العملية لدراسة الحالة * Case - study

١ ـ التمرين المقترح :

التمرين المقترح الخاص بدراسة الحالة يتمثل في القيام بعمل تاريخ حالة A case history على بعض جوانب علم اجتماع الأسرة • ويمكنك ان تعمل اما كباحث بمفردك أو في فرق ، يتكون كل فريق فرعي من شخصين الى ثلاثة أشخاص •

واذا اخترت أن تعمل بمفردك يمكنك أن تقوم بعمل تاريخ حالة على واحد من أسرة معينة • أما لو عملت في فريق فان جهدك يجب أن يكرس للدراسة المقارنة على عضوين من أسرتين متشابهتين ، مثل دراسة تنشئة الاناث في أسر مختلفة أو تاريخ الحالة لكل أعضاء أسرة واحدة ويجب على كل عضو من أفراد الفريق الباحث أن يقوم بدراسة شخص أو حالة مختلفة ، وفي نهاية الامر فان أعضاء الفريق يجب أن تصرف نتائجهم من أجل اعدادها للتحليل •

٢ ـ الاجراءات العملية للقيام بتمارين دراسة الحالة :

أ ـ قبل الذهاب الى الميدان :

(١) صمم على مشكلة سوسيولوجية ترغب في بحثها وتتبعها وفي عضو الأسرة أو الأسرة كجماعة التي ترى انها يمكن أن تزودك ببيانات مستفيضة مثل :

---

* أعد هذا الجزء دكتور محمد احمد بيومي

أ ــ كيف تختلف اتجاهات الوالدين وتفاعلاتهم فى الاسر الكبيره عنها فى الأسر الصغيرة خلال مجرى التاريخ ؟

ب ــ كيف يكون الوضع عندما تكون هناك محاولة لتنشئه الاطفال عندما يكون هناك نقص شديد فى الوضع المادى ، أو عندما يكون الحصول على وظائف أمر صعب المنال . ويمكنك عمل مقابلة متعمقة لو صادفت أم تجاهد ضد هذه المتاعب .

ج ــ حظى موضوع التربية الجنسية باهتمام علماء النفس . كيف يصف الأخوة والاخوات علاقاتهم النحوية ؟ وكيف يعامل كل منهم الاخر ؟ وهل ينمو ما تدريجيا أم منفصلين مع السنين ؟

د ــ ما هى الأنواع المختلفة لمشاعر الحب والجنس التى يحملها كل من الزوجين تجاه الآخر خلال الزمن ؟

هـ ــ ما أنواع التغيرات التى قد تنجم فى التفاعلات الاسرية عندما يغيب أحد أفراد الأسرة نتيجة للموت أو الطلاق ؟

(٢) مع مراعاة الوقت المحدد للتمرين فانه يمكنك استخدام الخطابات والمذكرات والوثائق . كذلك فان استخدام تحليل المضمون كطريقه يساعد الباحث فى تفهم مشكلة البحث كذلك يمكن استخدام المقابلة المتعمقه .

ب ــ فى الميدان :

(١) مرة أخرى يجب عليك أن تواجه مشكله التعرف والنفاذ الى الموضوع أو الاسرة

التى أخترتها . والى الحد الذى ترغب فى عدم التأثير فى أجابتهم فانه من المستحسن ألا تكون محددا عن مدى موضوع البحث . ولكن بين فقط انك مهتم بدراسة أنماط المعيشة للأسرة عامـــة .

(٢) كالمعتاد اشترط أن تشتمل على اجابات وملاحظات المفحوص شبه حرفيــة كلما أمكن ذلك . كذلك يمكنك أن تسجل كل الملاحظات التى يمكنك أخذها .

ومن الأهمية بمكان أن تضع خطة لتتبع التغير خلال الزمن وتحديد الأحــداث الهامة ونقط التحول فى حياة الاسرة أو الفرد . فلو كنت تدرس العلاقة الأسرية وتطورهـا خلال الزمن فانك يجب أن تتابع بعض العبارات التى يدلى بها المبحوث مثل " وبعــد ذلك لم أسأل بعد ذلك عن .... " أو " هذا أثر فى تأثيرا بالغا ولذلك قررت .. " ... وهكـــذا .

٣ ـ عرض النتائـــج :

أقرأ مرات ومرات المادة التى جمعتها وحاول أن تجد من هذه البيانات قصــة منطقية عن تاريخ الأسرة أو عضو الأسرة التى تهتم بها .

بعد ذلك يمكنك كتابة أو الشروع فى كتابة تقريرك مع اعادة نظام تقديم البيانـات كذلك يجب أن تقوم تحليل يسهل للقارئ العادى فهمه .

ويجب أن يشتمل تقريرك على هذه النقاط :

١ ـ ملخص عن المشكلة التى تبحثها بواسطة طريقة دراسة الحالة .

٢ ــ ملخص عن نمط الفرد أو وضع الأسرة التي أخذتها موضوعاً لدراستك .

٣ ــ قائمة بالأسئلة التي تمت بتوجيهها .

٤ ــ النتائج والأدلة عليها (وصف للناس أو الأفراد الذين لهم أهمية) بالاضافة الى قيمة مساعدتك لعلم الاجتماع الأسرى ومدى تعميم نتائج دراستك ، وما هي الفروض التي تقدمها نتائجك للابحاث المستقبلية ؟

٥ ــ مناقشة للمشاكل التي واجهتك أثناء اجراء دراسة الحالة ، وأي اقتراحات تقدمها للتغلب على الصعوبات المماثلة في المستقبل .

٦ ــ ويجب على الباحث الواحد ان يكتب التقرير في ثلاثة صفحات على أن يشتمل على كل الملاحظات والهوامش .

خامسا : المسح الاجتماعي* Social Survey

يمكن القول أن بداية استخدام المسح الاجتماعي كطريقة في البحث ترد الى القرن الثامن عشر عندما قام الانجليزي جون هوارد Heward بدراسة للسجون جمع فيها بيانات عن السجون والمسجونين ، من حيث عدد نزلائها ، وتواريخ دخولهم السجون ، والامراض المنتشرة بينهم وأنواعها وأسبابها ، وعدد العاملين بالسجن ودخولهم وانتهى الى عدد من النتائج أسهمت في ادخال بعض أجراءات الاصلاح ... ثم في استخدام المسح الاجتماعي كطريقة في البحث الاجتماعي وتزايد الاعتماد عليه ، حيث نجد الفرنسي فريدريك لوبلاي Le Hay يجري مسحا للعمال الأوربين استغرق أكثر من عشرين عاما أعتمد فيه على دراسة حالات أسرهم وميزانيتها انتهى منه الى مجموعة من النتائج أمكن له بناء عليه اقتراح مجموعة من الاقتراحات لعلاج الاوضاع السيئة للعمال الفرنسيين . ثم استخدم الانجليزي تشارلس بوث Booth طريقة المسح الاجتماعي في القاء الضوء على حقيقة البئوس والحرمان الذى تعانيه الطبقات المحرومة في المجتمع الانجليزي ، وجمع من أجل ذلك مجموعة من البيانات شملت دخلهم وساعات عملهم وظروف سكنهم ومستويات معيشتهم ... الخ ، وهذا يهدف بيان طبيعة الحياة التي يعيشها هؤلاء الفقراء والمحرومين حتى يمكن آثارة الجهود من أجل اصلاحها ... ولقد اتسع نطاق استخدام المسح الاجتماعي بعد ذلك وتعددت موضوعات اهتمامه ، وتطورت أدواته وتباينت أهدافه واستخداماته وبناء على ذلك نحاول فيما يلي توضيح المقصود بالمسح الاجتماعي وبيان أنواع المسح الاجتماعي والبيانات التي تحاول المسح الاجتماعي توفيرها وخطواته ، ثم أهم استخداماته وميزاته وعيوبه .

---

* أعد هذا الجزء دكتور على عبد الرازق جلبي

المقصود بالمسح الاجتماعي :

تعددت محاولات توضيح المقصود بالمسح الاجتماعي بين اعتقاد البعض بأن المسح الاجتماعي عبارة عن دراسة للظروف الاجتماعية لمجتمع معين قرية أو مدينة أو دولة من خلال الحصول على بيانات ومعلومات كافية لوضع وتنفيذ برنامج لاصلاح هذه الظروف.

وبين نظر البعض الآخر الى المسح الاجتماعي على أنه محاولة منظمة لتقدير وتصوير الوضع الراهن لنظام اجتماعي أو جماعة أو مجتمع محلي في الوقت الحاضر بهدف التوصل الى بيانات مصنفة مرتبة يمكن تفسيرها للاستفادة منها في المستقبل وخاصة في الاغراض العملية • وفي تعريف ثالث يحدد المقصود من المسح الاجتماعي في أنه عملية جمع للبيانات منظمة من جمهور مجتمع معين أو عينة منه • وذلك عن طريق استخدام أدوات المقابلة أو غيرها • والشيء الملاحظ على هذه المحاولات المتعددة لتوضيح المقصود بالمسح الاجتماعي انها تكاد تتفق فيما بينها على أن المسح الاجتماعي عبارة عن عملية تصوير دقيقة ومنظمة للوضع الراهن لجمهور من الناس أو وحدة اجتماعية والاستفادة من هذه التصوير في وضع برامج تنمية هذا الوضع أو تطويره في المستقبل بحيث يفهم من عملية التصوير الدقيقة والمنظمة أنها عملية جمع البيانات من مصادر مختلفة وبأدوات متباينة لاختلاف أنواع هذه البيانات • واتباع الدقة في هذا الصدد • ثم ترتيب وتنظيم هذه المعلومات المتعلقة بالوضع الراهن أو الوقت الحاضر الذي يكون عليه الظروف الاجتماعية لجمهور الناس أو عينة منهم أو الوحدة الاجتماعية ـ جماعة وأسرة منظمة • قرية • مدينة • أمة • دولة • ••• الخ •

وذلك كله يهدف الاستفادة من هذا التصوير الدقيق فى ترشيد أسلوب العمل واتخاذ القرارات التى تفيد فى اصلاح وتنمية أو تطوير هذا الوضع الراهن • وبناء على هذه المضامين المختلفة لمعنى المسح الاجتماعى قد نتوقع اختلاف المسوح وتنوعها وذلك وتنوعها وذلك باختلاف مجالها وهدفها وزمنها •

أنواع المسوح الاجتماعية :

قامت عدة محاولات لتصنيف المسوح الاجتماعية الى أنواع أما حسب مجال البحث أو حسب جمهور المسح أو حسب زمن المسح أو حسب الهدف من المسح وذلك على النحو التالـــى :

١ ـ تصنيف أنواع المسوح وفقا لمجالها الى مسوح عامة وأخرى متخصصة :
المسوح العامة : وهى التى تسير فى اتجاه افقى ويعالج جوانب المجتمع بأكمله والحياة الاجتماعية فيه ، أو يتناول عدة أوجه من الحياة الاجتماعية ، كأن يقوم بمسح الجوانب السكانية والتعليمية والصحية والزراعية والاسكانية والترفيهية وغيرها فى مجتمع معين أيا كان حجم هذا المجتمع أو طبيعته ونوعية الحياة الاجتماعية فيه ريفية كانت أم حضرية أم صحراوية وهكـــذا •••

المسوح المتخصصة أو المحددة : وهى التى تسير فى اتجاه رأسى وتعالـــج جوانب خاصة أو محددة من المجتمع والحياة الاجتماعية داخله ، كان تقوم بمسح للتعليم أو الصحة أو الزراعة أو الصناعة أو التجارة أو الحرف او غيرها من جوانب حياة النـــاس

في هذا المجتمع مهما كان حجمه أو طبيعته .

٢ ـ تصنيف أنواع المسوح وفقا لحجم جمهور المسح أو المجال البشرى له الى : مسوح شاملة وأخرى بالعينة :

المسوح الشاملة : وهي التي تدرس جميع أفراد المجتمع ، أو تشمل جميع مفردات المجتمع موضوع المسح وذلك عن طريق الحصر الشامل الذى لا يترك مفردة منــه دون أن يأخذها في اعتباره . والواقع أنه اذا كانت الخبرة بالبحث الاجتماعي تؤكد لنا أنـه نادرا ما يجرى الباحثون هذا النوع من البحوث نظرا لما تتطلبه هذا النوع من المسوح الى وقت طويل وامكانيات وتكاليف باهظة وباحثون كثيرون يندر أن تتوفر كلها بسهولـــة الا أنه لا يمكن الاستغناء عن هذا النوع من المسوح خاصة واذا كنا بصدد تصوير الوضع القائم لمجتمع صغير نسبيا مثل مجتمع القرية أو ما اليها .

المسوح بالعينة : وهى تلك المسوح التى تهتم بدراسة جزء من أفراد المجتمع أو تنصب على عدد محدد من الحالات أو المفردات وذلك في حدود الوقت والامكانيات المتوفرة لدى من يقوم على أمر مثل هذا النوع من المسوح . وتؤكد الشواهد التـــى ينطوى عليها تراث البحوث الاجتماعية أن هذا النوع من المسوح هو أكثر انواع استخداما وشيوعا في البحث الاجتماعي لما له من مزايا متعددة ، يشير بعضها الى دقة البيانات وصدق تمثيلها للمجتمع الاصلى الذى أختيرت منه عينة البحث ، وثبات تلك البيانـــات التى يوفرها عن جمهور المسح أو الظواهر والموضوعات التى يهتم بدراستها بينهـــم .

خاصة اذا كان اختيار عينة قد تم على أسس سليمة ، ويشير بعض هذه المزايا الاخر الـــى أهمية هذا النوع من المسوح فى توفير الجهود والامكانيات والوقت طالما كانت نتائجـــه تماثل الى حد كبير نتائج المسوح الشاملة التى تجرى على جميع أفراد المجتمع موضـــوع المسح .

٣ ــ تصنيف أنواع المسوح وفقا للفترة الزمنية التى يجرى فيها الى مسوح دوريـة أو قبلية أو بعديـــة .

المسوح الدوريـة : وهى تلك المسوح التى تجرى على فترات زمنية محددة ومتباينة حيث يستفاد منها فى وضع الخطط الاجتماعية القوميه على مدى هذه الفترات الزمنيـــه المحدده ولتكن خمس أو عشر سنوات وهكذا ..

المسوح القبلية : وهى تلك المسوح التى تجرى على المجتمع قبل ادخال برامج ومشروعات التنمية الاجتماعية حتى يمكن وضع هذه البرامج والمشروعات بما يتفق مع ظـــروف هذه المجتمعات .

المسوح البعديـــة : وهى تلك المسوح التى تجرى على المجتمع بعد الانتهاء من ادخال برامج ومشروعات التنمية الاجتماعية وتنفيذها ومرور فتره لاحداث أثرها ، لـــى الافادة من هذه المسوح ونتائجها فى تقويم مدى نجاح أو فشل هذه البرامج .

٤ ــ تصنيف أنواع المسوح وفقا للهدف من أجرائها الى مسوح وصفية وأخــــرى

تفســـيريه :

المسوح الوصفية : وتتمثل فى تلك المسوح التى تهتم فقط بعمليه وصف الوضع الراهن أو تصويره لوحدة اجتماعية محددة فى الظروف الحالية من خلال جمع البيانات وترتيبها وتنسيقها وتنظيمها بما يفيد فى أهداف الوصف هذه .

المسوح التفسيرية : وتتمثل فى أنواع المسوح التى تتجاوز عملية الوصف الـــى التفسير ولا تكتفى بمجرد تقدير الوضع الراهن . وانما تحاول أن تبحث عن تفسيره أو الكشف عن طبيعة العلاقة بين جوانب الوحدة الاجتماعية التى تهتم بمسحها أو مـــن ظواهرها بما يساعد فى التاكد على بعض القضايا الافتراضيه التى تتناول العلاقة بـــين المتغيرات كما تنطوى عليها بعض النظريات المرتبطة بالموضوعات التى يجرى عليها هـــذا النوع من المســـوح .

خطوات المسح الاجتماعـــى :

ومهما كان نوع المسح الذى يستعين به الباحث كطريقه لاجراء بحثه ، فانـــه مطالب فى كل الاحوال بأن يسير فى عدد من الخطوات المنهجيه تعينه على تحقيـــق أهدافه من الاعتماد على المسح الاجتماعى ، فى خطوات التخطيط للمسح ، وتنفيـــذ المسح ، ثم اخراج نتائجه أو عرضها بأية صورة من الصور .

التخطيط للمسح :

وتبدو أهمية عملية التخطيط للمسح وقبل الشروع فى تنفيذه ، اذا علمنا أن جانبا كبيرا من المسح قد يتوقف على التخطيط ، وان تنفيذه على الوجه المناسب قد يتعثر بدون هذا التخطيط ، حيث أن التخطيط للمسح يقتضى من الباحث تحديد الغرض من المسح أو أهدافه المتباينة العام منها والخاص أو الرئيسى والثانوى ، والتعريف بالعناصر المختلفة لهذه الاهداف ، كما يتطلب منه تحديد المقاييس المستخدمة والادوات اللازمة لجمع البيانات ، والمجالات البشرية والمجتمع كله عينه منه ، والمكانى (أو النطاق الجغرافى للمسح) ، وتحديد طريقة تناول البيانات من حيث تعريفها واستخلاص النتائج منها وهكذا ...

تنفيذ المسح :

أو القيام بالعمل الميدانى للمسح من حيث اختيار الباحثين وتدريبهم على أدوات المسح بعد تصميمها واستيعاب تعليماتها ، واعداد المجتمع للمسح وانهاء الاتصالات بهم ، وتوزيع اختصاصات العمل الميدانى من حيث الاشراف وجمع البيانات ومراجعتها والتغلب على الصعوبات ، وتفريغ البيانات التى تم جمعها بعد التأكد من سلامتها وتوثيرها ، تمهيدا لتفريغها وتصنيفها أوتقسيمها وجدولتها أجزء التحليلات الاحصائية عليها واستخلاص النتائج ... وهكذا .

أخراج المســــح :

أو وضع كل العمليات التخطيطيه والتنفيذيه للمسح فى صوره تقرير يجمع شتـــات البيانات والنتائج ويلقى الضوء على اهداف المسح ويصبح هذا التقرير فى أسلوب يساعـد الآخرين على التعرف على الجهود المبذولة فى هذا المسح وعلى المعانى الحقيقيــة للنتائج والحقائق التى تم التوصل اليها فى المسح أو بعباره أدق وضع المسح فى صـورة تقرير مكتوب يخرج ما انطوى عليه العمل فى البحث وما بذله بصدده من جهد .

مستلزمات المسح الاجتماعى :

وسواء قد أستقر الامر على الاستعانة بنوع أو آخر من أنواع المسح الاجتماعــى وادراك الباحث نحو كل خطوة من خطواته ، فالأمر يحتاج منه أن يدبر بعض الامـــور المرتبطة بالمسح الاجتماعى قدرا كبيرا من أهتمامه ، ونعنى بهذه الامور ما تعلق بالمستلزمات أو المشاكل التى ينبغى عليه أن يوفرها للمسح الاجتماعى ، ومن أهم هذه الأمور ضــرورة توفير اطار للبيانات ، وأدوات لجمع هذه البيانات .

اطار بيانات المســح :

يجمع الباحثون فى تراث البحث الاجتماعى ، على أنه برغم تعدد الموضوعـات والاهتمام والاهداف التى تسعى المسوح الاجتماعية الى تحقيقها ، الا أنه امكن الوصول الى اطار يضم قوائم الموضوعات التى يحتاج المسح الاجتماعى الى جمع بيانات حولهــا ،

وينطوى على البنود التاليـــة :

أ ــ بيانات شخصية أو ديموجرافية ، وتشمل كل ما تعلق بالسن والنـــوع ، والمهنة والتعليم والديانة ، والجنسية ، والدخل والديون ، والزواج والخصوبـــة ، أو الابناء والاسكان وموقع السكن ، والهجرة ... الخ .

ب ــ بيانات بيئية ، وتدور حول ظروف البيئة التى يعيش فيها أفراد أو جمهـــور المسح ، ابتداء من الحى حتى المجتمع المحلى وظروفه العمرانية والثقافية والصحيـــة ... الخ .

ج ــ بيانات سلوكية ، وتدور حول صور سلوك وأفعال وتصرفات جمهور المســح ، فى مواقف متعددة ، الأسرة ، الاقتصاد ، بيانات حول السلوك الاقتصادى لجمهـــور المسح ، قد يتعلق بالحصول على الدخل ، والتوزيع ، والاستهلاك والادخار ... الخ أو يهتم بتوفير بيانات حول السلوك السياسى لجمهور المسح ... ، قد يتعلق بالتصويت والانتخاب والمشاركة فى المجالس المنتخبة ... الخ .

وقد تدل هذه البيانات السلوكية ، على العـادات والتقاليد المتبعة فـــى مواقف اجتماعية متباينة بين جمهور المسح ... الخ .

د ــ بيانات دافعية وتوقعية وميول : وتدور حول دوافع السلوك فى المواقـــف المتباينة ، وتوقعات جمهور المسح ، وكذلك ميولهم واتجاهاتهم حول مسائل كثـــيرة ،

مثل تنظيم الأسرة أو الادخار أو غيرها ... الخ .

أدوات المسح :

يحتاج المسح للوصول الى هذه المجموعات من البيانات الى أدوات معينة في هذا الصدد ، وتختلف باختلاف كل نوع من هذه البيانات ، بين المقابلة ، والملاحظة والاستخبار ، والوثائق ، والسجلات الاحصائية ، ويتوقف اختيار القائم بالمسح لواحد من هذه الادوات أو أكثر ، على موضوع المسح أهدافه ، ومداه ونوع البيانات التى يحتاجها والامكانيات المتوفره وطبيعة جمهور البحث الذين يدرسهم ، وحتى عندما يستقر على استخدام اداه أو أخرى من أدوات البحث الامر يحتاج منه ان يقوم بتصميم هذه الأدوات طالما أنه لا يجد مثل هذه الادوات جاهزة ومعدة من قبل ، كما عليه الا يستخدم هذه الادوات المصممه ويطبقها على جمهور المسح لجمع البيانات الا بعد أن يتأكد من توفر شروط الدقة والثبات والصدق فى هذه الادوات طالما كان الهدف من استخدامها تقديم صورة دقيقة ومنظمة للوضع الراهن للوحدة الاجتماعية موضوع المسح .

أهمية ومميزات واستخدامات المسح الاجتماعي :

يعلق على المسح الاجتماعى أهمية كطريقة للبحث نتيجة لتفضيل استخدامه فى بعض الاغراض ولما يتميز به من مميزات :

اذ تتمثل أهمية المسح الاجتماعى فى اعتباره أحد الطرق التى يفضل استخدامه

فى البحوث الوصفية ، تلك التى تهدف الى تقديم صوره كلية عن الموقف الاجتماعــى أو الوحدة الاجتماعية موضوع الوصف بهدف القاء الضوء على العناصر المتباينة التى تكون هذه الصورة ، وما يترتب على ذلك من بيان طبيعة العلاقة بين هذه العناصر ، وبالتالــى تحديد أى العناصر ترتبط ببعضها أكثر من غيرها أو ما يسهم بدوره فى تمهيد الطريــق نحو بلورة الفروض العلمية التى تقوم على العلاقة بين المعتقدات ، ولا يمكن لنــــا أن ننكر قيمة المسح فى توفير البيانات الدقيقة والمنظمة التى تساعد على تصوير الوضع الراهن للوحدة الاجتماعية موضوع الوصف.

كما تتمثل أهمية المسح الاجتماعى فى النظر اليه على انه وسيلة هامة فى التعرف على الخبرات القائمة وجمع الاستشارات اللازمة منهم بطريقة منظمة تفيد كما أسبــق أن أشرنا عند توضيحنا للبحث الاستطلاعى ، فى القاء الضوء على موضوع البحث وبلورتــــه وزيادة التبصر بجوانبه وعناصره المتباينة . كما يمثل المسح الاجتماعى وسيلة مناسبة فـى التعرف على الامكانيات القائمة فى المجتمع موضوع المسح والموارد المتاحة ، وفى نفــس الوقت كوسيلة مفضلة للوقوف على المشكلات المختلفة التى تؤ ثر فى هذا المجتمع وتحديد فئات الافراد الذين يستطيعون الاسهام فى حلها ، وذلك كله من أجل أقتراح الحلول الموضوعية والملائمة لعلاج هذه المشكلات .

يكتسب المسح الاجتماعى أهمية كبيرة نتيجة لما يسهم به فى نطاق عمليــــات التخطيط الاجتماعى التى تستهدف تنمية الحياة الاجتماعية والاقتصادية بتوفير الرفاهية

الاجتماعية لفئات المجتمع المختلفة في فترة زمنية محددة • وذلك من خلال ما يمكن ان يقدمه المسح للتخطيط من بيانات تفيده في التعرف على أهداف الجماعات ورغباتها واحتياجاتها وميولهم واتجاهاتها وموارد هم وامكانياتهم • وذلك حتى يمكن ان تشمل الخطة البرامج والمشروعات التي تتفق وتتناسب على كل هذه الامور ويسهم بدوره في انجاح عملية التخطيط • اذ يمكن مثلا الاستفادة من المسح كطريقة في دراسة اهتمامات جمهور المستمعين والمشاهدين لبرامج الاذاعة والتلفزيون • وعاداتهم وأذواقهم وأنسب الاوقات التي يفضلون فيها الاستماع او مشاهدة هذه البرامج • الامر الذي يساعد بعد ذلك في اعادة تخطيط هذه البرامج بما يتفق مع ظروف المستمعين والمشاهدين ويجعل لهذه البرامج فعاليتها ومن ثم تستطيع ان تحقق اهدافها •

كما يكتسب المسح الاجتماعي أهمية اخرى من جراء استخدامه كوسيلة للتنبوء في مجالات اجتماعية وسياسية واقتصادية • وذلك لانه يمكن الاعتماد على المسح الاجتماعي بالعينة مثلا لقياس اتجاهات الرأي العام نحو موضوع مثل تنظيم الاسرة في المجال الاجتماعي ومن خلال البيانات المنظمة والدقيقة التي يصل اليها يمكن التنبوء بمدى اقبال او احجام الناس في المستقبل على مثل هذا البرنامج كما يمكن الاعتماد على المسح الاجتماعي بالعينة مثلا لقياس اتجاهات الرأي العام نحو المرشحين لرئاسة الجمهورية كما هو الحال مثلا في الولايات المتحدة الامريكية • حتى يمكن الاعتماد على البيانات المنظمة التي يصل اليها في التنبوء بفوز احد المرشحين في

المستقبل . كما يمكن الاعتماد المسح الاجتماعي بالعينة ايضا لقياس اتجاهات الرأى العام نحو انتاج واستهلاك سلعة معينة ومدى رواجها ، حتى يمكن الاستفادة من البيانات المتوفرة فى هذا الصدد فى التنبوء باقبال الجمهور على هذه السلعة ومعدلات استهلاكها او غيرها وهكذا .

عيوب المسح الاجتماعى :

على الرغم من أهمية وتميز وتعدد استخدامات المسح الاجتماعى كطريقة فى البحث الا أن هناك عدد من الاخطاء والثغرات أو العيوب التى لوحظت على المسح من خلال الاستعانة به فى البحث الاجتماعى يلزم تنبيه الاذهان اليها حتى يمكن تفاديها أو أخذها فى الاعتبار ونحن قد فصلناها فى اجراء بحثنا . من هذه الاخطاء .

ان المسح الاجتماعى قد يقع فى الخطأ عند تصوير الوضع الراهن أو حتى عند تفسيره ، خاصة واذا كان المسح يجرى بالعينة ، ذلك لان اختيار عينة البحث قد لا يتم على أساس منهجى سليم أو يقوم على أساس خاطىء ، بحيث قد تكون العينة المختارة من الصغر أو الكبر بما لا يتفق مع تمثيل جمهور المسح تمثيلا صادقا مما قد يترتب عليه بعد ذلك خطأ فى البيانات والتالى خطأ فى التصوير والوصف وخطأ فى التفسير .

ان المسح الاجتماعى قد يقع فى خطأ من نوع آخر ، وهو خطأ التحيز سواء أكان هذا التحيز من جانب الباحث الذى يجرى المسح أو من جانب المبحوث الذى يجرى عليه المسح ، ويقدر دقة الباحث وموضوعيته فى جمع البيانات بقدر عدم تحيزه ، وبقدر تعاون

المبحوثين وصدقهم فى الادلاء بالبيانات ، وعدم تبرمهم وضيقهم بقدر بعدهم عن التحيز .

ان المسح الاجتماعى وهو يهتم بتصوير الوضع الراهن ويركز على الحاضر لا يصلح نتيجة لذلك فى دراسة الماضى وتتبع مراحل التطور التاريخى لمجتمع من المجتمعات أو لجماعة من الجماعات أو حتى لنظام أجتماعى أو ظاهره .

ان المسح الاجتماعى وهو يهتم بتصوير الوضع الراهن يحتاج من الجهد والوقت والنفقات ما يعجز الافراد غير مجتمعين عن القيام به ويتقف أمر الاستفادة منه فى البحث على قيام هيئات ومنظمات ومراكز البحث بتوفير ما يحتاج اليه المسح من امكانيات مادية وبشرية ويخصص الميزانيات الزمنية التى يستغرقها أجراؤه .

التمرين المقترح للطالب* :

عرفنا أن المسح الاجتماعى طريقة شاع استخدامها فى مجال البحوث الاجتماعية خاصة تلك التى تهتم بتوضيح الجانب العددى (الكمى) والتوزيعى للمتغيرات والظواهر الاجتماعية . ولذلك كانت أكثر أستخداما فى مجالات التعدادات السكانية التى تعنى بجمع الحقائق الاجتماعيه والديموجرافية المرتبطة بالتوزيع العددى لمتغيرات مثل السن والنوع والسلاله والمهنة والمسكن والخصوبه ... الخ . كما أنها تستخدم بكثرة فى مجالات استطلاع آراء الافراد واتجاهاتهم حول مختلف المسائل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ... الخ .

* أعد هذا الجزء دكتور السيد عبد العاطى السيد

ويعتبر مجال الطبقة الاجتماعية والتدرج الطبقى من الموضوعات التى يمكن أن تطبق فى دراستها طريقة المسح الاجتماعى :

ان تصنيف الافراد أو ترتيبهم طبقيا عن طريق أقرانهم حقيقه واقعه فى الحياة الاجتماعية ، وقد يبدو هذا التدرج الطبقى واضحا فى التفاعل مع الغير وفى تفاوت فرص الحياة وأنماطها . فكثيرا ما يتدخل الآباء فى اختيار " شرب المياه " بالنسبة لأبنائهم على أساس نظره طبقية واضحه ، بل أن التفاوت والتباين الطبقى بين الأفراد يؤثر على مجريات الحياة اليومية لهم ، فكثيرا ما يتفاعل الافراد مع بعضهم البعض على أساس انقسامهم الى طبقات عليا ووسطى ودنيا ، وعلى أساس أن لكل طبقة ميزاتها الخاصة التى تنعكس على شخصية من ينتمى اليها وعلى أنماط سلوكه وطريقة تفكيره ونظرته الى الحياة وتطلعاته ... الخ . والحقيقة أن وصف الحياة الاجتماعية فى حدود الطبقات الاجتماعية المختلفة يتيح فرصة أوسع للتعرف على دوافع السلوك الاجتماعى والمشكلات الاجتماعية التى تواجه أفراد فئة معينة من الأفراد .

وانطلاقا من هذا كله ، فان التمرين الذى نقترحه لك (للطالب) فى هذا الصدد هو :

أن تحصل على مجموعة من البيانات الوصفية التى تدور حول حياة بعض الأشخاص ممن ينتمون لطبقات اجتماعية مختلفه ، أو التى تدور حول مواقف واتجاهات أفراد ينتمون

لطبقة معينة نحو آخرين ينتمون لطبقات أخرى مغايرة • ولكن بحثك محددا فى مجال معين مثل المقارنة بين أنماط التربية أو نماذج التنشئة الاجتماعية •

واليك أهم الخطوات التى تسترشد بها لاجراء هذا التمرين المقترح :

أولا : عليك قبل نزولك الى الميدان أن تقوم :

١ ـ بتحديد أى مظهر من مظاهر الطبقة الاجتماعية ستركز عليه دراستك •

٢ ـ تحديد نوعية الافراد الذين ستهتم بدراستهم ، وخصائص العينة التى ستجرى عليها دراستك ، وهنا يجب عليك أن تعرف أن تحدد :

- الحالات التى تمثل مختلف الطبقات الاجتماعية ـ العليا والوسطى والدنيا •
- المعايير أو المحكات التى ستستخدمها لتحديد الوضع الطبقى للافراد ـ هل هى المهنة ، أم الدخل ، أم التعليم ، أم أسلوب الحياة •

٣ ـ اعداد استمارة استبيان او دليل مقابلة متكونة من عشرة أسئلة على الأقل • ويفضل أن تكون الأسئلة ذات نهايات مغلقة • واليك على سبيل المثال نموذجا لهذا النوع من الأسئلة :

ـ يرى بعض الناس ان كذا وكذا وكذا ما رأيك أنت ؟

أوافق بشدة ( )	أوافق ( )
لا أعرف ( )	لا أوافق ( )

لا أوافق بالمـــرة ( )

- كيف تقضي وقت فراغـــك ؟

بالمنزل	( )	زيارة الاقارب والاصدقاء	( )
بالمسجـــد	( )	بالمقهـــى	( )
بالنـــادي	( )	وهكـــذا	

ولتتذكر أن الأسئلة مغلقة النهايات تفيد فقط في الحالات التي تعرف فيهـا كل احتمالات الاجابة على سؤالك ، فاذا لم تكن كذلك ، عليك باستخدام الأسئلـــة ذات النهايات المتنوعة مثل :

- ما رأيك في قول البعض كذا وكذا ؟ .....

- كيف تقضي وقت فـــراغك ؟ ......

وتترك للفرد حرية في الاجابة دون تحديد لمتغيرات أو اجابات لعدم العامك بها مقدمـــا .

ولتتذكر أيضا ضرورة أن تكون الاسئلة صادقة بمعنى أن تقيس بالضبط ما تريـد أن تعرفه أنت بالنسبة لموضوع بحثك . وفي تمرينك هذا يجب عليك أن تتأكد من مـــدى ملاءمة الأسئلة مع المحك أو المعيار الذي اخترته لقياس الوضع الطبقي للافراد .

٤- ترتيب الأسئلة ترتيبا منطقيا ، تبدأ بما هو عام وبسيط لتنتهي متدرجـا

الى ما هو خاص ومعقد حتى لا تشتت فكر المبحوث واهتمامه•

٥ ــ مراجعة الاسئلة وأعادة النظرفيها مرة اخرى ،خاصة فى الحالات التى يمتنع فيها المبحوث عن الاجابة عليها او التى تجعله يشعر بالحرج او الخوف• وهنا عليك ان تعيد النظر فى صياغة السوءال ومدى جدواه وضرورته لبحثك • فاذا كان سوءالا ضروريا عليك بتعديل صيغته او منطوقه او ترتيبه بين الاسئلة• مع مراعاة انه من الضرورى ان تتفق صياغة السوءال مع خلفية المبحوث واطاره المرجعى الذى يتأثر كما تعرف بسنه ونوعه ودخله ومهنته ومستوى تعليمه ونمط حياته ومنطقه سكنه•

ثانيا ــ عند نزولك الى الميدان ، وبعد ان تنتهى من صياغة اسئلة الاستبيان او دليل المقابلة على النحو الذى أوضحناه لك فى الفترة السابقة عليك بعد ذلك أن:

١ ــ تحدد الاشخاص الذين سوف تجرى معهم مقابلتك ، مع مراعاة ان تختار الوقت الملازم لاجراء المقابلة معهم•

٢ ــ اذا كنت تعمل مع فريق بحث ، احرص على ان يقوم كل منكم بجمع بيانات عن خمسة مقابلات يجريها مع من حددتهم من الاشخاص ، ولكن لانك ستقوم بهذا التمرين بمفردك ، فالمطلوب ان تجرى خمسة مقابلات على الاقل كتدريب لك على اجراء طريقة المسح الاجتماعى الوصفى •

ثالثا – كيف تحلل نتائجك ؟

عليك هنا أن :

١ – تبدأ باعداد جداول لتفريغ البيانات التى حصلت عليها خلال المقابلات الخمسة . فاذا كانت الأسئلة التى استخدمتها مغلقة النهايات ، عليك أن تجمع فى كل جدول تعده لكل سؤال كل ما سبق أن وضعته من متغيرات أو اجابات محتملة على شكل أعمدة أو "خانات" يخصص لكل اجابة عمود أو خانة على أن تضيف اليها متغيرين آخرين :

أ – متغير يشير الى الحالات التى لم تحصل فيها على اجابه على سؤالك من بين الاجابات التى حددتها ، وليأخذ هذا المتغير اسم "غير مبين" .

ب – متغير يشير الى الحالات التى يجمع فيها المبحوث فى أجابته على السؤال بين أكثر من اجابة ، وليأخذ هذا المتغير اسم "زيادة متغيرات" .

أما اذا كانت الأسئلة مفتوحة النهايات ، فعليك أن تحصر أولا مختلف الاجابات الواردة ، ثم صنفها فى فئات متقاربة وصمم جدولك على النحو السابق .

٢ – سجل فى كل فئة (خانة أو عمود) من فئات الجدول مجموعة الاجابات التى حصلت عليها واحدة بعد أخرى ويمكنك هنا أن تستخدم الطريقة المعروفة "بالحزم"

٣ ــ استخرج النسبه المئوية للاجابات بالنسبة لكل فئة (عامود أو خانــــه)

ويمكنك أن تستخرج النسبة المئوية على النحو التالى :

$$\frac{\text{مجموع الاجابات فى كل فئة (عامود أو خانه)}}{\text{عدد الحالات التى درستها (حجم العينة)}} \times ١٠٠$$

ولنذكر أنه من الضرورى أن يكون مجموع الاجابات مساويا لعدد مفردات العينة التى درستها لتمثل فى النهاية نسبه ١٠٠٪.

رابعا ــ كيف تعرض نتائج بحثـــك ؟

عليك هنا أن ::

١ ــ تحدد مجال البحث الذى حاولت الحصول على بيانات وصفيه عنه .

٢ ــ تحدد نوعيات الاشخاص الذين أجريت معهم استبارك (مقابلاتك) ، مـــع توضيح أسباب اختيارك لهم .

٣ ــ أعرض نتائج بحثك فى شكل جداول . وفى هذا الصدد ضع فى اعتبارك :

أ ــ ان يكون لكل جدول رقم مسلسل وعنوان خاص يميزه .

ب ــ أن تكون فئاته (الاعمدة أو الخانات) واضحه ـ مميزة .

جـ ــ أن توضح فيها حجم عينة بحثك .

د ــ " " " النسبه المئوية لكل فئة .

٤ـ ناقش باختصار النتائج التى يكشف عنها كل جدول على حده ، وارسط نتائج الجداول كلها مع بعضها البعض لتصل الى تحليل أكثر عمقا .

٥ ـ استخلص من مناقشتك هذه بعض الاقتراحات لبحوث أخرى مستقبليه يمكن اجراءها فى مجال بحثك .

٦ ـ وضح أهم الصعاب التى صادفتها ، وكيف امكنك التغلب عليها مع طرح مقترحاتك بصدد مواجهتها مستقبلا .

ـــــ * * * ـــــ



الفصل السابع

تمهيـــد

يختص الفصل الحالى بدراسة وتحليل ادوات جمع البيانات فى البحث الاجتماعى وينصب هذا التحليل بوجه خاص على الملاحظة والمقابلة والاستبيان ، باعتباره من اهم الادوات فى جمع البيانات ومن اكثرها شيوعا واستخداما بين الباحثين .

وسوف يتناول التحليل الملاحظة من حيث اهميتها والتعريف بها والتمييز بين أنواعها ، وخاصة : الملاحظة البسيطة والملاحظة المنظمة ولن يغفل التحليل فى نفس الوقت الاشاره الى استخدامات كل نوع منها ، ثم يجتهد فى توضيح الوسائل المناسبة فى تسجيل الملاحظة وبعدها يضع الملاحظة فى الميزان لكى يبين ما لها وما عليها من مآخذ فى البحث الاجتماعى ، ويختتم تحليل الملاحظة بالاشارة الى بعض التمارين والتطبيقات العمليه على استخدام الملاحظة فى البحث الاجتماعى .

ثم يتناول التحليل المقابلة من حيث اهميتها والتعرف بها ، ثم يجرى تمييزا وتوضيحا للاختلافات بين أنواعها المتباينة ، واستخدامات كل نوع منها ، وبعد ذلك يحاول الدخول فى تفاصيل تصميم المقابلة والتدرج معه خطوة تلو الاخرى ، ويوضح كيفية اجراء المقابله ، ثم ينتهى التحليل بتقديم تقويم للمقابلة من خلال مقارنتها بالملاحظة ، وايضا من خلال بيان أوجه القصور والقوه .

واخيرا ينصرف التحليل الى الاستبيان ، ليبين أهميته والتعرف به واشكاله

وخطوات تصميمه واجراؤه ، من حيث تحديد نوع البيانات المطلوبة ، وشكل الاستمارة وصياغتها ، واختبارها ، وتقدير درجة ثباتها وصدقها ، واخيرا يقدم بعض التمارين التطبيقية على استخدام كل من المقابلة والاستبيان فى البحث الاجتماعى

وبناء على ذلك قسم الفصل الحالى الى ثلاثة أقسام الاول يعالج الملاحظة ، والثانى يعالج المقابلة ، والثالث يختص بتحليل الاستبيان ،

أولا : الملاحظــــــــة

١ ـ تعريف الملاحظـــــــة

٢ ـ أنواع الملاحظـــــــة

٣ ـ الملاحظة البسيطة

ـ الملاحظة بالمشاركـــة

ـ الملاحظة بدون مشاركة

٤ ـ الملاحظة المنظمـــــــة

٥ ـ وسائل تسجيل الملاحظـــة

٦ ـ الملاحظة في المـــــيزان

٧ ـ تمارين وتطبيقات على الملاحظة

أدوات جمع البيانـــات

Observation
(١) الملاحظـــــة*

أشرنا فى الفصل الاول الى مفهوم " المنهج العلمى " وأوضحنا أن هنـــاك اختلافا بين المنهج وطريقه البحث والاداة التى تستخدم فى جمع البيانات • وعرفنـــا الادوات تعريفا عاما بأنها ببساطة عبارة عن وسيلة يلجأ الباحث لاستخدامها للحصول علـى البيانات والمعلومات التى يتطلبها موضوع البحث • كما نوهنا عن تنوع أدوات البحـــث أو أختلافها باختلاف طبيعة المعلومات المطلوبة ومصادرها بل وباختلاف طبيعة المجتمع أو الموقف الاجتماعى موضوع البحث بالاضافه الى خبرة الباحث وتدريبه على أدوات جمـــع البيانات • وأخيرا ذكرنا أن من أهم الادوات المستخدمة فى البحث الاجتماعى الملاحظة absərvation والمقابلة enterview والاستبيان questionaire

ويهمنا فى هذا الفصل أن نوضح معنى الملاحظة وطبيعتها وأنواعها وخصائصها ثـــم أخيرا مزاياها وحدودها لعلنا نجد فى هذا كله ما يكفى للتعرف على احدى عـــد • الادوات التى يشاع استخدامها فى مجال البحث الاجتماعى •

ويشير لفظ " الملاحظة " لغويا الى المعـاينة المباشرة للشىء أو مشاهدتـــه على النحو الذى هو عليه • حيث يشير معجم مختار الصحاح الى أن لحظ الشىء يعـــنى نظر اليه بمؤخر العين • وفى مجال البحث العلمى بوجه عام يختلف معنى المفهوم عـــن معناه اللغوى حيث تعرف الملاحظه بأنها المعاينة المباشرة للظاهره • وفى مجال البحث

---

(١) هذا الفصل من اعداد الدكتور : السيد عبد العاطى السيد •

الاجتماعي أيضا نجد أن الملاحظة تعني المشاهدة أو المعاينة المباشرة للموقف الاجتماعي وأشكال السلوك وأنماط التفاعل ... الخ والملاحظة بمعنى الاقتصاد على معاينة أو مشاهدة موضوع البحث بقصد جمع بيانات ترتبط به • تختلف كما سنرى فيما بعد عن كل من المقابلة أو الاستبيان •

أنواع الملاحظة :

يتنوع أسلوب الملاحظة كأداة لجمع البيانات في مجال البحث الاجتماعي • وذلك وفقا للدرجة التي يحاول فيها الباحث الاحتفاظ بالطابع " الطبيعي للموقف المراد بحثه من ناحية وأيضا وفقا لدى تدخل الباحث في ضبط هذا الموقف وتوجيهه في مسارات معينة بإدخال بعض التعديلات عليه بهدف الكشف عما يترتب على هذه التعديلات من نتائج ومن هنا جرت العادة بين معظم المشتغلين بمناهج البحث الاجتماعي أن يميزوا بين نوعين من الملاحظة أما النوع الاول فيشير الى الاعتبار الاول الذى يرتبط بتلقائية أو " طبيعة الموقف " المراد بحثة وهذا ما يعرف باسم الملاحظة البسيطة بينما يشير النوع الثاني الى الاعتبار الذى يرتبط بتدخل الباحث في موقف الملاحظة سواء من حيث الضبط والتوجيه أو من حيث التعديل والتجريب وهذا ما يعرف باسم الملاحظة المنتظمة •

وسواء كانت الملاحظة بسيطة أو منتظمة فانها تشكل معنى ما نسميه بالملاحظة المقصودة (أى الملاحظة التي تستخدم بهدف البحث العلمي) في مقابل ما يعرف باسم الملاحظة العابرة أو غير المقصودة والتي يكثر حدوثها في الحياة اليومية بطريقة

عارضة دون قصد من الفرد كملاحظة المارة أو شروق الشمس أو مرور السيارات أو خـــروج التلاميذ من المدارس أو رؤية حادث تصادم ... الخ وان كنا هنا لا ننكر بحـال مـن الأحوال ما قد يكون لهذه الملاحظة العابرة من فائدة للبحث العلمى المقصود فكثيرا مـا تثير مثل هذه الملاحظات العابرة فى ذهن بعض الافراد (الباحثين) تساؤلات قـد تفضى بهم الى بحوث أكثر تعمقا وتركيزا • ولعلنا نجد فى تاريخ العلم من الشواهد ما تؤكد أن كثيرا من الاكتشافات العلمية التى غيرت من وجه التاريخ لم تكن سوى نتيجة لبحوث متخصصة ومقصودة نبعت فى الاصل عن بعض الملاحظات العابرة ولنا هنا بعض التحفظات لنقول أن خبرة الباحث واهتماماته وتخصصه واطلاعاته تعتبر عوامل هامة فى تهيئة المنـاخ الملائم أو التربة الصالحة لتطوير الملاحظات العابرة الى شكل علمى مقصود •

نعود مرة أخرى الى تقسيمنا السابق لنركز على الملاحظة المقصودة التى تنقسـم كما قلنا الى ملاحظة بسيطة وملاحظة منتظمة •

١ ـ الملاحظة البسيطـــة :

يقصد بالملاحظة البسيطة عملية المعاينة المباشرة للظاهرة موضوع البحث كمـا تحدث تلقائيا فى ظروفها الطبيعية العادية دون تدخل من الباحث بهدف الضبـط أو التجريب أو استخدام وسيلة من وسائل التقنين •

وتعتبر الملاحظة البسيطة ملاحظة مقصودة لان الباحث هنا ـ رغم عدم تدخلـه يحدد مقدما ما الذى يريد ملاحظته فى الموقف• بعبارة أخرى تعتبر الملاحظة البسيطـة

ملاحظة مقصودة نظرا لأن الباحث أيا كانت طبيعة دراسته (كشفية كانت أو وصفية أو تجريبية) يستطيع على الأقل من خلال تحديده لموضوع بحثه أن يحدد ولو بدرجات متفاوتة أى الملاحظات التى يمكن أن تثيره فى معالجته لهذا الموضوع ٠

وتنقسم الملاحظة البسيطة بدورها الى نوعين أساسيين هما : الملاحظة بالمشاركة والملاحظة بلا مشاركة ٠

١ ــ الملاحظة بالمشاركة :

تمثل أداة لجمع البيانات من موقف اجتماعى يشارك فيه الباحث باعتباره واحدا (عضوا) من بين المشتركين فى هذا الموقف ٠ وهنا نجد الباحث يقوم بمشاركة واعية فى نشاطات وحياة واهتمامات الجماعة (الموقف الاجتماعى) موضوع الملاحظة بهدف التوصل الى بيانات تتعلق بأنماط السلوك التى يتضمنها الموقف الاجتماعى وفى هذا النوع من الملاحظة قد يفصح الباحث عن وجوده فيقدم نفسه كباحث لغيره من المشاركين فى الموقف الذى يلاحظه وقد لا يفصح عن شخصيته رغم مشاركته فى الموقف ٠ وبهذا المعنى تنقسم الملاحظة بالمشاركة الى ما أسماه ادوارد ليندمان الصريحة والملاحظة بالمشاركة المستترة ٠

وللملاحظة بالمشاركة كما تقول مارجريت ستاس M. stacey للاستخدام مختلفة ومتنوعة حيث يمكن للباحث أن يستخدم هذه الاداة لجمع البيانات عن ثقافته هو

وللملاحظة بالمشاركة كما تقول مارجريت ستاسى M.Stacey استخدام مختلفة ومتنوعة حيث يمكن للباحث ان يستخدم هذه الاداة لجمع البيانات عن ثقافته هو او عن ثقافة فرعية تندرج تحت الثقافة العامة لمجتمع الباحث نفسه أو لجمع البيانات عن ثقافات اجنبية او غير مألوفة للباحث .

وايضاح ذلك فيما يلى :

أ — الملاحظة بالمشاركة فى ثقافة الباحث :

وقد يجرى هذا النوع من الملاحظة فى تنظيم رسمى كمصنع مثلا او فى منطقة جغرافية خاصة او فى نظام اجتماعى معين . والمثال على ذلك تلك الدراسة التى أجراها توم ليبتون Tom lypton للتنظيم الاجتماعى للمصنع باستخدام الملاحظة بالمشاركة ومثل الدراسة التى اجراها فرانكنبرج بقرية Pentredwaith والتى استخدم فيها أسلوب الملاحظة بنفس الطريقة التى استخدمها علماء الانثروبولوجيا مثل مالينوفسكى Malinowski وفيرث R.Firth وتعتبر دراسة ليند Lynd لميدلتاون Middletown احد الدراسات الشهيرة التى استخدمت هذا التكنيك الخاص لجمع البيانات وأيضا دراسة مارجريت ستاسى M.Stacey لمجتمع بانبيورى Banbury فى بريطانيا التى استغرقت ثلاث سنوات من سنة ١٩٤٨ — ١٩٥١ . والتى لم تكن الملاحظة بالمشاركة مجرد اداة لجمع البيانات فحسب لكن كانت منهجا اساسيا استطاع الباحث من خلاله ان يتوصل لمجموعة من الحقائق كان من المتعذر الحصول عليها باستخدام وسائل أخرى حيث أمكن للباحث من خلال الملاحظة بالمشاركة ان يربط أو يوحد بين انماط السلوك الفردى وأنماط السلوك الجماعى والبناء الاقتصادى والسياسى معا فى كل مترابط .

وجدير بالذكر أن هذا الاسلوب من الملاحظه كان ولايزال موضع خلاف بين المشتغلين فى مناهج البحث فى علم الاجتماع • ونستطيع أن نلخص هذا الخلاف فى قضية أساسية مؤداها أنه فى الوقت الذى يستطيع فيه الباحث (الذى يستعين بأسلوب الملاحظة بالمشاركة لدراسة أحد مظاهر الثقافة التى ينتمى اليها) أن يلم من خلال انتمائه لهذه الثقافة ببعض الابعاد التى تساعده فى تفسير الموقف الامر الذى يتعذر على غيره من الباحثين الا أنه فى الوقت نفسه كثيرا ما يكون بسبب انتمائه لهذه الثقافة أكثر تحيزا أو على الاقل يغفل بعض الجوانب الهامة فى الموقف لانها أصبحت أمورا مألوفة لديه •

ب — الملاحظة بالمشاركة فى ثقافة فرعية من ثقافة الباحث :

وتعتبر دراسة وليم فوت هوايت W. Whyte التى نشرها فى كتابه مجتمع قارعة الطريق Street corner Society ١٩٥٥ مثالا كلاسيكيا لاستخدام هذا النوع من الملاحظة فى هذه الدراسة قام الباحث بدراسة عينة كبيره من المهاجرين الايطاليين الفقراء الى مدينة أمريكية وكان يهدف من دراسته هذه أن يقيم علم اجتماع يستند على أساس ملاحظة الاحداث الشخصية وأنماط السلوك المتبادل • ويستند نجاح مثل هذه الدراسات على حد تعبير الباحث تعتمد على التقبل الشخصى للباحث من قبل بعض الافراد البارزين فى الجماعة أو المجتمع موضوع البحث والذين يقدمونه بدورهم الى

أصدقائهم وأقاربهم . وفى هذه الحالة يقوم الباحث بشرح أهداف البحث لهؤلاء الافراد البارزين موكلا اليهم مهمة شرح البحث وتوضيح أهدافه لباقى أعضاء الجماعة . وهــذا يعنى أنه بدون تعاون هؤلاء الأفراد مع الباحث لن يستطيع الباحث أن يؤدى مهمته بنجاح . هنا أيضا يتمثل الباحث دور عضو الجماعة حيث يشارك فى أنماط سلوكها وحيث يتقبل أعضاء الجماعة مثل هذه المشاركة ولكن عند حد معين نظرا لوعيهم بما هناك من اختلاف بين أنماط الثقافة الفرعية التى ينتمون اليها والتى ينتمى اليها الباحث . بعبارة أخرى فان الباحث هنا يحتفظ بالاختلافات الثقافية القائمة كما يحتفظ بدوره كباحــث اجتماعى يدرسهم كأعضاء لجماعة خاصة . غير أنه يجب أن نضع فى الاعتبار أن هذا الدور المزدوج للباحث قد يتغير بدرجات متفاوتة من موقف البحث نفسه . وذلك لاننــا اذا رجعنا الى دراسة هوايت Whyte السابقة نجد أن وجود الباحث لا يؤدى الــى مجرد زيادة أعضاء الجماعة عضوا جديدا على حد تعبيره بل نجد أن الجماعة متغــير أو تعدل بدرجات مختلفة من سلوكها الطبيعى طالما أنهم يعرفون أنهم موضع بحــث ويدركون أيضا لماذا شاركهم الباحث فى ثقافتهم الخاصة .

جـ ـ الملاحظة بالمشاركة فى ثقافة أجنبيــــة :

ولقد شاع استخدام هذا النوع من الملاحظة فى العديد من الدراســـات الانثروبولوجية التى استخدمت ما يعرف باسم الدراسة الحقلية لعدد من المجتمعـــات البدائية التى تنتمى الى ثقافات تختلف بوضوح عن ثقافة الباحث . ولعل من الأمثلـــة

الشهيرة على مثل هذه الدراسات دراسة مالينوفسكى لنظام التجارة فى جنوب غـــرب الباسيفيك والتى نشرها فى كتابه Argonauts of westers pacifie سنة ١٩٢٢ والتى أوضح فيها الاسس المنهجية التى تستند عليها مثل هذا النوع مـــن الدراسات والتى يمكن أن نلخصها على حد تعبيره فى ضرورة أن يضع الباحث نفسه فـــى المكان المناسب ليعيش كما يقول فى مجتمع الدراسة بعيدا عن بنى وطنه (البيض فـــى المجتمعات الافريقية) ويعايش الاهالى معايشة شبه كاملة لان هذه الخطوة ستـــؤدى فى نهاية الامر الى درجة من ألفة الاهالى بالباحث بحيث لا يصبح الباحث (عنصـــرا غريبا أو مشوشا فى حياة الجماعة) وهنا يؤكد مالينوفسكى على ضرورة تعلم الباحث لكل عادات وتقاليد وآداب السلوك الخاصة بمجتمع بحثه كما يقرر فى النهاية أن هذا الأسلوب لجمع البيانات (الملاحظة بالمشاركة) يعد أفضل بكثير من غيره من أدوات جمـــع البيانات كالاستبيان مثلا والذى يعتبر فى نظره أداة تؤدى فى النهاية الى هيكـــل عظمى لا لحم فيه • أى بعبارة أخرى لا يعترف مالينوفسكى بقيمة المعلومات التى تجمع من خلال الاستبيان لانها لا تعبر فى نظره عن الواقع الحى لحياة مثل هذه المجتمعات وأن أسلوب الملاحظة بالمشاركة فى نظره هو أفضل الاساليب لانه يمكن الباحث مـــن التعرف على وجهة نظر الاهالى وطريقة حياتهم وأبعاد عالمهم وخصائصه • وبالمثـــل يشيد ريموند فيرث R. Firth فى دراسته للنظام الاقتصادى لسكان الملايو بأهميـــة أسلوب الملاحظة بالمشاركة الذى يمكن الباحث على حد تعبيره من دراسة بناء ووظيفـــة النظم الاقتصادية والاجتماعية لمثل هذه المجتمعات أى تمكنه من التعرف على حيـــاة

المجتمع ككل وفى جميع مظاهرهنا وحوهنا يؤكد كما فعل مالينوفسكى على ضرورة تعلـــم الباحث للغة مجتمع البحث وتفهمه بل ومشاركته فى عاداته وتقاليده ، وقيمه وطقوسه وشعائره وآداب السلوك السائدة فيه وعلى الرغم من أن فيرث قد أوضح ضرورة الاستعانة بالأخباريين المحليين الا أنه أكد على ضرورة مراجعة ما يدلى به هؤلاء الافراد من بيانات للتأكد من البيانات التى يدلى بها هؤلاء الاخباريين • كما أنه أخيرا يشير الى ضرورة اجراء هذا النوع من الملاحظات من خلال (روح الفريق) أى تعاون أكثر من باحث • وفى هـــذا الصدد كانت استعانته بزوجته تمثل (روح الفريق) التى أشار اليها وعاملا أساسيا فـى نجاح دراسته لمجتمع اسلامى يحذر فيه على النساء مقابلة الغرباء ومن ثم لعبت زوجتـه دورا هاما فى التعرف بل ودراسته نساء مجتمع البحث •

(٢) الملاحظة بدون مشاركـــة :

رأينا فيما سبق أن الملاحظة بالمشاركة أداة لجمع البيانات فيها يشارك الباحث بقدر الامكان فى حياة الجماعة أو فى الموقف موضوع البحث • غير أن هذا النوع مـــن الملاحظة قد تكون له بعض الاخطاء أو العيوب فى نظر البعض مما يفضلون استخـــدام الملاحظة بدون مشاركة ومن أهم هذه العيوب :

أ ـ أن الباحث الذى يستخدم الملاحظة بالمشاركة لا يستطيع لارتباطه الشديد ـ أو عضويته فى الجماعة ـ أن يصل الى منظور كلى وشامل للموقف المراد بحثه لأن الباحـث فى مثل هذه الحالة تتوثق علاقته ببعض الافراد دون البعض الآخر وبالتالى فان ادراكـه

لبناء الجماعة سوف يكون متحيزا نظرا لانتمائه أو عضويته فى جماعة فرعية خاصة •

ب ـ ان ما يتوصل اليه الباحث من نتائج باستخدام الملاحظة بالمشاركة تفتقر الى ما يعرف منهجيا بثبات النتائج • والمعروف أن هذه الخاصية تتحقق من خلال توصل باحثون آخرون لنفس النتائج • وتفسير ذلك أن لموقف الملاحظة بالمشاركة أمر لا يتكرر بالنسبة لاكثر من باحث نظرا لان خبرة الباحث كعضو فى جماعة هى أمر خاص به وحده • نظرا للعلاقة التى تنشأ بينه وبين أعضاء الجماعة وللتفاعل القائم بينه وبينهم مستندا على شخصيته الفريدة وهنا يحول هذا الموقف المنفرد للباحث من امكانية وصول باحث آخر لنفس النتائج الامر الذى يجعل نتائج الملاحظة بالمشاركة لا يتوافر فيها خصائص النتائج العلمية •

جـ ـ ان الملاحظة بالمشاركة موقف يكثر فيه احتمالات الفشل قد يحدث ذلك فى حالات كثيرة منها عدم المام الباحث بقيم وعادات وتقاليد الجماعة التى يدرسها بدرجة كافية الامر الذى يجعله يقدم على تصرفات قد تسىء الى جماعة البحث مما يعوق استمرار الباحث فى مهمته • ومنها أيضا ما يواجهه الباحث من استياء أو سخط من قبل الجماعة عندما يدرك أعضائها أنهم موضع دراسة وأن الباحث قد اتخذ من انتمائه لها أو عضويته فيها وسيلة لجمع بيانات أو معلومات عنهم كانوا يفضلون الاحتفاظ بسريتها • وجدير بالذكر أن هذه الصعوبة الاخيرة تثير مسألة لا يزال الجدل كبيرا حولها وهى ما تعرف باسم أخلاقيات البحث حيث نرى أن بعض الباحثين يرون أن من الضرورى والاخلاقى فى

نفس الوقت أن تحاط جماعة البحث علما بمهمة الباحث وأهداف البحث • بينما يرى البعض الآخر أن الغاية تبرر الوسيلة وأن استخدام الباحث لاسلوب الملاحظة بالمشاركة لا يعتبر عملا لا أخلاقيا طالما أنه لا يترتب عليه ضرر أو ايذاء بالجماعة موضوع البحث •

وازاء ما قدمناه من صعوبات تواجه أسلوب الملاحظة بالمشاركة يفضل كثير من الباحثين استخدام الملاحظة بدون مشاركة • وفى مثل هذه الحالة يتم اتصال الباحث بأحد الافراد المسئولين أو البارزين فى الجماعة ليشرح له الهدف من دراسته لتتخذ بعد ذلك الاجراءات اللازمة لتسهيل مهمة الباحث وهنا يدخل الباحث الموقف لا باعتباره عضوا فيه بل كعالم أو باحث متخصص لا يتدخل فى سلوك أو حياة أفراد الجماعة التى يبحثها بل يلاحظ الموقف عن بعد دون مشاركة منه • مستعينا فى ذلك ببعض الاجراءات أو الوسائل كالملاحظة من خلف ستار أو حاجز زجاجى • الأمر الذى يؤدى فى نظر الكثيرين الى تجنب تأثير الباحث فى تلقائية سلوك أو تفاعل المبحوثين والاقلال من التحيز الناتج عن تأثر الباحث أو انطباعاته الشخصية مما يحدث فى موقف الملاحظة بالمشاركة وبالتالى يستطيع الباحث التوصل الى منظور كلى للموقف من ناحية والى مجموعة من النتائج التى تمتاز بدرجة عالية من الثبات من الناحيه الاخرى •

ويستخدم هذا النوع من الملاحظة لدراسة بعض الظواهر دون غيرها • فقد يتعذر على الباحث الذى يهتم بدراسة جماعة من الاطفال أن يستخدم أسلوب الملاحظة بالمشاركة اذ من المستحيل أن يرتد الباحث لطفولته لانجاز مهمته العلمية كما قد يصعب

عليه أيضا أن يستخدم الاستبيان كأداة لجمع بيانات عن جماعة الاطفال ومن ثم تعتبر الملاحظة بلا مشاركة من أفضل الوسائل التي تستخدم لجمع بيانات عن موقف سلوكي أو تفاعلي يتعذر على الباحث الاشتراك فيه ومن أمثلة ذلك دراسة أنماط التفاعل والسلوك التلقائي لجماعات من الاطفال أو جماعات مرضى العقول أو جماعات المنحرفين ... الخ .

وعلى أي حال فانه أيا ما تكون درجة مشاركة الباحث في موقف الملاحظة "ملاحظة بالمشاركة أو بدون مشاركة " ، أو نوعية الموقف الذي يلاحظه الباحث "ثقافته ، ثقافة فرعية أو ثقافة أجنبية " فان الملاحظة البسيطة تستخدم كوسيلة استطلاعية لجمع البيانات ولذلك فهي أنسب ما تكون الى الدراسات الكشفية أو الاستطلاعية منها الى الدراسات الاخرى . وربما كان السبب في تسميتها بالملاحظة البسيطة أن الباحث يجهل مقدما عناصر الملاحظة ذات الدلالة أو الاهمية بالنسبة لموضوع الدراسة تمييزا لها عن الملاحظة المنظمة أو الموجهة والتي كما سنرى فيما بعد يظهر فيها عنصر التحديد أو الاختيار أو التعمد لملاحظة أبعادا أو عناصر دون أخرى واضحا .

ولان الملاحظة البسيطة أداة استطلاعية أو كشفية فان مجالها يتعرض دائما للتغير بتغير تقدم الباحث في مراحل بحثه ودرجة تفهمه لموضوع البحث . ومن أهم نتائج هذا التغير أن مجال الملاحظة يميل الى التحديد شيئا فشيئا بتقدم مراحل البحث بمعنى أن الباحث في المراحل الأولى - لافتراضنا جهله بجوانب الموقف للبحث يحاول أن يجمع في موقف الملاحظة كل ما يتصور أن له علاقة ما بموضوع البحث ولكنه يبدأ بعد

ذلك فى قصر مجال الملاحظة أو تحديده شيئا فشيئا ليقتصر فقط على العناصر ذات الاسهام والدلالة المباشرة للموضوع • وبالطبع فان هذه العملية التى تعرف باسم المرونة المنهجية للباحث تقتضى قدرا من اليقظة والتذوق التى تعين الباحث فى تقييمه لمختلف الجوانب المحيطة بموقف الملاحظة واختياره لبعضها دون البعض مما يخدم معالجته يخدم معالجته لموضوع بحثه • لذلك يحرص المشتغلون بمناهج البحث الاجتماعى مثل جود Good وهات Hattوسيللتيز Selltize على تحديد أبعاد موقف الملاحظة الى عناصر أساسية هى :

١ ـ المشتركون فى الموقف :

وهو بعد يهتم بتحديد العنصر البشرى فى موقف الملاحظة وهنا يتحتم على الباحث معرفة كل ما يرتبط بهم من خصائص مميزة كالعدد والسن والجنس ودور كل منهم وعلاقاتهم بعضهم ببعض وشكل تنظيمهم وميكانيزمات تفاعلهم •

٢ ـ مسرح الحوادث :

وهو بعد يهتم بالعنصر المكانى أو الايكولوجى لموقف الملاحظة حيث يهتم الباحث بالخصائص المكانية للموقف الاجتماعى وأشكال السلوك المرتبطة بكل نموذج مكانى ، فسلوك الأفراد فى المقهى مثلا يختلف عن فى المسجد أو فى السوق أو فى المدرسة •

٣ ـ الهدف من الموقف :

ويقصد به الكشف عن طبيعة تجمع الأفراد فى موقف الملاحظة هل هو تجمع عارض أم تجمع يحقق هدفا من الاهداف ثم ما هو طبيعة هذا الهدف ودرجة استجابة المشتركين لهذا الهدف.

٤ ـ السلوك والتفاعل الاجتماعى :

وهو بعد يركز على نشاط أو سلوك أو تصرفات الافراد كما يرتبط بطبيعة هذا السلوك هل هو سلوك عفوى أو مخطط وما هى أهدافه ووجهاته وخصائصه وآثاره ؟

٥ ـ أنتظام الموقف وتواتره :

وهو يشير الى البعد الزمنى للموقف من حيث بدء حدوثه والفترة الزمنية التى يستغرقها ودرجة تكراره أو تواتره ودرجة اتفاقها أو اختلافه عن مواقف أخرى وأخيرا العوامل والظروف التى تؤدى الى ـ أو تحول دون ـ حدوثه .

الملاحظة المنظمة

هى شكل من أشكال الملاحظة تستخدم كأداة لجمع البيانات ولكنها تتميز بما يرتبط بها أو تتضمنه من درجة الضبط العلمى ودقة التحديد ، لذلك يشاع استخدامها فى الدراسات ذات الطابع العلمى المتعمق سواء كانت دراسات وصفية متعمقة أو دراسات

تشخيصية أو دراسات توضح أو تختبر العلاقة السببية بين المتغيرات ، ولعل أهم ما يميزها أن الباحث يعرف مقدما أى الجوانب أو الابعاد ذات الاهمية المباشرة لموضوع بحثـــه فيوجه ملاحظاته ويستخدم الادوات أو يخطط أجراءات تمكنه من اجراء بحثه وفقا للخطــة التى رسمها أو وضعها سلفا •

ويتنوع أسلوب الملاحظة المنظمة بدوره حيث يمكن أن نميز بين :

١ ــ ملاحظة منظمة فى مواقف طبيعية : وهى تعتبر أدق أشكال الملاحظة المنظمــة حيث أن طبيعية الموقف تمكن الباحث من الحصول على قدر من المعلومات الدقيقة قـــد لا يتوفر له فى أى شكل آخر من أشكال الملاحظــة •

٢ ــ ملاحظة منظمة فى مواقف مصطنعة : ويتمثل هذا الشكل فيما يقوم بـــه الباحث من تجارب اما لتكرار أو تعديل بعض الظروف المحيطة به كما يحدث فى مجـــال العلوم الطبيعية وبخاصة فى معامل التجربه • ونشير هنا الى أنه فى مجال البحـــوث الاجتماعية نجد أن الباحث يعتمد على ما يعرف باسم التجربة السلبية أو غير المباشـــرة بمعنى أنه يتعذر على الباحث خلق موقف التجربة " المصطنع " وعليه أن ينتظر حـــتى يحدث الموقف حدوثا طبيعيا تلقائيا أو يبحث عن مواقف تتمثل فيها خصائص الموقف الذى يحاول دراسته •

ويرتبط بتقسيم الملاحظة المنظمة على النحو السابق الى طبيعية ومصطنعة علـى أساس للباحث من قدرة على التدخل لتهيئة أو اعداد موقف الملاحظة ، تقسيما آخـــر

لها يستند على أساس درجة مشاركة الباحث فى موقف الملاحظة • وفى ذلك تنقسم الملاحظة المنظمة ــ كالملاحظة البسيطة ــ الى ملاحظة مشاركة وملاحظة غير مشاركة :

أ ــ أما الملاحظة المنظمة غير المشاركة فهى التى لا يفصح فيها الباحث عن نفسه ليزيد من تلقائية أو طبيعية موقف الملاحظة ويحدث ذلك باختبائه وراء جدار أو شاشة بصرية تمكنه من الملاحظة دون أن يراه أحد من المشاركين فى الموقف •

ب ــ أما الملاحظة المنظمة المشاركة : فيصدق عليها ما سبق أن أوضحناه بالنسبة للملاحظة البسيطة من حيث شروطها ومقومات نجاحها •

وسائل تسجيل الملاحظات

يعتبر الأسلوب الذى يحدده أو يختاره الباحث لتسجيل ملاحظاته اجراءا منهجيا هاما لا يقل فى أهميته عن الاجراءات المنهجية الاخرى مثل تحديد شكل الملاحظة أو جوانب موقف الملاحظة • ويتضح ما لأسلوب التسجيل من أهمية فى ضوء ما يتركه من آثار سواء فى دقة البيانات التى يجمعها الباحث أو فى توجيه الملاحظة فى مسارات دون أخرى بل وحتى فى نجاح الملاحظة ذاتها كأسلوب ملائم لجمع البيانات "كثيرا ما تؤثر أساليب التسجيل المستخدمة فى البحوث فاستخدام المسجلات الصوتية أو الصور الفوتوغرافية مثلا قد يقلل الى حد كبير من تلقائية أو طبيعية الموقف مما يؤثر بدوره فى دقة البيانات التى يجمعها الباحث• ونود قبل المضى فى استعراض الأساليب المختلفة لتسجيل

الملاحظات أن نشير الى أن طبيعة الموضوع الذى يعالجه الباحث تحدد الشكل الملائم لتسجيل الملاحظات مثلما يحدد نوع الملاحظة كأداة لجمع البيانات ومثلما يحدد على نحو ما ذكرنا من قبل المنهج الملائم والطريقة المناسبة للبحث.

وطبيعى أن تختلف الأساليب المستخدمة للتسجيل بأختلاف نوع الملاحظة ذاتها ولذلك سنحاول أن نعرضها على هذا الاساس :

أولا — بالنسبة للملاحظة البسيطة :

نظرا لأن الملاحظة البسيطة أسلوب أو أداة أستطلاعية فان الباحث هنا يهمه فى المقام الاول أن يسجل أكبر قدر ممكن من المعلومات وفى هذا الصدد تترك للباحث بما لديه من مرونة منهجية — حرية الاختيار بين ما يعرف باسم التسجيل الفورى أو التسجيل البعدى للملاحظات.

أما التسجيل الفورى فهو قيام الباحث بتدوين ملاحظاته فى حينها أولا بأول على العكس من التسجيل البعدى الذى يبدأ فيه الباحث بعد الانتهاء كلية من موقف الملاحظة أو الانسحاب لفترة مؤقتة من موقف الملاحظة والعودة اليه بعد ذلك.

ولكل من الطريقتين مزاياها وعيوبها حيث يتميز التسجيل الفورى بأنه طريقة تجنب الباحث اخطاء الذاكرة والنسيان والتحيز فى بعض الاحيان ولو انها فى الوقت نفسه تفقد تلقائية أو طبيعية الموقف لما تثيره من شكوك أو مخاوف المشتركين فى موقف

الملاحظة هذا بالاضافة الى انها قد تشتت ذهن الباحث وتفكيره ما بين الملاحظة والتسجيل • وينطبق هذا التقييم السابق ولكن بصورة عكسية على التسجيل البعدى • بمعنى أنه قد يضمن طبيعية الموقف وتركيز الباحث لابعاد أو عناصر الملاحظة ولكنه في الوقت ذاته يجعل الباحث أكثر اعتمادا على الذاكرة مما يزيد احتمالات الوقوع في خطأ النسيان أو التحيز أو التحريف المتعمد أو غير المتعمد للملاحظات •

كذلك قد يختلف أسلوب التسجيل تبعا للطريقة التى تسجل بها الملاحظات أى كيفية تدوين البيانات التى يتوصل اليها الباحث من خلال الملاحظة وهنا يمكن أن نميز بين ثلاثة :-

١ - التسجيل الزمنى أو التاريخى للاحداث أى تدوين الملاحظات كما حدثت فى سياقها التاريخى أو الزمنى منذ بداية موقف الملاحظة حتى نهايته •

٢ - التسجيل القصصى للأحداث وفيه تدون الملاحظات على شكل مذكرات قصصية يرويها الباحث ويضمنها كل ما تمكن من ملاحظته من أحداث أو وقائع •

٣ - التسجيل التصنيفى : وفيه يقوم الباحث بتسجيل الملاحظات مصنفة الى موضوعات أو فئات يحددها وفقا لطبيعة الموضوع الذى يعالجه •

غير أنه على الرغم مما يتمتع به الباحث من حرية أختيار الاسلوب الذى يسواء

ملائما لنوعية البيانات المطلوبة ولخصائص موقف الملاحظة ذاته الا أنه ضمانا لدقة التسجيل يتعين عليه أن يضع فى اعتباره الاعتبارات التالية :

١ ـ ان دقة البيانات تتوقف على درجة الموضوعية فى تسجيلها وهنا يجب أن يكون الباحث على وعى تام بالفصل بين ما لاحظه بالفصل من احداث " الجانب الموضوعى " وبين تفسيراته الشخصية لما لاحظه " الجانب الذاتى " • وتتأكد الأهمية المنهجية لهذا الاعتبار بصفة خاصة فى موقف الملاحظة بالمشاركة التى تتطلب اندماج الباحث فى موقف الملاحظة اندماجا شبه كليا مما يزيد من احتمالات غلبة التفسيرات الذاتية على الجانب الموضوعى للملاحظات • ولو أنه يمكن للباحث تجنب مثل هذه الصعوبة بإدراكه أو تذكره الدائم بطبيعة دوره كباحث وبأهداف مشاركته فى موقف الملاحظة •

على الباحث أن يقوم بتسجيل جميع التفاصيل التى تحدث فى الموقف حتى ان كانت مألوفة لديه فكثيرا ما تكون للعناصر المألوفة للباحث دلالتها بما يخدم معالجته لموضوع البحث • وتتأكد أهمية هذا الاعتبار فى مواقف الملاحظة التى تجرى فى ثقافة الباحث أو مجتمعة على نحو ما أسلفنا •

٣ ـ يتعين على الباحث أن يكون مدركا أو فطنا لنوعية الملاحظات التى جمعها ومدى كفايتها أو عدم كفايتها للاحاطة بجميع جوانب الموقف فاذا ما تبين له أن هناك نقصا فى جانب ما عليه أن يكمله قبل الانتهاء من موقف الملاحظة •

٤ ـ المراجعة المستمرة للملاحظات التى سجلها الباحث ويتم ذلك بوسائل عدة منها استخدام الباحث لمسجل صوتى يحتكم اليه فى مراجعته لتقرير ملاحظته او استخدام اكثر من ملاحظ لنفس الموقف للمقارنة بين تقاريرهم وتسجيل ما اتفقوا عليه واستبعاد ما اختلفوا حوله من من بيانات او تفسيرات ، ثم اخيرا من ... عرض البيانات التى سجلها الباحث على ذوى الخبرة او بموضوع البحث والاستفادة بآرائهم فى موقف الملاحظة وموضوعاتها ... الخ .

ثانيا ـ بالنسبة للملاحظة المنظمة :

ان كثيرا مما ذكرناه من طرق التسجيل واعتبارات تتعلق بدقته بالنسبة للملاحظة البسيطة ينسحب على الملاحظة المنظمة حيث نجد ان الملاحظة المنظمة تستعين شأنها شأن الملاحظة البسيطة بعدد من الوسائل لتسجيل عناصر الملاحظة منها المذكرات التفصيلية التى تتضمن دقائق الموقف الاجتماعى والصور الفوتوغرافية التى توضح جوانب الموقف فى صورته الحقيقية وما يعتريه من تغير فى مراحل تالية ، والخرائط ... الخ . ولكن الملاحظة المنظمة نظرا لما تتميز به من دقة علمية وتحديد مسبق للجوانب التى يتعين على الباحث التركيز عليها اثناء الملاحظة فانها تنفرد بعدد من وسائل التسجيل خاصة بها مثل استمارات البحث او دليل الملاحظة وأسلوب الفئات ومقاييس التقدير .

أما استمارات البحث او دليل الملاحظة فهى استمارة تتضمن مختلف العناصر

الرئيسية والفرعية التى يشتمل عليها موقف الملاحظة والتى يركز عليها الباحث ملاحظاتــه دون غيرها لأن الباحث هنا ليس حرا فى اختيار مضمون الملاحظات بل يحدد مقدمــــا وبوضوح موقف الملاحظة وأبعاده أو جوانبه التى تفيد فى معالجته لموضوع البحث •

أما نظام الفئات لتسجيل الملاحظات فيتمثل ببساطة فى تصنيف السلوك الــى فئات مختلفة أو نماذج تصف موقف الملاحظة بطريقة كمية وشاملة • وتعتبر الفئة اطـــار مرجعيا يمكن الباحث من تحليل ملاحظاته فى بحيث يسجل الباحث سلوك أى فرد فــى الجماعة ويضعه فى احدى هذه الفئات طبقا لخصائص أو تعريف كل فئة •

أما مقاييس التقدير فهو أسلوب للتسجيل الكمى للملاحظات يكمل أسلوب الفئـات ويستخدم لتسجيل درجة مساهمة كل عضو من أعضاء الجماعة فى الموقف الذى يلاحظــه الباحث ويأخذ هذا المقياس شكل التدرج ليحدد الباحث نقطة معينة تشير الى درجــه مساهمة كل فرد على طول هذا التدرج •

وبالاضافة الى ذلك فانه نظرا لأن الملاحظة المنظمة تعتمد على الدقة والقيـاس فان اجرائها يتطلب شروطا أخرى بالاضافة للشروط التى ذكرناها فيما يتعلق بأجــــراء الملاحظـة البسيطة منها :

١ ــ تحديد موضوعات الملاحظة المنظمة تحديدا واضحا وانتظامها فى نظـــام وترتيب دقيـــق •

٢ ـ استخدام المقاييس المضبوطة التى تمكن من تحقيق أكبر قدر ممكن من ثبات النتائج وصحتها •

٣ ـ احتياجها لباحثين تتوفر لديهم اليقظة ودقة الملاحظة •

الملاحظة فى الميزان :

تعتبر الملاحظة كما قدمنا بأنواعها العديدة وسيلة من الوسائل التى يشاع استخدامها لجمع البيانات فى مجال البحوث الاجتماعية تتميز عن غيرها من الادوات بأنها تمكن الباحث من جمع بيانات تتعلق بالواقع الفعلى أو الامبيريقى للظاهرة موضوع البحث• كما أنها بتنوعها أو تدرج أشكالها من ملاحظات بسيطة الى ملاحظة علمية مقصودة تتلائم كأداة لجمع البيانات مع مختلف الدراسات الاجتماعية أيا كان مستواها كشفى أو وصفى أو تجريبى •

ومع ما للملاحظة العلمية من أهمية فى تقدم البحث العلمى فى مجال العلوم الطبيعية خاصة بعد التوصل الى استخدام مقاييس أكثر دقة وموضوعية فى تسجيل الملاحظات الا أن مجال استخدامها فى نطاق العلوم الاجتماعية لا يزال تحفه بعض الصعوبات فكثيرا ما يتعذر استخدامها فى دراسة بعض الموضوعات التى ترتبط بمواقف ماضية أو مستقبلية بل وأيضا فى بعض المواقف الراهنة التى ترتبط بأنواع من السلوك لا يكشف عنها القائمون بها كالسلوك الجنسى أو السلوك المنحرف أو الخلافات الأسرية •

هذا فضلا عن أن اعتماد أجرائها على العنصر البشرى أى على ما يتمتع به الباحث من يقظة وسلامة حواس وقدرة عقلية على التحليل وتذوق لما يلاحظه يجعلها أقل قدرة للوصول الى بيانات دقيقة وموضوعية ، ولو أن المتهمين بمناهج البحث يرون فى عملية تدريب الباحثين والاستعانة ببعض الوسائل الكميه للتسجيل امرا من شأنه أن يزيد من صلاحية وكفائة الملاحظة كأداة لها قيمتها فى جمع البيانات فى المجال الاجتماعى .

التمارين والاجراءات العملية للملاحظه المباشرة* observation

١ ـ التمرين المقترح :

الموضوع المقترح للملاحظة هو التنشئة الاجتماعية . ولكى نواجه بالسؤال : أين يمكن ملاحظة التنشئة الاجتماعية ؟ ، وطالما أن التنشئة تشير الى عملية امتصاص وغرس الانماط الجديدة من السلوك (والتى تشتمل أيضا الافكار والانفعالات والافعال الفيزيقية) فانه من المنطقى أن أحسن طريقة لفحص وتحليل مستويات الأستراتيجيات المتنوعه للتنشئة الاجتماعية هو تحديد الأشخاص الذين يعتبرون أعضاء جدد فى الجماعة ولحسن الحظ فان المجتمع مملوء بهذه الجماعات ، ولعل أكثر هذه الجماعات وضوحا هو مدارس حضانة الأطفال الصغار . ويمكنك أخذ هذه الجماعات كموضوع لملاحظاتك ، أو يمكنك أخذ جماعات مثل فريق كرة القدم أو طلاب الكليات العسكرية ولاحظ كيف يعمل الكبار فى حالة كل جماعة لتطبيع الاشخاص على شكل الجماعة .

---

* أعد هذا الجزء الدكتور محمد احمد بيومى

ونفترض أنك سوف تقوم بدراسة حضانة للأطفال فان مهمتك تنحصر فى الملاحظة ووصـــف بعض جوانب طرق التنشئة الاجتماعية والتى يستخدمها المربين فى تربية الاطفال من سن ٣ ــ ١٠ سنوات ولذلك ــ يجب أن تكون ملاحظاتك مركزة حول :

١ ــ عرض منظم لعملية التنشئة الاجتماعيـــة .

٢ ــ وصف عام عن التفاعلات التى تلاحظهـــا .

٢ ــ الاجراءات العملية للقيام بتمارين الملاحظة :

أ ــ قبل الذهاب الى الميـــدان :

(١) حاول التعرف على الموقف الذى سوف تلاحظه . بعض المواقف مثل محطات الاتوبيس مثلا مفتوحة لكل فرد . وهناك مواقف أخرى مغلقة وتشكل صعوبة للتعرف والنفاذ اليهـا . فلو قمت ببحث لملاحظة النظام التعليمى وحجرة الدراسة (على سبيل المثال) فأنت محتاج لأخذ موافقة من الجهات الرسمية . ولكن يجب على الباحث أن يضع فـــى اعتباره احتمال رفض طلبه لاجراء البحث ولذلك يجب أن يكون لديه البدائل التى يريـــد ملاحظتها .

والتمرين المقترح هو ملاحظة تلاميذ فى مدارس حضانة أو منزل صديق به عديـــد من الأطفال .

(٢) ضيق موضوع بحثك فعندما تدرك كيف أن ظاهرة التنشئة الاجتماعية أكثر تعقيدا فانك سوف تدرك الحاجة الى تركيز جهودك على أحد جوانبها فقط •

ويمكن أن يكون تركيزك على بعض جوانبها مثل رد الفعل للسلوك العدوانى أو التعثر أو الروح الرياضية • ويمكنك أيضا دراسة كيف يتعلم الأطفال عادات الطعام والسلوك المناسب نحو الكبار والمعايير فى أخذ الادوار والذين يكسرون لعب الآخرين ••• الخ •

وبطبيعة الامر فان عمليات التنشئة متنوعة ولكن يجب أن تتذكر انك مطالب بتحديد نفسك فى واحد فقط من جوانب التنشئة الاجتماعية •

فمن الافضل أن تقوم بمشروع بسيط عن أن تتناول مشروع مركب وتكون النتيجة عدم الدقة •

(٣) قرر ماذا تريد أن تعرف عن الموضوع الذى اخترته • وهذا فى الحقيقة تحديد آخر للبحث هل تريد مقارنة بعض جوانب التنشئة للاطفال الذكور والاناث أو تريد أن تدرس ردود فعل الاطفال لها • هل تريد أن تدرس استراتيجية التنشئة الاجتماعية للكبار فى مقابل الاطفال هل أنت مهتم بدراسة المدخل الرسمى فى مقابل الغير رسمى أو الظاهر أو الكامن ؟ • هل تفضل أن تجمع أو تصف بالتفصيل المداخل المختلفة المستخدمة ونتائجهم المباشرة ؟ هل تريد ان تأخذ جماعتين مختلفتين فى

العمر وتقارن بين الاتفاق والاختلاف في مداخل التنشئه الاجتماعية ؟

(٤) اختار موقف يمكن أن يعطيك الفرصة لنوى الانشطة التنشئية الذى تريـد دراسته • على سبيل المثال الاسباب التى تبين معيار أخذ الادوار أو الالعاب الاخرى التى تبين معيار الفشر وهكـذا ••

(٥) نظم ملاحظاتك وحاول أخذ بعض الملاحظات مسبقا • وضع خطة أوليـة لكيفية متابعة بياناتك • صمم جدول من ملاحظاتك حتى يمكنك تتبع الأفعال التى ترغب فى ملاحظتها والاشخاص الذين يقومون بها ورد الفعل لهم • وبطبيعة الحال فان هذه الخطه وهذا الجدول سوف يعدل بعد النزول الى الميدان ولكن هذه الخطة سـوف تجبرك على التفكير فى أنواع الانشطة التى تلاحظها وكيف يمكن تنظيم جمعهم •

(٦) حاول كتابة كل التفاصيل من التفاعلات التنشئية المناسبة وتفسيرك لها فى الوقت نفسه • وهذا يشمل التسجيلات الشفوية والاحاديث (حرفيا على قدر الاستطاعة) ووصف للمواقف الخاصة التى تعتمد عليها عليات التنشئه الاجتماعية ، ثم بملاحظة تفاصيل هذه التفاعلات دوريا اثناء قيامك بالملاحظة وذلك حتى لا تنسى • يجب ان تقـرر ان كنت سوف تأخذ ملاحظاتك أمام الجميع أم أنك سوف تلجأ الى مكان خاص لتسجيـل ملاحظاتك •

ب ـ في الميـــدان :

١) اختار الوضع الذى يمكنك ان تلاحظ فيه دون ان تؤدى الى اضطراب فى عمليات التفاعل .

٢) اختبر الخطة والجدول المصمم لتسجيل ملاحظاتك وتطورها .

٣) لو سمحت ظروفك فى الوقت الذى تلاحظ فيه ان تسجل وضعك وتفسيرك السوسيولوجى بمجرد أن يتراءى لك فالافكار المهمه التى قد لاتدونها قد لا تستطيـــع تذكرها فيما بعد عندما تحاول كتابة تقرير ويوميات ماذا يحدث ، ويجب ان تعطـــــى تبصيرات من الانماط المتكررة للتنشئة .

٤) لو أنك حصلت على بعض التبصيرات الخاصة الغير متوقعة للمشكلة السوسيولوجية التى تدرسها يجب أن تكون مرنا لمتابعتها فى ملاحظاتك الوصفية المنتظمة حتى ولـــم تكن أصلا مخططا لذلك .

٣ ـ عرض النتائـــج :

القيام بعمل ميدانى جيد يشكل نصف النجاح بالنسبة للمشروع ولكن الجـــزء الباقى يعتمد على تنظيم وتقديم النتائج بطريقة سهلة ومفهومة " وملاحظات الميـــدان لا يمكن أن تقدم التقرير النهائى ولكن تستخدم فقط فى المقارنة .

وفيما يلى بعض النقاط التى يجب أن يشملها التقرير الجيـــد .

١ ــ عبارة موجزة عن المشكلة الخاصة بالنشئة التى تبحثها .

٢ ــ وصف محدد للوضع الذى اخترته ولماذا اخترته . ويجب أن تشير هنا الى المشاكل واجهتها فى الميدان وماذا فعلت للتغلب عليها وكيف كان يمكن للنتائج أن تتأثر بذلك .

٣ ــ تقديم ومناقشة للنتائج . يجب أن تعطى القارئ شعور أو احساس بما كان يجرى فى الموقف ويمكنك توضيح ذلك بالتحليل مع الوصف للمواقف والمحادثات أو كلاهما .

٤ ــ جداول استخرجت من الجداول الميدانية التى تطورت لتسجيل الملاحظات وتكرارها والاشخاص الذين يقومون بها .

٥ ــ ملخص مختصر عن النتائج الهامة عن التنشئة الاجتماعية مصاغا فى ألفاظ ومفاهيم النظرية السوسيولوجية . بالاضافة الى أى فروض قد طورتها وترى انها تستحق الاختبار فيما بعد . ويجب أيضا أن تقدر القوة والضعف فى ملاحظاتك وفى الملاحظة كوسيلة لجمع البيانات .

٦ ــ اكتب تقريرك فى ثلاثة صفحات . ويجب ألا يشتمل التقرير الملاحظات الميدانية ولكن الاهتمام مركز حول كيفية الملاحظة وجمع البيانات وتحليلها .

التمارين والاجراءات العملية للملاحظة بالمشاركة Participant observation

١ ــ التمرين المقترح :

يمكنك اجراء بحثك على الجماعات الأولية . وفى هذا الصدد فأنت لست مطالب

بالالتحاق بأحد هذه الجماعات من أجل ملاحظتها ولكنما هو مطلوب هو تقديم تقرير متخصص عن التفاعل فى أحد الجماعات الأولية التى تنتمى أنت اليها مثل جماعة اللعب أو نادى معين مشترك فيه • هذا يسهل المهمة • حيث أن كل منا بطريقة أو بأخرى ينتمى الى جماعة على الأقل ••• ولهذا لن نضيع الوقت فى محاولة النفاذ الى أحد هذه الجماعات لدراستها • حتى ولو انك تلميذ فى الجامعة • فانه مما لا شك فيه أن لديك مجموعة من الاصدقاء • هذه الجماعة من الاصدقاء تصلح لان تكون موضوع لدراستك وملاحظتك حيث انك عضو فيها وفى نفس الوقت سوف تكون الملاحظ •

كذلك جماعات النوادى الاجتماعية فهى تصلح للقيام بالملاحظة بالمشاركة •

٢ ـ الاجراءات العملية للقيام بتمارين الملاحظة بالمشاركة :

أ ـ قبل الذهاب الى الميدان :

(١) حدد ما هو الجانب الخاص فى الجماعة والذى ترغب فى دراسته • وطالما أنت محدد بوقت معين للانتهاء من ملاحظاتك فانه من الاساسى أن تحدد أنواع التفاعل الجماعى الذى ترغب فى معرفته عن الجماعة • وسوف تستعرض بعض منها •

أ ـ ركز على أنماط الأتصال فى الجماعة فكل الجماعات تطور " لغة سرية " سواء باستخدام حركات أو اشارات لفظية أو غير لفظية •

ب ـ افحص انماط القيادة : من هم القادة وكيف يحتفظون بمركزهم ؟

ج) اعطى اهتماما لمشاكل هذه الجماعة وكيف تحاول الجماعة حلها .

د) اكتشف وسائل التعاون وعمليات التبادل ومن يقوم بها وما هى ؟ ولمن ؟

هـ) تعرف على الجزاءات أو العقاب للأعضاء الذين يتعدون على القواعد أو المعايير أو الذين يحاولون تغيير أدوار سلوكهم المتوقعة فأنت كعضو يمكنك أن تغيير سلوكك المعتاد حتى يمكنك قياس محاولة الاعضاء الاخرين لارجاعك للسلوك القديم ولو أخذت بهذه الفكرة فانه من الواجب قبل القيام بذلك أن تلاحظ الجماعة بالنسبة لدورك العادى حتى يمكنك ان تقارن بين اتجاهات الجماعة فى الحالتين .

(٢) حدد بوضوح أكثر جوانب موضوع دراستك . فكر فى أنواع الظواهر الاجتماعية التى سوف تستخدمها على أنها امثلة حية للمشاكل . فعلى سبيل المثال لو انك كنت مهتم بكيفية حل الجماعة لمشاكلها . يجب تحديد أولا ما يعتبر مشكلة . وهل سوف يكون ضروريا لاتخاذ قرار مثل ان يدفع الاعضاء تذاكر المصب . أو هل من الواجب أن تهدأ التوترات الناتجة من المناقشات ؟ وما هى حلولك المقترحة لهذه المشاكل ؟

ولا بد أن تعطى وقت كاف لدراسة هاتين الملاحظتين السابقتين قبل الذهاب الميدان .

ب – فى الميـــدان :

بكونك عضو فى جماعة أولية فانه من المستحيل أن تسجل ملاحظاتك فى نفس الوقت

الذى تقوم فيه بدورك كعضو مشارك ولهذا فانه من الضرورى أن نعتمد من وقت لآخـــــر أو كلما أمكن ذلك بعد كل ملاحظة لكى تكتب وصفك لها .

ويجب أن تحدث طبيعيات الحوادث ويجب أن تفصل ملاحظاتك عن تفسيراتك .

عـــــرض النتائج . :

يجب أن يحتوى تقريرك على الآتـــــى :

١ ــ عبارة اجمالية عن المشكلة السوسيولوجية الخاصة التى تبحثها .

٢ ــ وصف لنوع الجماعة الاولية التى تبحثها والوضع والأوضاع التى تتخذهـــــا لملاحظتك المشاركة .

٣ ــ فقرة مختصرة تعطى تفاصيل تتعلق بالآتــــى :

أ ــ عدد المرات التى كنت فيها مع الجماعة .

ب ــ وما هو الوقت الذى قضيته فى كل مرة .

٤ ــ أدلة لكل نتيجة مثل وصف موضوعى مختصر عن التفاعلات أو الحادثات الـــتى لاحظتها أو سمعتها .

٥ ــ تفسير لنتائجك مستخدما المفاهيم السوسيولوجية . ما هى الملاحظات الاخرى والتى تريد القيام بها فيما بعد . حاول تكوين فروض يمكنك اختبارها فى أحـد الجماعات الأولية غير تلك التى قمت بملاحظتها .

٦ ــ بعض المشاكل التى واجهتها فى عمل هذه الملاحظات وماذا فعلت للتغلـــب عليها وكيف كان من الممكن أن تتأثر النتائج بذلك .

٧ ــ يجب أن تقدم تقريرك فى ثلاثة صفحات ويجب أن تلحق بملاحظاتك البدائيـــة الميدانية التى تبين مهاراتك لملاحظة التفاعل الاجتماعى .

ثانيا : المقابلة

١ ـ تعريف المقابلة

٢ ـ نماذج المقابلة

٣ ـ تصميم المقابلة واجراؤها

٤ ـ تقييم المقابلة بمقارنتها بالملاحظة

أدوات جمع البيانات

(٢) المقابلة : Interview (١)

كثيرا ما يتم موضوع البحث ضرورة أن يتعرض الباحث لتحليل بعض أنماط السلوك التي يتعذر عليه ملاحظتها لانها تحدث على نحو شخصي أو خاص . في مثل هذه الظروف يجد الباحث أنه من الافضل أن يسأل جمهور البحث بدلا من أن يلاحظ سلوكهم أن معتقدات الافراد واتجاهاتهم أمور هامة يتعين على الباحث معرفتها ولكنها في الوقت نفسه لا يمكن أن ترى لانها ليست أنماطا مشخصة للسلوك ولو أنها دوافع لها . كما أنها لا يمكن أن تسجل كتابة ولا يمكن للوثائق أو السجلات أن تقدم وصفا أو تحليلا لها من هنا يجد الباحث أن من أفضل الطرق الملائمة لجمع البيانات أن يذهب بنفسه للأفراد ليوجه اليهم بعض التساؤلات التي تفيد أجابتهم عليها في القاء الضوء على هذه الجوانب غير الملموسة في الموقف - أو التي لا تخضع للملاحظة - وفي بعض الاحيان يكون من الممكن للباحث أن يسأل عدد قليل من الافراد بل قد تمثل هذه الخطوة اجراءا منهجيا عاما على الاقل في المرحلة الاستطلاعية للبحث ولكن يندر أن يوفي الاعتماد على عدد قليل من الاخباريين بالنتائج المرجوة للدراسة خاصة وأن ما يدلي به هؤلاء من معلومات لا بد من مراجعتها والتأكد منها .هذا بالاضافه الى أنه كلما زاد مجتمع البحث تعقيدا أو اتساعا اضطر الباحث الى الاعتماد على عينة ممثلة له أما كيف تختار العينة والحجم الامثل لها وأنواعها أو نماذجها فهذا سوف نناقشه بالتفصيل في

---

(١) هذا الفصل من اعداد الدكتور السيد عبد العاطي السيد

موقف لاحق ونركز هنا على توضيح الشروط والخصائص المنهجيه لاسلوب المقابلة كأداة لجمع البيانات تختلف كما أوضحنا من قبل عن أسلوب الملاحظة بأنواعها المتعدده •

ويستطيع الباحث أن طريق البريد

أو عن طريق التليفون أو من خلال المواجهة المباشرة لهم • وتعتبر المقابلات التليفونية وسيلة أقل ذيوعا وانتشارا خاصة فى تلك البلاد التى تقل فيها نسبة من يمتلكون هـذا الجهاز فى منازلهم بينما نجد أن المقابلات البريدية بما لها من خصائص معينة قد تتفق مع ظروف خاصة للبحث حيث تفيد فى جمع بيانات من أفراد مبعثرين جغرافيا على مدى رقعة سكانية شاسعة ومن مزاياها أنها تمكن الافراد من الادلاء بآرائهم دون حرج أو خوف فكثيرا ما يدلى بعض الافراد على حد تعبير بوسارد وبول بالقدر الكبير من المعلومات عن طريق استخدام الكتابة أكثر مما يصرحون به شفاهة أمام الباحث ولسيو أن من عيوبها أن كثيرا ما يهمل الافراد فى الاستجابة المباشره لموضوع البحث ومن ثم لا ترد أستمارات الاسئلة الى الباحث وعلى ذلك يمكن القول أن مثل هذه البحوث البريدية يجب أن تحدد فى ضوء نوعية خاصة من جمهور البحث لمعالجة موضوعات خاصة تجذب اهتمام الافراد • بعبارة أخرى يتطلب اجراء هذا النوع من المقابلات درجة معينة من الثقافة والتعليم •

غير أنه قد يتطلب أجراء بعض البحوث توجيه أسئلة لعدد كبير من الافـراد يختلفون فيما بينهم من حيث درجه أو مستوى التعليم الامر الذى يجعل استخدام المقابلة

المباشرة وجها لوجه بين الباحث والمبحوث اجراء ضروريا لجمع البيانات اللازمة للدراسة وربما كان الهدف الرئيسى لمثل هذا النوع من المقابلة فى العلوم الاجتماعية هو كما يقول حون مادج جعل الافراد يتحدثون عن أنفسهم ولو أنها تجعل الباحث كما تقول مارجريت ستاس يعتمد تماما متوسلا على النية الطيبة للمبحوث فالباحث فى مثل هذه الحالات يختلف عن الطبيب أو الاخصائى الإجتماعى أو المحامى (وكلهم يستخدمون أسلوب المقابلة) لانه على العكس من هؤلاء هو الذى يحتاج الى المبحوث وليس العكس فهو يحدثه عن موضوعات قد لا تهم المبحوث ولا تقدم له نفعا مباشرا الامر الذى يجعل الباحث فى موقف " طالب المساعدة " لذلك كان على الباحث أن يبدأ المقابلة بطلب مساعدة المبحوث " حيث تبدأ المقابلة بقول الباحث هل تستطيع أن تساعدنى " خاصة وأنه ليس هناك ما يجبر المبحوث على الادلاء بأجاباته حول تساؤلات الباحث بل يتوقع كما كشفت عن ذلك عدد كبير من الدراسات أن تؤدى ممارسة الضغط أو القوة على المبحوث الى الادلاء ببيانات مضللة تضر نتائج الدراسة وأهدافها بقدر أكبر مما يترتب عن الامتناع على الاجابة من أضرار .

وعلى أية حال ، فان المقابلة تهدف كأحدى وسائل جمع البيانات الى التوصل الى بيانات ومعلومات تتوفر لها درجة كبيرة من الثقة والصدق والثبات ، ولكنها بطبيعتها أداة لجمع بيانات يدلى بها أفراد حول موضوع ما دون الزام أو أجبار ، كيف يستطيع الباحث اذن أن ينجز مهمته بنجاح ، أى كيف يستطيع أن يضمن تعاون جمهور البحث معه من ناحية ، وكيف يتسنى له الحصول على معلومات يثق بها ؟ ، لقد أشرنا

من قبل الى ضرورة أن يستهل الباحث موقف المقابلة "بطلب مساعدة" جمهور المبحوثين لأداء مهمته ، وتشير هنا الى أهمية وضرورة ان يقوم الباحث بشرح أهداف دراسته بلغة يسهل على جمهور البحث فهمها واستيعابها . ذلك لان المقابلة – على حد تعبير جود Good, M. وهات Hatt – هى جوهرها عبارة عن عملية تفاعل اجتماعى يحتم على الباحث الالمام بمشاعر المبحوثين واهتماماته . كما يحتم عليه تنمية قدرته على الاستبصار بمعنى أن يكون واعيا يقظا وحساسا لمختلف الدلالات العاطفية التى تظهر فى موقف المقابلة والتى تمكنه بدورها من التعرف – بدرجة ما – على مدى صدق ما يدلى به المبحوث من بيانات ومن ثباتها أيضا . وهنا يشير المؤلفان الى بعض الخصائص التى ينبغى أن يتسم بها الباحث ضمانا لنجاح هذا الموقف التفاعلى منها اعتدال مظهره وحركاته وتعبيراته – اللفظية والوجهية – أثناء المقابلة واعتدال استجابته لما يسمعه من المبحوث من معلومات ، واعتدال استخدام مهاراته لتقطى الحقائق من المبحوث . وأن يظهر فى النهاية احترامه وعدم تحيزه أى بعبارة أخرى التحكم فى نزعاته التحيزية فلا يحاول أن يفرض رأيا أو يدلى بحكم معين على أقوال المبحوث ، بل عليه أن يشجع المبحوث على الادلاء بآرائهم دون حرج أو خوف . ونعتقد شاسى أن تحلى الباحث بهذه الخصائص التى ذكرها جود وهات الى جانب المامه وتمرسه على استخدام وسائل جمع البيانات استخداما علميا منظما تمثل عوامل ذات أهمية خاصة لانجاح موقف المقابلة .

مما تقدم نستطيع أن نعرف المقابلة بأنها :

" وسيلة لجمع البيانات تستخدم بكثرة فى البحوث الاجتماعية ، تتمثل فى ايجاد موقف مواجهة بين فردين (باحث ومبحوث) يرتكز على تفاعل لفظى بينهما ، فيه، يحاول الباحث استثارة بعض المعلومات ــ أو التعبيرات ــ لدى المبحوث تدور حول خبراته ، وآرائه ومعتقداته لاستغلالها فى بحث علمى ــ أيا كانت طبيعة هذا البحث ــ كشفى كان أو تشخيصى أو علاجى ".

ويعتبر هذا التعريف الذى قدمناه تعريفا عاما للمقابلة كأداة لجمع البيانات يصدق ــ بما تضمنه من عناصر أساسية وميزه ــ على مختلف أنواعها وأشكالها ، ولو أننا نعتقد أن وضع الحدود الفاصلة لكل شكل سيعمق من تعريفنا المبدئى السابق .

<u>أنواع المقابلة :</u>

يستطيع لمن يطلع على مختلف المراجع والكتب ــ العربية والاجنبية ــ التى عنيت بمناهج وطرق البحث الاجتماعى ، أن يقف على أشكال متنوعة للمقابلة اختلفت فيما بينها باختلاف " الاساس " الذى أستند اليه الكاتب أو المؤلف فى تصنيفه للاسلوب الذى تستخدم فيه المقابلة كوسيله لجمع البيانات . ونستطيع من خلال ما أتيح لنا الاطلاع عليه من كتابات فى هذا الصدد أن نلخص الاسس المختلفة للتصنيف وبالتالى أنواع المقابلة فيما يلى :

<u>١ ــ من حيث الهدف :</u>

ويقابل هذا الاساس التصنيفى بوساطة السؤال التالى :

" لماذا يستخدم الباحث " المقابلة " ، ولاى الاغراض ، ثم كيف " يوظف " أو يستفيد الباحث من البيانات التى سيجمعها موقف المقابلة . وفى هذا الصدد يمكن أن نميز بين :

أ ـ مقابلات بحثية Research interview : وهى التى يشاع استخدامها فى المراحل الأولى لتعميم البحث ، حيث يستطيع الباحث من خلال ما يقوم به من مقابلات " استطلاعية " مع عينات من جمهور مجتمع البحث أو مع الخبرات ذات الصلة الوثيقة بموضوع بحثه أن يتوصل الى صياغة أدنى لمشكلة البحث . وفى هذا النوع من المقابلات يبدو المقابلة " الكشفى " أو " الاستطلاعى ـ كهدف لها ـ واضحا بقصد التعرف على بيانات أو حقائق يجهلها الباحث وبالتالى تفيد كما قلنا فى تعرف الباحث على مختلف أبعاد الموقف موضوع بحثه .

ب ـ مقابلات تشخيصية وتفسيرية Diagnatic , explanatary :
وتعنى أساسا بالتوصل الى مجموعة من البيانات أو المعلومات التى تمكن الباحث من تفسير حالة أو وضع ما ، ويعتبر هذا النوع من المقابلة أكثر تعمقا من النوع السابق لان الباحث فى هذه الحالة ـ رغم محاولته لاستطلاع بعض الجوانب التى تفسر موقف ما ـ لا يقتصر على الكشف والاستطلاع بل يستخدم ما يتوصل اليه من معلومات فى " تفسير " الموقف موضوع بحثه .

جـ ـ مقابلات علاجية : treatment clinic ، ويكثر استخدامها فى مجالات الطب النفسى و " التأهيل النفسى والاجتماعى " للمسوقين والمنحرفين ... الخ

وان كنا نعتقد أنه من الممكن استخدامها فى مجال " مواجهة مشكلات المجتمع المحلى " و" فتنشيط المشاركة الاجتماعية للافراد فى مجال تنمية المجتمع ... الخ وعلى أى حال فان محور الارتكاز فى مثل هذا النوع من المقابلة يتمثل فى جمع البيانات والمعلومات من " الفرد " أو " الموقف " بقصد تشخيص " المشكلة " وتدبير الوسائل الملائمة لحلها ومواجهتها .

٢ ـ من حيث دور كل من الباحث والمبحوث فى موقف المقابلة تنقسم المقابلة كما أشرنا من قبل الى " المقابلة البريدية ـ المقابلة التليفونية ـ المقابلة المباشرة " وتكشف هذه الانواع عن درجات متفاوتة لتدخل الباحث فى موقف الحصول على البيانات فتدخل الباحث فى المقابلة البريدية يكاد يكون معدوما كما سبق أن أشرنا ولو أننا نرى أن الباحث بتصميمه لاسئلة الاستمارة البريدية يمارس نوعا من التدخل غير المباشر خاصة لانه يوجه اهتمام المبحوث نحو موضوعات معينة ، ويتدخل الباحث بدرجة أكبر فى المقابلة التليفونية ولو أنه لن يتمكن كما أشرنا من ملاحظة مشاعر المبحوث أو انفعالاته بالنسبة لموضوعات البحث وهى كلها أمور لها أهميتها كما نعلم . فاذا ركزنا اهتمامنا على موقف المقابلة المباشرة نجد أن تدخل الباحث هنا يتفاوت أيضا رغم ما بينه وبين المبحوث من تفاعل ومواجهة مباشرة وفى هذا الصدد يمكن أن نقسم المقابلة المباشرة الى :

أ ـ مقابلة غير موجهة وتعرف باسم المقابلة البسيطة وفيها يهيء الموقف للمبحوث ليتحدث عن نفسه ومشاعره وتهمه ... الخ بحرية مستندة على مايعرف باسم تداعى المعانى

أو التداعى الحر بعبارة أخرى يكون فيها موقف الباحث أكثر سلبيه لانه لا يحدد أسئلــــه أو استجابات بطريقه قبليه •

ب ــ مقابلة بؤرية أو محورية • وفيها يقوم الباحث بتركيز أهتمام المبحوث فــى مجال معين أو خبرة معينة بحيث نجد أنه رغم ما يتاح للمبحوث من حرية التعبير عن آرائه الا أن توجيه موقف المقابلة يخضع لسيطرة الباحث وحده •

٣ ــ ومن حيث عدد المشتركين فى موقف المقابلة يمكن أن نميز بين :

أ ــ مقابلات فردية : وهى موقف مواجهة مباشرة بين باحث واحد ومبحوث واحد فقــــــط •

ب ــ مقابلات جماعية : تتعدد فيها أطراف المقابلة لتأخذ بدورها أشكـــالا مختلفة أما أن تكون بين باحث واحد وأكثر من مبحوث ، وأما أن تكون بين مبحوث واحـــد وأكثر من باحث ، وأما أن تكون عدد من الباحثين وعدد آخر من المبحوثين لتأخذ المقابلة شكل المناقشة الجماعية •

٤ ــ ومن حيث درجة الضبط أو مستوى التقنين عند اجراء المقابلة تنقسم المقابله الى

أ ــ مقابلة حرة غير مقننة لا تتحدد فيها شروطا أو عناصر معينة لاجرائهـــــا " مثل تحديد أسئلة معينة يوجهها الباحث للحصول على بيانات معينة " •

ب ــ مقابلة مقننة : وهى على العكس من الاولى يتحدد لها مقدما عناصر المقابلة

وموضوعاتها وأسئلتها التى يتحدد عددها وصياغتها وترتيبها وطريقه القائها على نحو سابق لاجراء المقابلة ١٠

تلك هى أهم الاسس التى تستخدم لتصنيف المقابله أو تحديد نماذجها المتمايزة على أنها لن نهتم فى هذه المحاضرات الا بالاساس الاخير " و مستوى التقنين " لما له من أهمية خاصة فى تقييم المقابلة كوسيلة لجمع البيانات لذلك سنقتصر هنا على الحديث عن شكلين مختلفين من أشكال المقابلة هما كما نوهنا من قبل المقابلة المقننة وغير المقننة • ونود قبل أن نستعرض الخصائص المميزة لكل منهما أن نشير الى أن كل من المقابلة المقننة وغير المقننة يمكن اعتباره طرفا لمتصل واحد وأنه قد توجد بين كلا الطرفين سلسلة كبيرة من درجات متنوعة للضبط الذى يمارسه الباحث عند اجراء المقابلة •

١ ـ المقابلة المقننة : Structured interview

وهى كما ذكرنا عملية مواجهة تحدد فيها عناصر المقابلة وموضوعاتها وأسئلتها وعدد هذه الاسئلة وكيفية صياغتها وترتيبها وطريقة القائها وأسلوب تسجيل الاجابة عليها بطريقة محددة من قبل ويكثر استخدام هذا النوع من المقابلات فى المراحل المتقدمة للبحث وخاصة عندما يتطلب موضوع الدراسة اجراء مقابلات لعدد كبير من الافراد " مقابلات جماعية " ويعنى التقنين هنا توجيه الاسئله لجميع المبحوثين بنفس

الكلمات والترتيب كما يهدف الى التوصل الى استجابة موحدة بنفس الاسئلة • وسنحاول في الفصل التالي أن نوضح أسلوب صياغة الأسئلة وكيف أن هذه الصياغة تنطوي بدورها على درجات مختلفة من التقنين •

٢ ـ المقابلة غير المقننة Unstructurecl interview

ويشيع استخدامها في المراحل الاولى وفي الدراسات الكشفية أو الاستطلاعية فيها يوضح الباحث الهدف من البحث كما يحدد موضوعه " موضوع المقابلة " بطريقة عامة للمبحوث ويترك له الكلمة بالطريقة التي تروق للمبحوث وتضمن للباحث في نفس الوقت الحصول على أكبر قدر من المعلومات والبيانات المرتبطة بموضوع البحث/ • ومن الطبيعي أن لا تسمح المقابلة غير المقننة بعقد مقارنات بين الاستجابات المختلفة للافراد كما هو الحال بالنسبة للمقابلة التقنية كما أنها تتطلب قدارا من مهارة الباحث ومرونته أكبر مما تتطلبه هذه خاصة وأن على الباحث عند اجراء مقابلة غير مقننة أن يكون على وعي تام وفهم كامل لما يحدث وما يقال وما يثار من موضوعات في موقف المقابلة • وفضلا عن ذلك فانها تمكن الباحث ـ بما تتطلبه من مرونة ومهارة ـ من التصرف بقدر أكبر على معتقدات ومشاعر واتجاهات المبحوث وتتيح له فرصة أكبر للتحليل بل واستنباط الفروض أو صياغتها •

وتعتبر المقابلة غير الموجهة أكثر أنواع المقابلة بعدا عن التقنين حيث يكون الهدف منها هو حث أو دفع المبحوث الى الحديث عن نفسه بل واستمرار هذا الحديث

ومن ثم تترك له حرية كاملة للكلمة والتعبير ويشاع استخدام هذا النوع من المقابلة فــــى العلاج النفسى بصفة خاصه ولو أن استخدامها فى مجال البحوث الاجتماعية محدودا الا فيما يعرف باسم الدراسات الكشفية أو الاستطلاعيه • كذلك تعتبر المقابلة المحوريـــة أو البؤرية Focused interview شكلا آخر من أشكال المقابلة غير المقننة ولـــو أنها تمتاز بأنها أكثر رسمية أو صورية More Formal فيها يحدد الباحث مقدما قائمة بأسئلة أو موضوعات معينة يتطلب معالجة موضوع بحثه أن يغطيها • كما تترك للباحـــث حرية توجيه الاسئلة أو مناقشة الموضوعات المحددة بالترتيب الذى يعن له ويراه ملائمـــا لانجاح موقف المقابلة كما تترك للمبحوث حرية التعبير عن آرائه ولكن فى اطار توجيـــه المقابلة الذى يحدده الباحث • ويفيد هذا النوع من المقابلات فى الدراسات الـــتى تهتم بتوضيح وتحليل الخبرات والمشاعر والاتجاهات والدوافع أما بقصد اختبار فـــروض معينة أو بهدف الحصول على بيانات تساعد على صياغة فروض جديدة للبحث•

وكما أشرنا من قبل فان المقابلات غير المقننة استخدامها فى المراحل الأولـــى أو الاستطلاعية للبحث • كما تستخدم وبنفس الكفائة فى تلك الدراسات المركزة الـــتى تتطلب فهما أكثر عمقا لموضوع البحث•

تصميم المقابلة واجراؤ هـــــــــا

أيا كان النموذج الذى يختاره الباحث للمقابلة كأداة لجمع البيانات اللازمـــة للبحث فان كفائة هذه الاداة تتوقف على بعض الاعتبارات التى ترتبط بتصميمها وبطريقـــة

اجرائهـا • والمقصود بالتصميم عملية تحديد نوع المقابلة التي سيجريها الباحث ووظيفتها ثم تحديد مضمونها أي ما تشتمل عليه من موضوعات تطرح للمناقشة الحرة أو أسئلة تغطي الاجابة عنها جوانب عامة للبحث هذا بالاضافة الى تحديد أفراد العينة أي الافـــراد الذين سيجرى معهم المقابلة وتدريب من يستعان به من الباحثين لاجرائها أوتطبيقهـــا • وبناء على ذلك فان الباحث يجب أن يضع في اعتباره ما يلـــي :

١ ــ تحديد نوع المقابلة هل هي مقننة أم غير مقننة وذلك بما يتفق وموضـــوع الدراسة فطبيعة الموضوع تحدد كما ذكرنا نوع المنهج والطريقة الاداة المستخدمة لجمع البيانات • كما أن نوع المقابلة المستخدمة يتحدد ليس فقط وفقا لطبيعة الموضوع بل وأيضا وفقا لاهداف الدراسة ومستويات التحليل المطلوبة وما وصلت اليه دراسات أخرى سابقـــة من مستوى معين من الوصف أو التحليل أو التفسير لموضوع الدراسة •

٢ ــ وكما يتحدد نوع المقابلة المستخدم في ضوء هذه الاعتبارات السابقـــة فان ما يدور فيها من أسئلة يجب أن يحدد تحديدا واضحا عددا ومضمونا وصياغة وترتيبا ونوعا في اطار موضوع البحث وأهدافه ونوعية مجتمع البحث •

٣ ــ ولما كانت المقابلة عبارة عن موقف تفاعلي بين باحث ومبحوث فان نجاحها يتوقف الى حد كبير على انجاح موقف المقابلة ويعتمد ذلك بالدرجة الاولى على نوعيـــة الباحث وما يستعين به من باحثين وعلى نوعية المبحوثين أنفسهم •

فمن ناحية يجب أن يعني الباحث في اعتباره حسن اختيار من يعتمد عليهم من الباحثين لاجراء المقابلة ويشترط في هذا الصدد قدرا من المهارة والخبرة والمرونة والامانة والاستبصار واليقظة لاختيارهم كما يعمل بعد ذلك على تنظيم برامج لتدريبهم موضحا لها أهداف الدراسة بوجه عام وأهداف المقابلة بوجه خاص ليثير فيهم الاهتمام بتوفير المعلومات اللازمة للبحث كما يضع لهم بعض الارشادات الخاصة التي تمكنهم من أداء مهمتهم بنجاح وتجنب كل ما من شأنه أن يعوق دون ذلك •

ومن ناحية أخرى يجب على الباحث أن يحدد عينة بحثه " أي الأفراد الذين سيجري معهم المقابلة " وذلك بعد أن يتعرف على مستواهم الفكري والثقافي وعلى ظروفهم وعاداتهم وتقاليدهم وقيمهم مما يمكنه في نهاية الامر من صياغة ملائمة للاسئلة أو تحديد ملائم للموضوعات المطروحة للمناقشة من ناحية كما ييسر له من ناحية أخرى تحقيق قدر من التكيف معهم يضمن تعاونهم واستجاباتهم وأدلائهم بمعلومات تفيد بحثه •

ومن ناحية أخرى يتطلب الاجراء الجيد للمقابلة بعض الشروط التي ترتبط بعضها بالباحث ويرتبط البعض الآخر بموقف المقابلة بما يتضمنه من موعد زمني ملائم ومكان المقابلة ونوع الاسئلة التي تطرح • ونستطيع بهدف الايجاز والتحديد أن نجمع هذه الشروط فيما يلي :

١ - ان نجاح المقابلة يعتمد على كم المعلومات التي يحصل عليها الباحث من خلالها وأيضا على نوع هذه البيانات • ويتوقف نجاح الباحث في تحقيق ذلك على

توطيد علاقة صداقة بينه وبين المبحوث وهذا مبرروه يتطلب أن يكون الباحث حــذرا حساسا فطنا مرنا يعرف متى يترك للمبحوث الكلمة ومتى ينبغى عليه أن يتدخل لتوجيه المناقشة وعليه أيضا أن يعبر عن تقبله لما يدلى به المبحوث حتى يتيح له فرصه التعبير أو الكشف عن مشاعره وأفكاره واتجاهاته التى قد يحجم المبحوث عن الافصاح بها للغرباء. وهنا أيضا يجب على الباحث أن يكون مستمعا جيدا لان الانصات الذى يتوفر معه قدر من الاستبصار يتيح للباحث فرص تحليل وتفسير ما يسمعه .

٢ ــ يتعين على الباحث أن يبدأ المقابلة بمقدمة مختصرة يشرح فيها موضوع البحث وأهدافه وأهمية الدور الذى تلعبه ما يدلى به المبحوث من بيانات فى تحقيق أهداف البحث . وما أن يفرغ الباحث من ذلك عليه أن يبدأ بطرح بعض الاسئلة العامة التى لا تثير ريبة المبحوث أو مخاوفه أو حرجه . وتفيد مثل هذه الاسئلة فى العادة فى تقديم خلفية للمعلومات التى يحتاج الباحث اليها ولذلك فليس من العبث أن يخصص الباحث فترة من الزمن لطرح مثل هذه التساؤلات . وذلك قبل المضى فى الدخول بتساؤلات أكثر حساسية .

٣ ــ يتعين على الباحث أن يستخدم بعض الاسئلة الموجهة حتى اذا كانت المقابلة غير موجهة فى الاصل ذلك انه على الرغم من أن الاسئلة غير المقننة قد تفيد كما ذكرنا فى تعرف الباحث على جوانب وأبعاد قد يجهلها الا أنه يفضل أن يستخدم الباحث بين حين و آخر بعض الاسئلة الموجهة . والمقصود بالسؤال الموجه هو ذلك

السؤال الذى يصاغ بطريقة قبلية على الاقل فى ذهن الباحث قبل بدء المقابلة • وتفيــد مثل هذه الأسئلة فى العمل على استمرار المناقشة خاصة بعد أن يفرغ المبحوث مــن الحديث عن أحد الموضوعات الفرعية • فكأن الاسئلة الموجهة هنا تعتبر بمثابة حلقــات وصل للموضوعات التى تطرح للمناقشة • كما أنها تجنب الباحث من التكرار غير المتعمــد فى مناقشة أحد الموضوعات وأيضا تجنبه أغفال مناقشة أحد الموضوعات التى ينبغى عليــه مناقشتها • بعبارة أخرى تعتبر هذه الاسئلة وسيلة لبقة دبلوماسية للانتقال من موضــوع فرعى لاخر كما أنها فى الوقت نفسه وسيلة ضمان لان تغطى المقابلة كل الموضوعات الفرعية التى يتعين على المقابلة تغطيتها •

٤ ـ على الباحث أن يتدرج فى مناقشته وأسئلته من العموميات الى الخصوصيات حتى يستطيع أن يحصل على معلومات تفصيلية عن موضوع المناقشة فقد يخطأ بعض الباحثين اذ يعتقد أنه بمجرد أن يطرح ويتلقى اجابة المبحوث عليه يكون قد انتهى من مهمتــه لينتقل الى موضوع آخر ومن الاجدر على الباحث أن يطرح اجابة المبحوث عن ســؤاله للمناقشة حتى يسلم بمختلف جوانب الموضوع الذى يناقشه كى لا يعود لمناقشته مرة أخــرى اذ من الأفضل أن يعيد الباحث اجراء المقابلة لاستكمال مناقشة موضوعات جديدة بــدلا من أن يعيدها لاستيضاح أو استكمال بعض النقاط حول موضوع سبق له مناقشته مــع المبحوث • بعبارة أخرى يجب أن يكون الباحث متيقظا لما يدلى به المبحوث من اجابــات أو بيانات وما تحمله هذه الاجابات من معانى حتى اذا ما استغلق عليه فهمها طلب مــن

المبحوث مزيدا من الايضاح والتفسير ـ الامر الذى يؤدى فى النهاية الى أثراء مايحصل عليه من معلومات سواء من حيث الكم أو الكيف . وتتضح أهمية هذا المطلب بصفة خاصة فى تلك المقابلات التى تجرى مع ذوى الخبرات الفنية أو المتخصصة .

٥ ـ على الباحث أيضا أن يكون فطنا للموضوعات التى يكشف فيها المبحوث عن شحنه انفعالية واضحة فكثيرا ما تساعد دموع المبحوث أو حرجه أو غضبه أو اقتناع وجهة على رؤية الباحث لمشكلة البحث من خلال عين المبحوث . كما أن الباحث فى موقف المقابلة لا ينبغى عليه الاكتفاء بمجرد الانصات الى ما يقوله المبحوث بل عليه أيضا أن يدرك أو يتفهم كيفية استجابته للسؤال أو الموقف.

٦ ـ يتعين على الباحث أن يعيد توجيه المناقشات التى يتضمنها موقف المقابلة الى مجالات أو موضوعات أكثر خصوبة وثراء بالنسبة لموضوع البحث وخاصة فى الاوقات التى يشعر فيها أن المبحوث قد بدأ يدخل فى تفاصيل تافهة لا ترتبط بموضوع البحث .

٧ ـ على الباحث أن يأخذ بزمام المبادئة فى توجيه المناقشه وطرح الاسئلة على المبحوث وأن يكون لبقا فى اجابته على ما يلقيه عليه المبحوث من أسئلة فقد يحدث أن تفضى المناقشة الى توجيه المبحوث بعض الاسئلة الى الباحث فى هذه الحالة نجد أنه من الخطأ أن يرفض الباحث الاجابة على هذه الاسئلة كما أنه من الخطأ أن يجيب الباحث عليها على نحو قد يؤثر فى استجابة المبحوث . ومن الافضل أن يجيب الباحث

الباحث على هذه الاسئلة ولكن بشرط أن يتجنب الكشف عن رأيه الخاص فى موضــــوع المناقشـــــة •

٨ ــ على الباحث أن يضع فى اعتباره كيفية أنهاء موقف المقابلة وهنا يفضل أن ينهى المقابلة قبل أن يشعر المبحوث بتعب أو ملل أو ضيق لانصرافه عن عمل كان ينبغى القيام به • كما يفضل أن ينهى الباحث موقف المقابلة بما يبقى على علاقة الصداقة بينهما حتى يستطيع أن يعود مرة أخرى للمبحوث اذا لزم الامر • ومن ثم يجب على الباحـــث أن يكون لبقا وحريصا لانتقاء العبارات الملائمة لانهاء الموقف من ناحية ولمختلف الظروف الموضوعية التى تفرض أنهائه كانشغال المبحوث فى أمور أخرى أثناء المقابلة أو وصول بعض الغرباء أو حلول مواعيد الصلاة أو تناول الطعام من ناحية أخرى •

٩ ــ واذا كانت كل هذه الاعتبارات السابقة شروطا ضرورية لانجاح موقف المقابلة فان هناك أعتبار آخر يجب أن يتنبه اليه الباحث هو أن اختياره لاسلوب أو كيفية تسجيل موقف المقابلة وما ينجم عنه من معلومات يعد شرطا أساسيا لنجاح المقابلة كوسيلة لجمـــع البيانات اللازمة لان هذا التسجيل هو العائد النهائى الذى يحتاج اليه البحث والذى من أجله أجريت المقابلة • بل وأكثر من ذلك فان أسلوب أو طريقة تسجيل المعلومات مـــن شأنها أن تؤثر بدرجات متفاوتة فى موقف المقابلة ذاته • وعلى أى حال فان هناك عدة أساليب للتسجيل يتحدد استخدام بعضها دون البعض فى ضوء الهدف من البحث ونوع المقابلة ودرجة تقنينها ونوعية المبحوث ومدى استجابته لموقف المقابلة • ومن هذه الأسئلة نذكـــــر :

أ ـ التسجيل البعدى : أى تسجيل الباحث للمعلومات عقب أنهاء موقف المقابلة معتمدا على الذاكرة ولهذا النوع من التسجيل مزاياه وعيوبه حيث نجد أن اعتماد الباحث على الذاكرة من شأنه أن يزيد من احتمالات الوقوع فى أخطاء ولو أنه فى نفس الوقت يتيح الفرصة أوسع للمبحوث أن يعبر عن آرائه بحرية دون خوف أو حرج أو تردد كما يتيح للباحث فى الوقت نفسه القدرة على الاستبصار والتركيز وملاحظه الاستجابات الانفعالية للمبحوث .

ب ـ التسجيل الحرفى لكل ما يدلى به المبحوث أثناء المناقشة أو المقابلة :

بنفس الترتيب الزمنى الذى أتخذته المناقشة ويكثر استخدام ذلك النوع من التسجيل فى المقابلات غير الموجهة بصفة خاصة أو غير المقننة بصفه عامة .

ج ـ التسجيل الصوتى لموقف المقابلة ويكثر استخدامه فى مجال التحليل النفسى والطب النفسى بصفة خاصة ولو أن استخدامه فى مجال البحوث الاجتماعية كثيرا ما يؤدى الى معلومات خاطئة أو مضللة نظرا لما يثيره فى نفس المبحوث من ريبة أو خوف أونظرا لما يبديه المبحوث من تصنع أو تملق أو تكلف الامر الذى يؤدى فى النهاية الى طبع موقف المقابلة بطابع رسمى غير طبيعى أو تصنع .

د ـ تسجيل المعلومات أو البيانات على هيئة أجابات عن أسئلة رتبت على نحو معين كما هو الحال فى استمارات الاستبيان .

ونعود مرة أخرى لنؤكد أن المرونة المنهجية التى تحتم على الباحث أختيار منهج دون آخر أو استخدام طريقة دون أخرى أو تفضيل أداة لجمع البيانات على أداة غيرها • تحتم فى الوقت نفسه اختيار أسلوب معين فى التسجيل دون آخر وذلك وفقــا لما يتطلبه موضوع البحث من بيانات وما تحدده له من أهداف وما حدد للمقابلة ذاتهــا من مستوى للتقنين وما أتيح لموقف المقابلة من ظروف خاصة •

تقييم المقابلة بمقارنتها بالملاحظة كأدوات لجمع البيانـــات

ذكرنا فيما سبق أن طبيعة الموضوع الذى تدور حوله الدراسة تحتم على الباحث استخدام منهج معين لمعالجته وأختيار الملائمة لجمع البيانات المرتبطة به • لذلـــك يمكن القول أن الوزن النسبى الذى يعطيه الباحث لأى من الملاحظة أو المقابلة أمـــر يتوقف على طبيعة الموضوع الذى يعنى الباحث بدراسته • وعلى وجه العموم فان المقابلة تفيد كما أوضحنا فى الحصول على المعلومات والانطباعات والمشاعر التى يمكن التعبير عنها تعبيرا لفظا • وبالطبع يجب أن نضع فى اعتبارنا أن قدرا من التحريف أو التشويه يمكن أن يلم بالبيانات أو المشاعر أو الاتجاهات التى ينصح عنها المبحوث وهذا أمـــر يهمنا مناقشته بمزيد من الايضاح •

نستطيع أن نحدد أسباب هذا التحريف أو تشويه المعلومات أو الانطباعات فيما يلـــى :-

أ - قد يعدل المبحوث بطريقة لاشعورية من اتجاهاته ومشاعره عند افصاحه بها ليجعلها أكثر تقبلا من الناحيه الاجتماعية •

ب - كثيرا ما يعدل المبحوث وبطريقة لاشعورية أيضا من تقريره اللفظى بدافع أنفعالى لتشكيل الموقف بما يتفق وتصوراته • ذلك لأن وعى المبحوث بالحقائق أو الواقع الحقيقية قد يسبب له قلقا ما ويحاول تجنبه بالادلاء بمعلومات محرفة أو مشوشة •

ج - قد يرجع تحريف ما يدلى من المبحوث من بيانات الى تحيز واضح أو مستتر لموضوع المناقشـــة •

د - كثيرا ما ينسى المبحوث تفاصيل ما حدث ليدلى بما يتصوره أو يفترضه أنـه قد حدث بالفعل ولذلك فان اعتماد المبحوث على ذاكرته عند الادلاء بالبيانات المطلوبة كثيرا ما يصيب هذه البيانات بالقدر الكبير من التحريف أو التشويه •

والباحث الكفء يستطيع بما لديه من مهارة أن يتلمس مواضع التحريف أو التشويه فى تقرير المبحوث وقد يمكنه من ذلك ما يظهره المبحوث من تحيز واضح فى بعض المواقف وما أستطاع الباحث الحصول عليه من بيانات من مصادر أخرى قبل اجراء المقابلة •

وتتميز المقابلة عن الملاحظة كوسيلة لجمع البيانات التى قد لا يستطيع الباحث الحصول باستخدامه للملاحظة ومثال ذلك البيانات المرتبطة بأحداث وقعت فى الماضى

أو التى ترتبط بمواقف خاصة بالمبحوث قد لا يسمح للباحث بملاحظتها دون علم ـ له أو التى ترتبط بمواقف يثير تدخل الغرباء " الباحث الملاحظ " فيها تعديلا جوهريا فى أنماط السلوك التى تتضمنها •

وعلى الطرف المقابل تتميز الملاحظة عن المقابلة كأداة ملائمة لجمع البيانات اللازمة خاصة فى الكشف عن ميكانيزمات التفاعل وأنماط السلوك فأحيانا ما تكشف مشاهدة السلوك أو ملاحظته عن أكثر مما يكشف عنه التعبير عن هذا السلوك فى كلمات وألفاظ يدلى بها المبحوث • وهنا تبدو أهمية الملاحظة فى تسجيل مختلف الاستجابات النفسية والانفعالية بل والجسمية أيضا التى تحدث فى موقف الملاحظة والتى يتعذر تسجيلها أعتمادا على مناقشة موضوعات ما فى موقف المقابلة فى الوقت الذى تسمح فيه المقابلة بالكشف عن دوافع هذا السلوك أو الاسباب الكامنة وراء هذه الاستجابات النفسية خاصة وأنها تمكن الباحث من الكشف عن دوافع المبحوث ومشاعره واتجاهاته وعقائده ورغباته وهى كلها أمور يصعب الحصول عليها أو معرفتها عن طريق الملاحظة •

وبغض النظر عن هذا التقييم المقارن لكل من الملاحظة والمقابلة فاننا نستطيع بالتركيز على المقابلة ـ التى هى موضوع حديثنا فى هذا الفصل ـ أن نكشف عن نقاط الضعف فيها أو عن حدودها كأداة لجمع البيانات فيما يلى :

أ ـ ما يشوب البيانات أو المعلومات التى تجمع من خلالها من تحريف أو تشويه أو أخطاء يمكن أن تعزى فى جانب منها الى المبحوث " وهذا ما أوضحناه من قبل " بينما

ترجع فى جانب آخر الى الباحث نفسه • ويعتبر تحيز الباحث وانتمائه الايدولوجى والطبقى من ناحية ثم اعتماد الباحث على ذاكرته فى تسجيل موقف المقابلة من ناحية أخرى ومايرتبط به من فروق واضحة بين الباحثين فى هذا الصدد فضلا عن الخصائص الثقافية والاجتماعية لمجتمع البحث والظروف المحيطة بموقف المقابلة نفسه كلها عوامل تؤثر بدرجات متفاوتــــه فى تلك الاخطاء أو التحريفات التى تلحق بنتائج المقابلة •

ب ــ ما يرتبط بالمقابلة ذاتها كأداة لجمع البيانات من حدود أو قصور مثل :

١ ــ بساطة ما تتطلبه من تكاليف مادية وطول الوقت اللازم لاجرائها •

٢ ــ ما تتطلبه من باحثين على درجة من القدرة والمهارة بما يحتم ضرورة أعداد وتدريب القائمين بها •

٣ ــ ان اعتمادها على المبحوث كطرف آخر للمواجهة يجعل نجاحها ودقة البيانــات التى يحصل عليها الباحث من خلالها أمرا مرهونا بنوعية المبحوثين وتعاونهـــم معه •

٤ ــ قد لا يتحقق لبعض أنوعها ــ كالمقابلات غير المقننة ــ مستوى من التقنين يسهل عملية المقارنة الامر الذى يجعلها تحتاج لوقت أطول فى تحليل بياناتها والـى مهارات أكثر كفاءة للقيام بالتحليل والتفسير والمقارنة •

ـــــــ * * * ـــــــ

ثالثا : الاستبيان

١ ـ تعريف الاستبيان

٢ ـ أشكال الاستبيان

٣ ـ خطوات تصميم الاستبيان وأجزاؤه

تحديد نوع البيانات المطلوبة

تحديد شكل الأسئلة

الصياغة المبدئية للاستمارة

اختبار الاستمارة

ثبات وصدق الاستبيان

٤ ـ تمارين تطبيقية

أدوات جمع البيانات

(٣) الاستبيان questionaire (١)

هناك قدر كبير من الغموض والاضطراب حول تحديد طبيعة الاستبيان كأداة لجمع البيانات وتعيين الخصائص التي تميزه عن المقابلة ، وربما كان الشاهد على ذلك هو التضارب الواضح في معظم الكتب والمراجع الاجنبية والعربية التي تعنى بمناهج البحث الاجتماعي ، حتى أن الكثير من المؤلفين في هذا المجال يوردون الاستبيان مقترنا بالمقابلة كموضوع واحد متصل • ويهمنا في هذا الفصل أن نلقي مزيدا من الضوء على هذه الاداة وكيفية استخدامها في مجال البحوث الاجتماعية والخصائص التي تميزها عن غيرها من أدوات لجمع البيانات• ويهمنا بادىء ذي بدء أن نضع بعض الاعتبارات نعتقد أنها تفيدنا في تحقيق ما سبق أن حددناه لهذا الفصل من أهداف •

١ ـ ان الملاحظة كما سبق أن أوضحنا وسيلة لجمع البيانات تعتمد على تقرير لفظي عن موضوع الدراسة الا أنها تتميز عن كل من المقابلة والاستبيان بأن الباحث هو الذي يقوم بتقديم هذا التقرير اللفظي عن موضوع الدراسة تسجيلا لمشاهداته أو ملاحظاته في الوقت الذي يعبر ما تتضمنه المقابلة والاستبيان من تقرير لفظي عن أجابات يقوم بها المبحوث ردا على أسئلة يوجهها اليه الباحث ، بعبارة أخرى في الملاحظة يكون الباحث هو صاحب التقرير أو الكلمة بينما يكون المبحوث هو صاحبه في كل من

---

(١) أعد هذا الفصل الدكتور / السيد عبد العاطي السيد •

الاستبيان والمقابلـــة •

٢ ـ يشترك الاستبيان والمقابلة فى أنهما وسيلتين للحصول على معلومـــات تتعلق بمعتقدات الشخص ومشاعره ودوافعه وتوقعاته وطموحه وأنماط السلوك الخاصة بـه وغير ذلك من المعلومات التى يصعب الحصول عليها من خلال الملاحظة لانها ترتبـــط بأمور لا تلاحظ بطبيعتها • بعبارة أخرى تعبر الملاحظة عن تقرير موضوعى لموضوع البحث بينما يعبر كل من الاستبيان والمقابلة عن تقرير ذاتى للمبحوث بالنسبة للموضوع مجـــال البحث•

٣ ـ يختلف الاستبيان عن المقابلة فى مدى استنادهما الى التقارير الذاتيـة التى يدلى لها المبحوث حيث يمثل الاستبيان اعتمادا تاما على المبحوث حيث تقتصـــر المعلومات التى يحصل عليها الباحث على ما يدلى به المبحوث من اجابات مكتوبة علـــى أسئلة يوجهها اليه الباحث • بينما تجمع المقابلة بين كل من خصائص الملاحظة والاستبيان حيث يعتمد الباحث على اجابات المبحوث عن أسئلته من ناحية بالاضافة الى اتاحة الفرصة للباحث من خلال موقف المواجهة المباشرة بالمبحوث للتعرف على بعض الجوانب والابعاد " النفسية أو الانفصالية " التى يعجز الاستبيان عن تصويرها •

٤ ـ تختلف المقابلة ذاتها ـ كما سبق أو أوضحنا عند الحديث عن صورهـــا أو أنواعها ـ فى درجة أعتمادها على استمارات الاسئلة كوسيلة لجمع البيانات أو توجيـــه المقابلة • حيث يقل اعتماد الباحث على أسئلة محددة فى المقابلة غير الموجهة أو الحرة

بوجه خاص والمقابلة غير المقننة بوجه عام على العكس من المقابلة الموجهة أو المقننة .

مما سبق نستطيع أن نعرف الاستبيان وهو في أبسط صوره على أنه وسيلة لجمع البيانات اللازمة للبحث من خلال مجموعة من الاسئلة المطبوعة في استمارة خاصة يطلب من المبحوث الاجابة عليها . سواء سجلت هذه الاجابات بمعرفة المبحوث وحده دون تدخل من الباحث "كالاستبيان البريدى أو الاعلامى مثل الاذاعى أو التليفزيونى" أو سجلت بمعرفة الباحث نفسه أو مساعديه كما يحدث في مواقف المقابلة المقننة على نحو ما ذكرنا .

والاستبيان شأنه في ذلك شأن المقابلة تتعدد أشكاله وفقا لابعاد مختلفة :

أ ـ من حيث درجة التقنين ينقسم الاستبيان الى استبيان مقنن يحرص فيه الباحث على عرض الاسئلة وتوجيهها بصياغة وترتيب وأسلوب لتوجيهها متماثل لكل الأفراد وسوف نرى فيما بعد عند الحديث عن صياغة أسئلة الاستبيان أشكالا أخرى كالاستبيان ذو الاسئلة المغلقة النهايات والاستبيان ذو الاسئلة المفتوحة النهاية . أما الاستبيان غير المقنن فهو على العكس من ذلك لا يراعى فيه أى تماثل سواء في صياغة الأسئلة أو طريقة الاجابة عليها أو ترتيبها أو ترتيبها أو حتى طريقة توجيهها حيث تختلف كل هذه المسائل باختلاف المستوى الفكرى والثقافى للمبحوث .

ب ـ من حيث الاجراء والتطبيق ينقسم الاستبيان الى استبيان يجرى ذاتيا بمعرفة المبحوث دون تدخل الباحث مثل الاستبيان البريدى أو الاستبيان الذى يوزع

باليد أو الذى ينشر فى أجهزة الاعلام كالراديو والتليفزيون والصحافة حيث يطلب من المبحوث الاجابة عليها بمفرده • واستبيان يجرى من خلال موقف مواجهة مباشرة بين الباحث والمبحوث فيه يقوم الباحث بتدوين اجابة المبحوث على الاسئلة التى تتضمنها استمارة البحث وسنرى أن لكل شكل من هذه الاشكال مزاياه وعيوبه •

جـ - من حيث عدد المبحوثين قد ينقسم الاستبيان الى استبيان يجرى بطريقة فردية لمبحوث واحد فقط " وهو يرتبط بالاستبيان الذى يدار من قبل أو تدخل الباحث " واستبيان جماعى يجرى بطريقة جمعية على أكثر من مبحوث فى وقت " وهو يمثل شكلا من الاستبيان يتوسط الاستبيان المدار ذاتيا من قبل المبحوث والاستبيان المدار من قبل الباحث فى هذه الحالة يوزع الباحث استمارة الاستبيان على مجموعة من الافراد يجتمع معهم فى موقف مقابلة ويترك لهم فرصة للاجابة على الاسئلة أمامه " • وتعتبر استمارة الاستبيان هى الدعامة الاساسية التى يعتمد عليها الباحث عند استخدامه لهذه الاداة لجمع البيانات كما هو الحال بالنسبة لبعض أنواع المقابلة المقننة لذلك نحاول هنا أن نوضح الخطوات الاساسية التى يجب على الباحث أتباعها عند تصميمه لاستمارة الاستبيان ونستطيع أن نحصر هذه الخطوات فيما يلى :

أولا - تحديد نوع البيانات المطلوبة :

أشرنا فى الفصول الاولى الى أن تحديد مشكلة البحث تمثل نقطة البداية والانطلاق سواء لتحديد طبيعته أو منهجه أو الادوات المستخدمة لجمع البيانات بل

وأيضا لتحديد مصادر هذه البيانات • واستنادا على ذلك نقرر هنا أن على الباحث أن يحدد مقدما نوعية البيانات المطلوبة والتى يمكن أن تفى من خلال جمعها وتحليلها وتفسيرها بأغراض البحث بما يتفق وطبيعة الموضوع والمنهج المستخدم • وبالتركيز على الاستبيان كأداة لجمع البيانات وأستنادا الى تعريفنا السابق لهذه الاداة على أنها طريقة لجمع البيانات من خلال الاجابة على أسئلة توجه للمبحوث نشير هنا الى أن الباحث يجب أن يضع فى اعتباره مقدما ما نسميه بمحتوى السؤال أو مضمونه بما يتفق وطبيعة البيانات المطلوبة • وفى هذا الصدد نستطيع أن نميز بين أكثر من محتوى أو مضمون للأسئلة التى توجه للمبحوث وذلك على النحو التالى :-

أ - محتوى يهدف أساسا الى معرفة بعض الحقائق المرتبطة بالمبحوث • ويستند هذا النوع من الاسئلة على حقيقة ما يعرفه كل شخص بما يرتبط به وبيئته من حقائق • وتعتبر الاسئلة التى تقدم "بيانات أساسية" عن الفرد مثل سنه وموطنه وديانته ومستوى تعليمه وجنسيته وحالته الزواجية ومهنته مثالا لهذه الاسئلة • كما يتضمن هذا النوع من الاسئلة تلك التى تهدف الكشف عن خصائص أو مميزات بعض الافراد المعروفين للمبحوث كأفراد أسرته وأقاربه أو زملائه •

ونظرا لانه من المتوقع أن يكشف مثل هذا النوع من الاسئلة عن بعض الحقائق المرتبطة بالمبحوث فانه يتعين على الباحث أن يتأكد من صحتها • ويستطيع الباحث أن ينجز هذه المهمة بأكثر من طريقة مثل وضع أسئلة للمقارنة "وسنعود لهذه النقطة بالتفصيل فى مناقشتنا لثبات وصدق المعلومات" أو مقارنة الاجابات التى يدلى بها عدد كبير من المبحوثين •

ب ـ محتوى يهدف الى الكشف عن المعتقدات :

ويعتبر هذا النوع من الاسئلة مكملا للنوع السابق • ذلك أن الباحث قـد يهدف فى كثير من الاحيان الى معرفة ما الذى يعتقده الافراد بالنسبة لحقائق أووقائع معينة والمثال على ذلك أن الباحث يستطيع من خلال النوع السابق من الاسئلة أن يتوصل الى بعض الحقائق المرتبطة بحجم الاسرة أو مستوى الامية مثلا لكنه هنا يهدف الى أن يتعرف على ما يعتقده المبحوث بالنسبة لمشكلة زيادة النسل أو أرتفاع مستوى الاميـة

جـ ـ محتوى يهدف الكشف عن المشاعـر :

ويحاول هذا النوع من الأسئلة أن يكشف عن أسباب ما يعتقده المبحوث حول مسألة ما وذلك من خلال استجلاء مشاعره الكامنة وراء هذا الاعتقاد • وفى هذا الصدد ترتبط هذه الاسئلة بمختلف الاستجابات الانفعالية كالخوف أو الكراهية أو التعاطـف أو الاعجاب أو الاستهجان ••• الخ

د ـ محتوى يهدف التعرف على معايير السلوك :

وهى تلك الاسئلة التى تكشف عن وجهة نظر المبحوث عما يجب القيام بـه من سلوك معين • وتفيد فى الكشف عن المعايير الخلقية للسلوك لدى الفرد من ناحيـة لانها تدور أساسا حول أنماط السلوك التى يفضلها الفرد فى موقف ما مسترشدا بهـذه المعايير الخلقية كما تفيد أيضا فى التعرف على أنماط السلوك المفضلة لديه لاعتبارات عملية

أو واقعيه • الامر الذى يمكن من تفسير أو تبرير سلوكه الخاص فى موقف ما • بعبارة أخرى تفيد هذه الاسئلة فى الكشف أنماط السلوك المفضلة لدى الفرد سواء كانت استجابة لنظره معيارية أخلاقية " ما ينبغى أن يكون " أو الاعتبارات عملية " موجهات السلوك الواقعية "

هـ - محتوى يهدف التعرف على أنماط السلوك الفعلية للفرد :

ويمثله تلك الاسئلة التى تدور حول سلوك الفرد فى الماضى والحاضر بالنسبة لموقف ما • وتفيد هذه الاسئلة فى التنبؤ بسلوكه المستقبلى فى موقف شابه •

و - محتوى يهدف التعرف على أسباب معتقدات المبحوث ومشاعره ومفضلاته وأنماط سلوكه

وهذه الاسئلة تبدأ فى العادة بكلمة " لماذا " وهى فى النهاية تفيد فى تقديم صورة متكاملة لوجهة نظر المبحوث أو تبريراته لما يعتقد من معتقدات وما يشعر به من مشاعر خاصة وما يفضله من سلوك ثم أخيرا ما يقوم به من سلوك فعلى •

تلك باختصار النماذج المختلفة لمحتوى ما تتضمنه استمارة الاستبيان من أسئلة صنفت كما رأينا وفق نوع البيانات التى يحصل عليها الباحث عن طريق ما يدلى به المبحوث من اجابات عليها • غير أننا نميل فى الحقيقة الى تمييز يكاد يكون أكثر بساطة لنوع الاسئلة الوارده باستمارة الاستبيان حيث نرى أنه من الممكن أن نصنف هذه الأسئلة الى فئتين كبيرتين :

تمثل الفئة الاولى ما يمكن أن يطلق عليه اسم " أسئلة الواقع " وهى بطبيعة

الحال تشتمل على الاسئلة التى تدور حول البيانات الاساسية للبحوث الى جانب الانماط الفعلية لسلوكه فى المواقف المختلفة • بينما تمثل الفئة الثانية ما يمكن أن نطلق عليه اسم "اسئلة الاتجاه أو أسئلة المستوى " وتتضمن بدورها تلك الاسئلة التى تدور حول اتجاهات الفرد وآرائه ومعتقداته وقيمه ومفضلاته ـ ولنضرب لذلك مثالا فنقول ـ أننا لو كنا بصدد دراسته موضوع مثل تنظيم الاسرة فان كل الاسئلة التى تدور حول عدد أفراد الاسرة الفعلى وعدد الاطفال الحاليين وأعمارهم ومدى ممارسة الاسرة لوسائل تنظيم النسل تعبر كلها عن أسئلة الواقع • بينما نجد أن سؤالا مثل ما رأيك فى تنظيم الاسرة ؟ أو ما هو العدد الامثل للاطفال فى نظرك ؟ هل تفضل استخدام وسائل منع الحمل ؟ ••• الخ كلها يمكن اعتبارها أسئلة اتجاه أو مستوى •

وعلى أى حال فانه يتعين على الباحث فى هذه الخطوة الاولى من خطوات تصميم استمارة الاستبيان أن يحدد مقدما نوع البيانات المطلوبة وذلك عن طريق تقسيمه للموضوع الاساسى لبحثه الى بنود يغطى كل منها جانب من جوانب موضوع البحث ثم عليه بعد ذلك أن يتصور السؤال أو الاسئلة التى تتيح له الاجابة عليها معالجة مختلف النقاط التى يتضمنها كل بند من البنود الاساسية ويعمل فى النهاية على ترابط هذه الاسئلة فيما بينها بحيث تقدم فى النهاية مجموعة متكاملة من البيانات اللازمة لمعالجة موضوع بحثه

ثانيا ـ تحديد شكل الاسئلة :

وهى خطوة تلى مهمة تحديد البيانات المطلوبة تبدو أهميتها اذا وضعنا فى الاعتبار أن الشكل الذى تتمثله استمارة الاستبيان يؤثر فى نوعية البيانات التى يمكن

جمعها ومدى دقتها ومستوى تقنينها وهذا كله يؤثر بطبيعة الحال فى امكانية تحليل البيانات وتفسيرنا • وهنا نشير الى أن شكل السؤال رغم ما له من هذا التأثير الا أنه قد يخضع فى نفس الوقت لمؤشرات أخرى منها نوع الاستبيان "بريدى - أعلامى - مدار من قبل الباحث" وطريقة تطبيقه "استبيان مدار ذاتيا - استبيان مدار من قبل الباحث - استبيان فردى - استبيان جماعى" بالاضافة الى خصائص جمهور البحث "المستوى الثقافى - التعليمى - الاجتماعى - الاقتصادى ••• الخ" واستنادا على ذلك نجد أن هناك أكثر من تصنيف لاسئلة الاستبيان :

أ - تصنيف على أساس طريقه توجيه الاسئلة :

وفى هذا الصدد تنقسم الاسئله الى :

١ - أسئله مباشره :

وترمى الكشف أو الحصول على البيانات والحقائق بطريقة واضحة وصريحة لينفذ الباحث مباشره الى السؤال مباشرة عن ما يريده من بيانات ويندرج تحت هذا النوع من الاسئلة سؤال الفرد عن سنه أو مهنته أو مستوى تعليمه أو عدد أفراد أسرته •

٢ - أسئلة غير مباشرة :

وهى التى يستطيع الباحث من خلال الاجابة عليها أن يتوصل الى ما يريده من بيانات ولكن بطريقة غير مباشره أى أنها تعتبر مؤشرات للموضوع الذى يهتم به الباحث

فمثلا اذا أراد الباحث معرفة مدى ممارسة السلطة الابوية فى الاسرة فانه يستطيع أن يوجه بعض الاسئلة غير المباشرة التى تدور حول موافقة الزوج على اشراك زوجته فى تدبير شئون الاسرة أو موافقته على اختيار ابنته لشريك حياتها ... الخ .

ب - تصنيف على أساس طبيعة صياغة الاسئلة :

وهذا الاساس يرتبط بدوره بما يعرف بمستوى التقنين فى صياغة الاسئلة كما يرتبط أيضا بمدى التدخل النسبى للباحث أو الحرية النسبية للمبحوث عند الادلاء بآرائه أو مشاعره أو اتجاهاته وفى هذا الصدد يمكن أن نقسم الاسئلة الى :-

١ - أسئلة مقيدة :

وهى تعرف باسم الاسئلة ذات النهايات المغلقة أو الاسئلة ذات المتغيرات الثابتة فيها يحدد الباحث مقدما بعض الاجابات أو المتغيرات التى تمثل احتمالات الاجابة الممكنة على السؤال ويطلب من المبحوث أن ينتقى منها ما يعبر عن موقفه . وقد تتعدد أشكال هذه المتغيرات المحددة فتبرز بصورة كمية مثل الاسئلة التى توجه عن السن فتتحدد متغيراتها بفئات عمرية محددة " أقل من ٢٠ ، ٢٠/٣٠ ، ٣٠/٤٠ ... الخ . " وقد تعرض أيضا فى شكل للنفى أو الاثبات " نعم " ، " لا " أو تأخذ درجات مختلفة من الموافقة أو الرفض " أوافق جدا ، أوافق ، ليس لى رأى ، لا أوافق لا أوافق بالمرة . " وأخيرا قد تأخذ شكل التقييم المتدرج لموضوع السؤال " فسؤالا مثل

هل تعتقد أن وسائل الاعلام تحقق رسالتها الحقيقية ؟ يحدد له متغيرات مثل نعم بدرجة ممتازة ، نعم بدرجة جيدة ، بدرجة متوسطة ، بدرجة أقل من المتوسط ، بدرجة عادية ، لا تحقق شيئا " كذلك فقد تأخذ هذه الاسئلة الاخيرة شكل الترتيب حسب الافضلية بين بعض المتغيرات " مثل السؤال أى البرامج التليفزيونية تفضلها أكثر ؟ ضع رقما حسب أفضليتها ١ ـ ٢ ـ ٣ برنامج كذا ، برنامج كذا ... الخ " .

٢ ـ الاسئله غير المقيده :

وتعرف باسم الاسئله المفتوحة وفيها لا تحدد احتمالات أو متغيرات للاجابة بل يترك للمبحوث حرية الاجابة عن السؤال بأسلوبه وبطريقته الخاصة وفى اطار خبراته أو اطاره المرجعى " مثل السؤال ما رأيك فى كذا " ولكل من الاسئلة المقيدة "المقفولة النهايات " وغير المقيدة " المفتوحة " مزاياها وعيوبها فمن ناحية نجد أن الاسئلة المفتوحة يفيد بل يتمنم استخدامها فى المراحل الاستطلاعية للبحث أو الدراسة حيث يفترض هنا أن الباحث يجهل لحد ما أبعاد موضوعه وبالتالى تتيح له الاسئلة المفتوحة التعرف على مختلف جوانب هذا الموضوع وذلك من خلال التعرف على أكبر قدر ممكن من الاجابات حول الاسئلة المرتبطة بموضوع البحث . بل أن هذا النوع من الأسئلة يكاد خطوة أساسية لازمة لتصميم الاستمارات ذات الاسئلة المقيدة أو المغلقة لان أجابة الاسئلة المفتوحة تنبع فى حقيقتها من واقع الحياة الاجتماعية ولا ترجع لاجتهاد الباحث كما أنها لا تتأثر بخياله أو اطاره المرجعى " ولكنها أى الاسئلة المفتوحة تواجه بصعوبا

التحليل والتقنين من ناحية أخرى • لان ترك الحرية للمبحوث للادلاء باجابته بطريقته وأسلوبه وفي ضوء اطاره المرجعي يقلل الى حد بعيد من امكانية المقارنة بين الاجابات من ناحية كما يهبط بمستوى التقنين من ناحية ثانية وبالتالي يضعف من امكانية المعالجة الاحصائية للبيانات المستقاة من خلالها ، فضلا عن أنه في كثير من الاحيان قد يغفل المبحوث أن تتضمن اجابته بعض النقاط الهامة بالنسبة لموضوع البحث•

وفي الوقت الذى تتجنب فيه الاسئلة المقيدة أو المغلقة "كمزايا لها" عيوب الاسئلة المفتوحه بما تمكنه من توجيه ذهن المبحوث في اتجاه موضوع البحث بحيث لا يستطرد في أمور لا تهم الباحث أو يغفل أمورا أخرى أكثر أهمية ، وأيضا بما تتيحه من سهوله ويسر للمبحوث في الاجابة أو للباحث في تسجيل الاجابات ، وأيضا بماتتضمنه من مستوى للتقنين يساعد على اجراء العمليات الاحصائية وهذه كلها أمور قد لا تتوفر للاسئلة المفتوحة النهاية ، أقول على الرغم من تميز هذا النوع من الاسئلة بما ذكرنا من ميزات الا أنها لا تخلو من بعض العيوب ويأتي في مقدمتها أنها لا تسمح للمبحوث بحرية التعبير عن نفسه بل كثيرا مالا تتضمن في متغيراتها المحددة ما يتفق وموقف المبحوث ذاته الامر الذى تجعل اجابة المبحوث كما لو كانت موجهة أو متحيزة خاصة وأن المبحوث في هذه الحالة سيقتصر على ما هو موجود من متغيرات للاجابة دون أن يكون ذلك معبرا عن حقيقة موقفه وبالتالي يؤدى الامر الى عدم صحة النتائج • وقد يفضل البعض اضافة متغير "أخرى" ليشير الى اجابة للمبحوث قد لا توفرها المتغيرات المحددة للسؤال • غير أن اجراء مثل ذلك يخفف من الصعوبة السابقة ولكن لا يقضى عليها تماما

لأن الباحث لا يستطيع أن يميز بين مختلف الاجابات التى درجت ضمن الـ ... "الاخرى" . كذلك فانه من عيوب هذه الاسئلة المقيدة أنها بتحديد متغيرات ... تطلب من المبحوث رأيا فى نفيه أو موضوع لم يكن المبحوث فى كثيرا من الاحيان ر... فيها وقد يتجنب بعض الباحثين من هذه الصعوبة أيضا بالاضافة متغير لا أعرف الا أن ... خطورة هذا الاجراء أن كثيرا من المبحوثين يفضلون اختيار متغير لا أعرف سواء لا ... أن يكونون رأيا بصدد عن القضية أونفورا من الادلاء برأيهم . الامر الذى يجعل ... باحث فى النهاية يحصل على قدر كبير من الاجابات غير المحددة التى تسهم بقلول أو ... كثير من معالجة موضوع البحث .

ويستطيع الباحث أن يستفيد من الناحية الواقعية من مزايا هذين النوعين من الاسئلة كما يتجنب فى الوقت نفسه عيوبها باستخدامه لكلا النوعين ولكن فى مراحل مختلفة من مراحل بحثه . حيث يتمكن فى المرحلة الاستطلاعية للبحث أو فى المرحلة الاولى لاعداد استمارة الاستبيان أن يعتمد على الاسئلة المفتوحة حتى يتمكن من معرفة الجوانب المختلفة لموضوع البحث بما يمكنه بعد ذلك من تحديد احتمالات الاجابة فى الاسئلة المغلقة (والتى يستخدمها فى مرحلة لاحقة بعد اجراء الاختبار المبدئى للاستمارة) وذلك بهدف التقنين والمعالجة الاحصائية للبيانات .

ثالثا ـ الصياغة المبدئية للاستمارة :

بعد أن يفرغ الباحث فى الخطوتين السابقتين من تحديد نوع البيانات الـ

يتطلبها البحث ، ومن تحديد الشكل الملائم للاسئله بما يتفق ونوع البيانات المطلوبة من ناحية ومقتضيات طبيعة الموضوع الذى يدرسه من ناحية أخرى عليه بعد ذلك أن يضع التصميم الكلى للاستمارة وفى هذه الخطوة عليه أن يفرع موضوع دراسته الى موضوعات فرعية يغطى كل منها جانبا من جوانب هذا الموضوع • ويحدد بعد ذلك مختلف الاسئلة التى ترتبط بكل موضوع فرعى والتى يتصور بما له من تذوق وخيال علمى وسوسيولوجى أن الاجابة عليها ستقدم له مجموعة من البيانات التى تكفى لمعالجة هذا الموضوع • وبطبيعة الحال فان نجاح هذه الخطوة يتوقف على مدى استكمال الاطار النظرى والتصورى لموضوع البحث فى ذهن الباحث " لان ذلك يمكنه من تحديد جوانب الموضوع المختلفة • وربما كان ذلك هو السبب الذى يجعل المعالجة الامبريقية لموضوع البحث تلى تحديد الاطار النظرى والتصورى للموضوع • والى جانب تحديد الاطار النظرى والتصورى يستعين الباحث فى هذه الخطوة من خطوات اعداد استمارة الاستبيان بعدد من الدراسات الميدانية التى أجريت حول هذا الموضوع وله فى ذلك أن يستعين بما جاء فيها من استمارات للاستبيان وما ضمنته من أسئلة حول الموضوع أو جوانبه المختلفة ولو أنه من الافضل أن يضيف الباحث عددا جديدا من الاسئلة التى يضيفها للاستمارات السابقة أو التى يضيف من خلالها أبعادا جديدة لمعالجة الموضوع •

على أنه يتعين على الباحث فى هذه المرحلة " الصياغة المبدئية للاستمارة " أن يضع فى ذهنه بعض الاعتبارات التى تمثل على حد تعبير كثير من المشتغلين بمناهج البحث مرشد الصياغة الاستمارة منها :

أ ـ مدى ملائمة السؤال وضرورتـــه :

بمعنى أن الباحث هنا يتصور ما اذا كان الموضوع " الفرعى " الذى يدرســه يتطلب أعداد سؤال خاص به أو أنه من الافضل ادماجه مع سؤال آخر فى موضوع آخـــر وعليه أيضا أن يتصور ما اذا كان السؤال يتحقق فائدة بالنسبة للبحث أو أهدافه • كما أنه يتصور أيضا مستوى البساطة أو التعقيد فى السؤال بمعنى أن يسأل الباحث نفســه ما اذا كان من الملائم أن يخصص لمعالجة الموضوع سؤالا واحدا يشمل كل البيانات المـ أم يحتاج الامر الى تفريع السؤال الى عدة أسئلة أخرى وعليه أيضا أن يضع فى اعتبـــا مستوى امكانيه الاجابه على سؤاله هذا بمعنى أن يتنبه الباحث الى ضرورة تحديد الاسئـ بما يتفق وخبرة المبحوثين أو أطرهم المرجعية حول موضوع السؤال متصورا مختلف الاستجـ التى يمكن أن يثيرها السؤال عند المبحوثين مثل الخجل أو التردد أو ارتباط الســؤال بمسائل عاطفيه •

ب ـ طبيعه صياغه الســـؤال :

وهو اعتبار يرتبط بتركيب السؤال نفسه من حيث لغته وطوله وقصره ••• الخ • وفى هذا نجد بعض القواعد التى يجب على الباحث اتباعها عند صياغة لاسئلة الاستمار هـــــى :ـ

١ ـ ضرورة أن تكون اللغة التى يصاغ بها السؤال سهلة بسيطة تتفق والمستوى الثقافى للمبحوث كما تتفق أيضا مع اطاره المرجعى حول الموضوع وذلك حتى يضمن الباحـ

فهم السؤال من قبل المبحـوث .

٢ ــ الابتعاد ما أمكن عن الاسئله المحرجة أو التى تتضمن وقائع شخصية أوذاتية فاذا كانت طبيعة الموضوع تحتم ذلك كان على الباحث أن يدم للمبحوث ضمانا لسرية مـــا يدلى به من معلومات وعدم استخدامها الا فى أغراض البحث العلمى .

٣ ــ تجنب أن توحى صياغة السؤال بأجابة معينة حتى لا تؤثر على مستوى الشهادية أو الموضوعية وبالتالى على دقة النتائج .

٤ ــ تجنب الصياغة الفضفاضة للسؤال حتى لا يكون السؤال قابلا للتأويل بأكـثر من معنى .

٥ ــ تجنب الاسئلة المعقده التى تتطلب الاجابة عليها جهدا فكريا من المبحوث

٦ ــ تحديد طريقه أو نوع الاجابة المطلوبة من المبحوث مثل حتى اجابة على هيئة وضع علامة معينة أمام التشيير أو رقم أو الاجابة بكلمة أو الاجابة بالتعبير الحر عن الـرأى

٧ ــ صياغة بعض الاسئلة الهامة بأكثر من صيغة للتأكد من صحة الاجابات الـتى يدلى بها المبحوث . وهذه الاسئلة تعرف باسم أسئلة المقارنة أو المراجعة ويتعين صياغتها بشكل يخفى الهدف الحقيقى منها .

جـ ــ ترتيب الاسئله أو تسلسلها :

وهو اعتبار لا يقل أهمية عن الاعتبارين السابقين حيث تؤثر طريقة تسلسل الاسئلة

وترتيبها فى أثارة أهتمام المبحوث بموضوع البحث وتسلسل أفكاره أو معلوماته أو تشتتهـــا مما ينعكس فى النهاية على انجاح موقف المقابلة وما يتضمنه هذا الموقف من شعور بارتياح أو ملل أو تشتت للمبحوث كما تؤثر فى دقه البيانات التى يدلى بها •

وفى هذا الصدد يقوم الباحث أولا بترتيب الموضوعات الفرعية التى يتضمنها موضوع البحث كما يقوم بالنسبة لكل موضوع فرعى بنفس الاجراء فيما يتعلق بالاسئلة الخاصة لكل موضوع • ومن الامور المفضلة فى هذا الصدد أن يكون ترتيب الموضوعات الفرعيـــة " البنود " مرتبة ترتيبا سيكولوجيا من وجهة نظر المبحوث كما يتصورها الباحث وليس ترتيبا منطقيا تفرضه طبيعه دراسة الموضوع • ذلك لان هذا الترتيب السيكولوجى يساعد على أثارة أهتمام المبحوث بالموضوع ككل • وعلى الباحث هنا أيضا أن يتصور ترتيبا معينـــا للاسئلة يحقق والتدريج المتوقع فى العلاقة الودية بينه وبين المبحوث ليبدأ مثلا بسؤال عام وينتقل بعد ذلك للاسئلة الضيقة أو المتخصصة أو الشخصية • وعلى أى حال فـــان الباحث فى هذه الخطوة عليه أن يتصور ماإذا كانت اجابة سؤال ما تتأثر بمضمون أسئلة أخرى سابقة أو لاحقه • وماإذاكان وضع السؤال تأخيرا أو تقديما مع أسئلة أخرى سيثير أهتمام المبحوث فقد تبين مثلا أن الافراد يستجيبون فى العادة للاسئلة التى تدور حول سلوك أو مواقف عملية أكثر من استجابتهم للاسئلة التى تدور حول اتجاهات ودوافـــع وأنهم يستجيبون للأسئلة التى تدرج من عموميات الى خصوصيات أو من موضوعات هامـــة الى موضوعات أقل أهمية • وأخيرا فانه يجب على الباحث أن ينتهى من تصوره لترتيـــب الاسئلة أن يرقمها على نحو تسلسلى • وقد يأخذ هذا الترقيم شكلين : الاول هـــو أن

ترقم جميع أسئلة الاستمارة مرة واحدة بتسلسل يبدأ من أول سؤال فيها وينتهى بالاخير وأما الشكل الثانى للترقيم فهو الترتيم المجزء وفقا لبنود الاستمارة على حدة ولو أنه من الافضل استخدام الشكل الاول لسهوله التفريغ والجدولة والتحليل .

رابعا : أختبار الاستمارة :

وتعرف بمرحلة التجريب المبدئى لاستمارة الاستبيان وذلك بهدف التأكد من صلاحيتها وملائمتها لاغراض البحث ، ولو أنه من المفضل أن تسبق هذه الخطوة بخطوة أخرى تتمثل فى عرض الاستماره على ذوى الخبرة المنهجية والعلمية والميدانية فى موضوع البحث حيث تتاح للباحث فى هذا الصدد فرصة مراجعة الاستمارة سواء من حيث شكلها العام أو تفرعاتها الى بنود مميزة أو ترتيب أسئلتها أو أسلوب صياغتها وغير ذلك مما يقوم به ذوى الخبرة المنهجية هذا من ناحية ، وأيضا تمكن الباحث من التأكد من جديدة وسلامة الموضوعات التى دارت حولها الاسئلة وارتباطها علميا بموضوع البحث وأبعاده الاساسية وهذه كلها أمور يتميها عرض استمارة البحث على ذوى الخبرة العلمية المتخصصة فى مجال البحث .

أما عملية الاختبار أو التجريب المبدئى للاستمارة فتتمثل ببساطة فى تطبيق استمارة البحث على مجموعة من أفراد البحث قبل تعميمها على كل أفراد العينة بشروط أن تكون العينة المختارة للتجريب متماثلة فى خصائصها مع عينة البحث المزمع اجرائه . وفى هذا الصدد يستطيع الباحث أن يتعرف مواطن الضعف والقوة فى استمارة الاستبيان

من الناحية الواقعية حيث يتمكن من خلالها من معرفة الامور التالية :

أ ــ مدى استجابة عينة البحث لاهدافه ولوسائل جمع المعلومات المستخدمة " الاستمارة " .

ب ــ التعرف على الوقت اللازم لجمع بيانات الاستمارة .

ج ــ مدى ملائمة أسلوب صياغة الاسئلة ــ لفظا وتعبيرا ــ لمستوى فهم أفراد البحث .

د ــ تقييم الاسئلة من حيث ضرورتها أو الحاجة اليها لخدمة أهداف البحث مما يخطر معه الباحث استبعاد بعض الاسئلة أو اضافة أخرى اليها .

هـ ــ الكشف عن الصاحبات النفسية والانفعالية للاسئلة كالشعور بالحرج أو التردد في الاجابة أو الامتناع عنها .

والى جانب ما في هذه الخطوة من فائدة فيما يتعلق بتعديل استمارة الاستبيان فانها على حد تعبير البعض ــ مثل الدكتور جمال زكى والسيد يس ــ تعتبر تدريبـــا لجامعى البيانات أو الباحثين على الاستمارة من وتجويد الاسئلة ... الخ . فـــاذا ركزنا على استمارة الاستبيان فقط نجد أن هناك بعض المؤشرات التى يمكن الاعتـــداء بها لتعديل استمارة الاستبيان فى ضوء ما تكشف عنه عملية التجريب المبدئى من نتائـــج أهمها : ــ

أ ــ يعتبر عدم انتظام توزيع الاجابات ــ مؤشرا لخلل أو عيب فى نظام الاسئلة :

ب ــ يعتبر عدم تنوع اجابة الافراد على سؤال أو أكثر " بحيث يجيب جميـــع

الافراد بنفس الاجابة " مؤشرا على عدم ضرورة السؤال او عدم ملائمة صياغته للموضوع الذى يدور حوله ٠

ج - يعتبر غلبة الاجابات غير المحددة أو المحايدة مؤشرا على عدم كفاءة الأسئلة أما لصعوبتها أو لغموضها أو لمناقشتها لموضوعات حساسة محرجة بطريقة تجعل المبحوث يدلى بأجابه غير قاطعة ٠

د - يعتبر امتناع الكثير من المبحوثين من الاجابة على بعض الاسئلة مؤشرا لصياغة غير ملائمة لها أو لصياغة تثير حرج المبحوث أو تخدش حياءه ٠

وبوجه عام فانه ازاء ما تكشف عنه عملية الاختبار المبدئى للاستمارة من مؤشرات مثل هذه يتعين على الباحث تعديل الاسئلة بما يحملها تتجنب ما أشرنا اليه من معوقات أو عيوب وذلك اما عن طريق حذف بعض الاسئلة أو اضافة أخرى جديدة أو اعادة صياغتها أو تحديدها أو اعادة ترتيبها وتسلسلها ٠ فاذا تبين الباحث أن ما سيدخله على الاستمارة من تعديلات يمس تصميمها أو صياغة عدد كبير من أسئلتها وجب عليه أن يقوم بعملية تجريب أخرى للاستمارة بعد ادخال هذه التعديلات حتى يضمن أو يتأكد أنها بهذه الصورة تحقق ما يعرف باسم الثبات والصدق المنهجى وتلك نقطة سنعود اليها فيما بعد ٠

عند هذا الحد تدخل استمارة الاستبيان مرحلة أعدادها فى الصورة النهائية التى تتضمن بعض الاعتبارات المرتبطة بمضمون الاستمارة وشكلها وترتيب اسئلتها وترقيم

الاسئلة " ومظهرها العام ونوع الورق المستخدم وطباعتها ووضوح تنسيقها " استخدام عناوين فرعية واضحة " وغير ذلك من المتطلبات الشكلية التي تجعل الاستبيان جذابا وغير غامض . هذا الى جانب اعتبارات أخرى تختلف باختلاف نوع الاستبيان المستخدم حيث يراعى بالنسبة للاستبيان البريدي مثلا شرح أو توضيح المصطلحات المستخدمة في الاستمارة وتحديد الطريقة المطلوبة للاجابة الى جانب اعداد استمارة الاستبيان بطريقة تيسر على المبحوث مهمة ردها للباحث كأن يلحق بها مظروف مدون عليه عنوان الباحث " وخالص رسم البريد " لعدم ارهاق المبحوث ماديا . بينما نجد أنه بالنسبة للاستبيان الذي يقوم باجرائه الباحث يفضل أن يلحق بالاستمارة بعض التعليمات لجامعي البيانات تتضمن مختلف الارشادات التي تساعدهم على أداء مهمتهم أثناء ملء الاستمارة كما يشترط أن تتوافر في هذه التعليمات قدرا كبيرا من البساطة والايجاز والوضوح وقد تتضمن هذه التعليمات فكرة موجزة عن الغرض من البحث والتعريف بالمصطلحات وتعليمات عامة عن الدراسة وتعليمات خاصة بملء الجداول .

ثبات وصدق الاستبيان كأداة لجمع البيانات :

أشرنا الى أن طبيعة موضوع الدراسة قد تحتم على الباحث اختيار منهج معين للبحث وأداة دون أخرى لجمع البيانات اللازمة غير أنه جدير بالاشارة هنا أن درجة الدقة العلمية التي تحققها معالجة الباحث لموضوع البحث على النحو الذي يحقق الاهداف المنوط به أمر لا يتوقف على مجرد اختيار أنسب المناهج المستخدمة بل يتوقف أيضا على كفاءة الادوات التي يستخدمها الباحث لجمع البيانات اللازمة لبحثه أو من

الأهمية بمكان أن يتعرف الباحث على مدى الثقة فى البيانات التى يحصل عليها من خلال استخدامه لهذه الادوات • وترتبط درجة الثقة فى البيانات التى يجمعها الباحث بمشكلة منهجية عامة تعرف باسم مشكلة الثبات والصدق •

والمقصود بثبات البيانات هو مدى الاتساق بين البيانات التى تجمع فى كل مرة يعاد فيها تطبيق الاداة على نفس الافراد وتحت نفس الظروف • بمعنى أنه اذا ما تمخضت اعادة تطبيق الاداة عن نفس النتائج التى كشف عنها الاستخدام الاول لها كانت الاداة ثابتة وفى هذا يشير الثبات الى معنيين متكاملين حيث يشير الى الاستقرار فى النتائج التى يكشف عنها تطبيق الاداة فى كل مرة من ناحية كما يشير أيضا الى موضوعية النتائج المستقاة منها اختلفت شخصيات من يستخدم هذه الاداة •

وكثيرا ما تستخدم بعض الوسائل الاحصائية لقياس درجه الثبات فى المقاييس أو الادوات المستخدمة فى جمع البيانات منها :

أ - طريقة اعادة الاختبار وتتلخص ببساطة فى تطبيق المقياس أو الاداة "الاستمارة" على مجموعة من الافراد فى فترتين زمنيتين متتاليتين والمقارنة بين النتائج "البيانات" التى يكشف عنها التطبيق فى كل مره • ويعتبر مدى اتفاق النتائج أو البيانات فى كلا المرتين مؤشرا لدرجة ثبات المقياس أو الاداة • ولو أنه يؤخذ على هذه الطريقة أن اختلاف النتائج بين مرات التطبيق كحد لا يرجع بالضرورة الى عدم ثبات الاداة بل قد يرجع الى بعض العوامل التى يحتمل تدخلها فى الفترة الزمنية الفاصلة بين التطبيق

الاول واعادة التطبيـــق •

ب ـ طريقه التجزئيه النصفية وتستخدم لتجنب ما ذكرناه من صعوبات ناجمـــة عن تدخل بعض العوامل التى تغير من نتائج تطبيق الاداة فى فترتين زمنيتين مختلفتين أو تغير الظروف المحيطه بعملية التطبيق فى كل مرة وذلك بتقسيم النتائج الى جزئيـين متناظرين واستخلاص معامل الارتباط بينهما وبالتطبيق على استمارة الاستبيان نوعنـــا أنه يفضل أن يكرر الباحث بعض الاسئلة ولكن بصور أو صياغات مختلفة للتأكد من ثبـــات البيانات التى يدلى بها المبحوث •

أما الصدق فيشير الى معانى الصحة أو الصلاحية بالنسبة للمقياس أو الاداة أو بعبارة أخرى يشير الى مدى تحقيق الاداة للهدف الذى وضعت أو اختيرت من أجلـــه أى مدى قدرتها على جمع البيانات اللازمة لموضوع البحث •

وللصدق كما يشير الباحثون فى مناهج البحث أنواع عدة منها :

أ ـ الصدق الظاهرى : ويمكن الكشف عنه من خلال بحث محتويات المقيـــاس أو الاختبار " الاستمارة " بمقارنتها بأهداف البحث ونوعية البيانات المطلوبة وهذا يعنى أن الاسئلة الوارد باستمارة الاستبيان يجب أن تنصب مباشرة على مناقشة أو توضيـــح موضوع الدراسه وما يتفرع عنه من موضوعات جانبية •

ب ـ الصدق التجريبى : وهو ببساطة يشير الى مدى اتفاق نتائج الاختبار أو المقيـاس " أو الاجابات " التى يدلى بها المبحوث على أسئلة استمارة الاستبيان " مع الوقائـــع

الخارجية المرتبطة بالموقف موضوع الدراسة سواء كانت معروفة من قبل فى شكل بيانات احصائية موثقة أو وقائع يستطيع الباحث ملاحظتها بسهولة ويسر ٠

وتثير مسألة صدق وثبات أدوات البحث أو جمع البيانات فى المجال الاجتماعى كثيرا من الجدل بين الباحثين والمشتغلين بمناهج البحث الاجتماعى ٠ والشائع بينهم أن هناك بعض العوامل التى تحول دون تحقق الثبات والصدق فى أدوات البحث الاجتماعى بنفس الدرجة التى تتحقق فى المقاييس أو الاختبارات الاحصائية والسيكولوجية من هذه العوامل انصراف الباحثين فى المجال الاجتماعى عن اعادة تطبيق الاداة بهدف التأكد من ثباتها وصدقها واكتفائهم بمجرد ما يكشف عنه الاستخدام الاول لها من نتائج توفيرا للجهد والوقت ٠ ومنها أيضا ما تطرحه حقيقة أن التغير أمر واقع بالنسبة للمواقف الاجتماعية من صعوبة استخدام مقاييس الثبات والصدق فى أدوات البحث الاجتماعى " مثل اعادة استخدام الاداة فى ظروف مشابهة " لتعذر تكرار الموقف بنفس الظروف والملابسات ٠ غير أن ذلك لا يعنى عدم الثقة فى صحة ما يتوصل اليه الباحثون من نتائج فى مجال البحث الاجتماعى بل يلاحظ كما أشرنا أن عمليات الاختيار أو التجريب الميدانى للاداة " استمارة الاستبيان أو المقابلة " تعد أجراءا منهجيا ضروريا يجنب الباحث مصادر الخطأ والتحيز ويمكنه من الحصول على بيانات يتوفر لها قدرا لا يستهان به من الثبات والصدق ٠

٤-التمرين المقترح للطالب* :

عرفنا أن "المقابلة" هى أكثر أدوات جمع البيانات استخداما وقابلية للتطبيق فى مجال البحوث التى تكون فيها وجهة النظر الشخصية للمبحوثين أو مشاعرهم أو اتجاهاتهم نحو غيرهم ذات أهمية خاصة لموضوعها أو أهدافها . ولذلك فهى من أكثر الادوات استخداما فى مجال الانحراف والسلوك الانحرافى "كمقابلة البغايا ومدمنى المخدرات والشواذ جنسيا ... الخ . كما أنها تستخدم بكثرة فى دراسات التفاعل الأسرى حيث تكون الاتجاهات والمشاعر والاحاسيس أمورا حيوية وهامة ، كما تستخدم على المستوى التنظيمى لمعرفة اتجاهات الافراد ومشاعرهم ومواقفهم تجاه مختلف المسائل التنظيمية مثل "اتجاهات العمال تجاه أعمالهم ورؤسائهم ونظام المصنع ... الخ .
كذلك يعتبر مجال العقائد والمشاعر الدينية من المجالات الهامة التى تستخدم فيهما المقابلة كأداة لجمع البيانات ، حيث يستطيع الباحث من خلالها أن يوضح دور المبادئ الدينية فى حياة الافراد وسلوكهم وتفكيرهم وانشطتهم اليومية .

ولقد سبق أن أوضحنا أنه يتعين على الباحث ان يجرى ما بين عشرة وخمس عشرة مقابلة حتى يضمن حصوله على المعلومات الكافية التى تغطى مشكلة البحث ، غير أنه نظرا لضيق وقتك ، حاول أن تجرى ثلاث مقابلات حول موضوعات تختارها داخل مجال الدين والنظام الدينى .

---

* اعد هذا الجزء الدكتور السيد عبد العاطى السيد

وها هى بعض الخطوات التى تسترشد بها لاجراء هذا التمرين المقترح :

أولا : عليك قبل نزولك للميدان (أى قبل أن تجرى المقابلة) أن تقوم :

١ ــ بتحديد الموضوعات التى سيتناولها بحثك فى مجال الدين والنظم الدينية .

٢ ــ صياغة عدد صغير من الأسئلة الواضحة والمحايدة التى تضمن لك حصولك على معلومات تحتاجها وترتبط بموضوع بحثك . وسجل هذه الأسئلة على نحو مختصر فى مفكرة خاصة به (كدليل للمقابلة) .

٣ ــ تحديد نوعية الأشخاص الذين ستجرى معهم مقابلاتك . ونذكرك هنا أن هناك نوعيات مختلفة من الأشخاص التى يمكن أجراء المقابلة معهم فى هذا التمرين المقترح . وعليك أن تحدد النوعية الملائمة لاعداد بحثك . حيث يمكنك أن تجرى مقابلتك مع :

أ ــ جمهور المشاركين فى الفعل الاجتماعى مثل أعضاء الطوائف الدينية ، والأشخاص الذين لا ينتمون لطوائف دينية محددة ، والموظبون على تأدية الطقوس والشعائر الدينيه ، والاشخاص الذين لا يهتمون بأداء هذه الطقوس أو الشعائر والعبادات ، والذين لا يؤمنون أصلا بعقيدة دينية محددة .

ب ــ المشاركون فى أوضاع السلطة ، مثل رجال الدين ، وزعماء الطوائف الدينية والمسئولون بالتنظيمات والمنظمات والاجهزة الدينية كوزارة الاوقاف وشئون الازهر ... الخ

ج ــ الاخباريون ، ومن لاء يمثلهم كبار السن والفضوليون ومروجوا الشائعات وغيرهم ممن يحرصون على معرفة أخبار الغير ، فهؤلاء يعتبرون مناجم غنية بالمعلومات .

ولكن عليك أن تقوم بتمحيص أو " غربلة " ما يدلون به من بيانات لتنتقى منها ما تراه ملائما لموضوع بحثك .

د - الساخطون والهامشيون ، ويقصد بالساخطين أولئك الاشخاص الذين يشعرون بعدم الرضا بالجماعة التى تقوم بدراستها ويكونون أكثر وعيا بفشلها ونقاط ضعفها ومساليها وبالمقارنة بالاعضاء العاديين . اما الهامشيون فهم الأشخاص الذين يحاولون الدخول فى هذه الجماعة ولم يتقبلوا بعد كأعضاء فيها ، وهم غالبا ما يكونون على وعى أكبر بمزاياها عن غيرهم من الأفراد .

٤ - تحديد الأشخاص الفعليين الذين ستجرى معهم مقابلاتك واعلم أن مقابلتك عبارة عن تفاعل لفظى (حديث) يتم بينك وبينهم الحصول على معلومات تدور أ - حول أنفسهم وتفاعلاتهم مع غيرهم ، ب - حول غيرهم من الاشخاص المألوفين لديهم .

ثانيا - عليك عند نزولك للميدان أن تراعى ما يأتى :

١ - أن تتصل بالافراد الذين لهم خبرة فى موضوع بحثك ، وهنا ينبغى عليك أن تعرفهم بموضوع بحثك ، وأهمية ما سيدلون به من معلومات لانجاح البحث .

٢ - احرص على أن تكون دمثا مهذبا مع المبحوث أثناء المقابلة ، وأن تهتم بكل ما يقوله ، وأن تكون محايدا لا تسفه رأيه أو تنتقده حتى وان كانت آرائه مخالفة لآرائك ومعتقداتك .

٣ ـ سجل الاجابات تسجيلا حرفيا ما أمكنك ذلك . وهذا يعنى أن تسجل أقوال المبحوث أو من تجرى معه المقابلة بلغته هو ، وتجنب أن تقوم بتلخيص ما جرى فى المقابلة من حديث ، لأنك ان فعلت ذلك فانك قد تعطى أفكاره ومعلوماته معانى ومدلولات قد لا تتضمنها أولا تحتملها بالفعل .

٤ ـ اذا شعرت أن تسجيل الاجابة سيعوق استمرارية المقابلة أو انتظامها ، فانه من المفيد ان تعلم من تجرى معه المقابلة أنك تحرص على تسجيل كل أقواله حتى لا يشعر بملل أو يفكر فى تأجيل المقابلة . فاذا لم تفلح هذه الطريقة عليك بتسجيل المقابلة بعد انتهاء موقفها مسترشدا بدليل المقابلة .

٥ ـ عليك عقب كل مقابلة أن تقرأ وتراجع ما سجلته عنها وذلك قبل أن تقوم بالمقابلة ، واحرص فى كل مرة أن المقابلة لم تخرج عن النقاط التى حددتها من قبل ، أو أنها قد استوفتها جميعا .

ثالثا ـ كيف تعرض نتائج بحثك ؟ :

بعد أن تفرغ من مقابلاتك ، عليك أن تقرأ وتراجع ما سجلته عنها فى مجموعها واحدة بعد أخرى مع مراعاة النقاط الاساسية التى اشتمل عليها دليل المقابلة . ويفضل أن تختار بعض المقتطفات من أقوال من أجريت معهم المقابلة لتستخدمها كشاهد فى تحليل نتائج بحثك . وما ان تفرغ من ذلك كله أبدأ باعداد تقريرك مشتملا على النقاط التالية :

١ ـ وصف مختصر للجانب أو المظهر الخاص من النظام الديني الذي قمت باختياره (كموضوع للمقابلة) .

٢ ـ قائمة موجزة بالاسئلة التي طرحت بنفس النظام الذي وجهت به أثناء المقابلة مبتدءا بالاسئلة التمهيدية العامة الى الاسئلة الاكثر تخصصا .

٣ ـ مناقشة للنتائج التي توصلت اليها ، مستعينا بالشواهد التي انتهيت من أقوال من أجريت معهم المقابلة .

٤ ـ عرض ومناقشة بعض مجالات البحث أو الموضوعات أو الفروض التي تطرح كموضوعات لبحوث ودراسات أخرى مستقبلية .

٥ ـ توضيح ومناقشة الصعاب التي صادفتها أثناء اجراء المقابلة مع طرح اقتراحاتك بصدد التغلب عليها مستقبلا .

مراجع مختارة في البحث الاجتماعـــي

أولاً ـ بالعربيـــــة :

١ ـ دكتور ابراهيم ابو لغد ودكتور لويس كامل مليكه ، البحث الاجتماعي ، مركـــز التربية الاساسية ، سرس الليان ، ١٩٥٩ .

٢ ـ دكتور جمال زكي والسيد يسن ، أسس البحث الاجتماعي ، دار الفكر العربـــي القاهـــرة ، ١٩٦٢ .

٣ ـ دكتور حامد عمار ، المنهج العلمي ـ وضعه وحدوده ، جامعة الدول العربية ١٩٦٠ .

٤ ـ دكتور حامد عمـــار ، بعض مفاهيم علم الاجتماع ، جامعة الدول العربية ١٩٦٠

٥ ـ دكتور عبد الباسط حسن ، أصول البحث الاجتماعي ، مطبعة لجنة البيان العربي القاهرة ، ١٩٦٦ .

٦ ـ دكتور محمد طلعت عيسى ، تصميم وتنفيذ البحوث الاجتماعية ، مكتبة القاهـــرة الحديثة ، ١٩٧١ .

٧ ـ دكتور نجيب اسكندر وآخرون ، الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي ، مؤسسة المطبوعات الحديثة ، ١٩٦٠

٨ ـ دكتور غريب سيد أحمد ، دكتور عبد الباسط محمد ، البحث الاجتماعي ، الجزء الأول ـ المنهج والقياس ، دار الكتب الجامعية ١٩٧٤ .

٩ ـ دكتور غريب سيد احمد ، دكتور عبد الباسط محمد ـ البحث الاجتماعي ، الجزء الثاني ، التصميم والتنفيذ ، دار الجامعات المصرية ١٩٧٢

١٠ – دكتور محمود قاسم – المنطق ومناهج البحث ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٥٨ .

١١ – اميل دور كايم – قواعد المنهج فى علم الاجتماع ، ترجمة دكتور محمود قاسم مكتبة النهضة ، القاهرة

١٢ – دكتور محمد عارف عثمان – المنهج فى علم الاجتماع ، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ، ١٩٧٥ .

١٣ – كارل بوبر – عقم المذهب التاريخى ، وترجمة دكتور عبد الحميد صبره ، ١٩٥٩ .

١٤ – دكتور محمد طلعت عيسى ، البحث الاجتماعى ، مبادئه ومناهجه ، مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦١

١٥ – دكتور السيد محمد خير ، الاحصاء فى البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٠

ثانيـــا : الافرنجيــــــــــة :

I. A. Aron, Method & Mea surement in sociology , Londor
L964.

2. W. Good , P.hatt, Methods in Social rsearch, London ,
I952 .

:. M. Jahoda; et al., Research Methodsin social relations,
N.Y.I95I.

4. C. Sellize , etal., Research Methods in social Relations
N.Y.,I963.

5. G. Lundberg, Social research , N.Y.I948.

6. G. Moser , survey methods in social investigations,
London, I969.

7. S. Nagi & R. corioin, The social context of research
N.Y.,I972.

8. A.N. Oppenheim, Questionmaire sesign & uttitudi Meas-
urement, Lndon , I968.

9. M. Stacey , Methods of social research ,M.Y.,I969.

IO. P. Young, scientific social survey & research ,N.Y.;
I966.

II. G. Gasthope , History social research , London I974.

I2. Ram Das; Action Rescarch and its importance in under developed Economy ; Plauuing Research and Action institute, U.I. Lacknow,I962.

I3. wiseman, J.F. and Aron M.S., Field projects For Sociology Students. Cambnélge, Mass.: Schenkman pubbsheig Company, Inc., I970.

I4. Doby, J.T., (ed.) An Irtroduction to Sacial Kesaareb. (2nd editioj)New York; Appleton - century- crofts, I967.

I5. Lipset, S.M., aral Hofstadter, R., (eds.) Saciabgy and Histry Methads New York X Lnclm : Books , Irc. I968.

فهـــــــرس